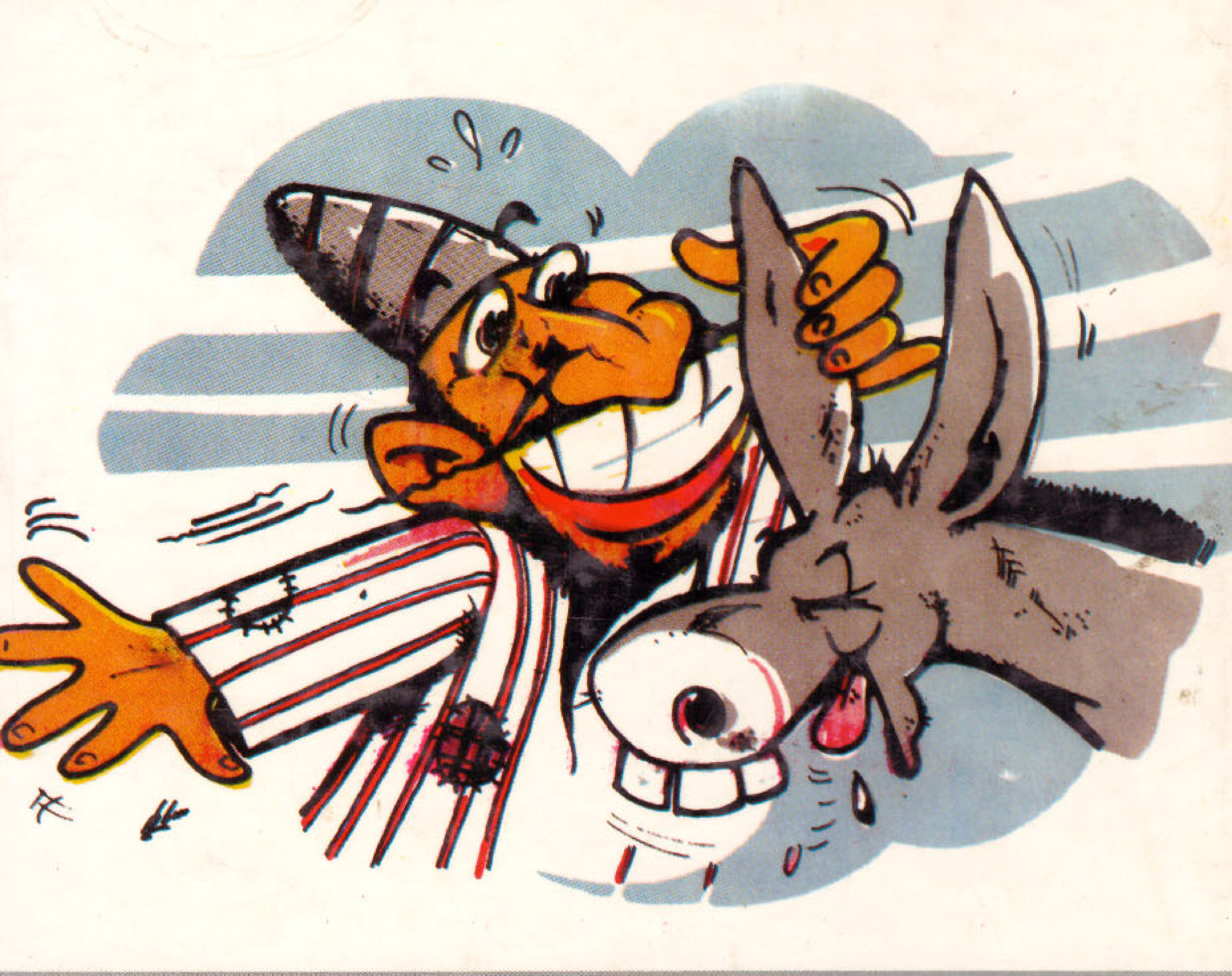
نوادر جحا الكبرى

جمعه ورتّبه

حكمت شريف الطرابلسي



المؤسّسة المتحدة للكتاب - مؤسّسة الزّين
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



الطبعة الثانية
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف بعباده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه .

وبعد فقد وقع لى كتاب نوادر ضخم باللغة التركية يسمى « لطائف خوجه نصر الدين » وهو المشهور عندنا بنصر الدين جحا صاحب الأخبار المستغربة والنكات المستملحة ، ولما كان ما طبع فى العربيـة من نوادره قليلا جداً ، أقدمت على ترجمة هذا الكتاب عن اللغة التركية وألحقته بما عثرت عليه فى غيره من كتب العرب والترك من أخبار هذا الرجل وأطواره وقصصه ونوادره ، حتى اجتمع لدىّ هذا الكتاب الذى أرجو أن ينظر إليه قراؤه بعين القبول والرضى ، وبالله الثقة .

حكمت شريف

الطرابلسى

جحا

ترجمته وبعض ما قيل فيه

الشيخ نصر الدين جحا الرومى . تركى الأصل من أهل الأناضول . مولده فى مدينة « سيورى حصار » ووفاته فى مدينة « آق شهر » .

تلقى علوم الدين فى آق شهر وقونية ، وولى القضاء فى بعض النواحى المتاخمة لآق شهر ، ثم ولى الخطابة فى « سيورى حصار » ونصب مدرساً وإماماً فى بعض المدن ، وساح فى ولايات « قونية » و « أنقرة » و « بروسة » وملحقاتها .

كان واعظاً مرشداً صالحاً يأتى بالمواعظ فى قالب النوادر وله جرأة على الأمراء والقضاة والحكام ، وكثيراً ما كانت الحكومة تستقدمه من « آق شهر » إلى العاصمة يومئذ « قونية » ، وكان عفيفاً زاهداً يحرث أرضه ويحتطب بيديه ، وكانت داره محطاً للواردين من الغرباء والفلاحين ، ويذكر أن وساطته أنقذت بلدته من تيمور الجبار الطاغية .

أما زمنه فالراجح أنه كان فى عهد السلطان أورخان وظل حتى عهد السلطان يلديرم أى فى أوائل القرن السابع للهجرة ، وعاش إلى سنة ٦٧٣ هـ وتوفى عن نحو ستين عاماً .

قال الكاتب الهزلى الشهير « جايلاق توفيق بك » صاحب جريدة «حنبغراقلى تاتار» فى مقدمة كتابه « لطائف نصر الدين » كان الشيخ من رجال السلطان يلديرم بيازيدخان ، وقدم الآستانة أحد سلالته فى أيام السلطان مراد الثالث لمراجعة الأوقاف الهمايونية ببعض مرتبات منتقلة إلى هذه السلالة ، وعندما أراد تقديم العريضة إلى الحضرة السلطانية ربط دابته فى طبل كبير كان هناك للنوبة السلطانية ، فجفلت الدابة منه وأخذت تجره ، وكلما تدحرج الطبل على الأرض ازداد صوته دوياً وازدادت الدابة خوفاً واضطراباً ، واتفق أن كانت هناك بغال الصرة فجفلت وقامت قيامتها وعلت الضجة ، فسأل رجال الحضرة السلطانية عن الأمر فعرفوا السبب وبحثوا عن رابط الدابة بالطبل فقيل لهم إنه رجل من سلالة الشيخ نصر الدين ، فأجيب إلى سؤاله فوراً واعتبروا عمله هذا حجة كافية لإثبات كونه من سلالة المرحوم!

وقال «ضيابك» أحد كتاب الترك فى كتاب له سماه « سياحة فى قونية » : زرت ضريح الشيخ فى مقبرة « آق شهر » الكبرى فقرأت على حجر الضريح ما يأتى بالحرف الواحد :

هــذه التربة للمرحوم
المغفور المحتاج إلى رحمة ربه الغفور
نصر الدين أفنـدى روضه
فاتحـة ٣٨٦

قال : فاستغربت هذا التاريخ لأن الشيخ توفى بعد سنة ٣٨٦ وأخيراً عرفت أن التاريخ جاء مقلوباً وصوابه (٦٨٣) فما أدرى أكان ذلك جهلا من ناقشه أم تجاهلا أراد به النكتة !

ثم قال : وكان الشيخ من أولئك الرجال الذين عنوا بتهذيب النفوس بضروب النوادر والأمثال كالشيخ «شسترى» مخترع لعبة خيال الظل (قره كوز) و « حاجيواد » فى عهد السلطان أورخان وغيرهما .

وجدد ضريحه فى العهد الأخير . وهو فى قبة على أربعة أعمدة ، وعلى رأسه « قاووق » عظيم ، وعلى الجدران كثير من الكتابات نظماً ونثراً ، وعلى العوارض والأخشاب خرق ربطها الناس استشفاء من الحمى والتماساً للبركة .

ولأهل تلك البلاد اعتقاد بكرامات الشيخ وهم يكثرون من الضحك عند قبره ويزعمون أن من زاره ولم يضحك لم يسلم من نائبة تصيبه !

ومن عادات أهل « آق شهر » فى زواجهم أن يبدأ العريسان بزيارة ضريح الشيخ نصر الدين ويدعواه إلى حفلة الزفاف ويقولان له « شرفنا مع تلاميذك » ، ويعتقدون بأن من تزوج ولم يقم بهذا الواجب لم يوفق فى زواجه .

نوادره وأخباره

١ — من يعلم يعلم من لا يعلم

جلس الشيخ نصر الدين افندى يوماً على منصة الوعظ في أحد جوامع «آق شهر» وقال :

— أيها المؤمنون هل تعلمون ما سأقوله لكم ؟

فأجابه السامعون : كلا لا نعلم .

قال : إذا كنتم لا تعلمون فما الفائدة من التكلم ثم نزل. وعاد في يوم آخر فألقى عليهم نفس السؤال فأجابوه هذه المرة :

— أجل إنا نعلم . فقال: مادمتم تعلمون ما سأقوله فما الفائدة من الكلام ؟ فحار الحاضرون في أمرهم واتفقوا فيما بينهم على أن تكون الإجابة في المرة القادمة متناقضة قسم يجيب : لا ، وقسم يجيب نعم ، ولما أتاهم المرة الثالثة وألقى عليهم سؤاله الأول اختلفت أصواتهم بين لا ونعم فقال : حسن جداً من يعلم يعلم من لا يعلم.

٢ — لو كان للجمال أجنحة

قام في أحد الأيام واعظاً وقال : أيها المسلمون احمدوا الله الذى لم يخلق للجمال أجنحة إذ أنها لو استطاعت الطيران لهبطت على سطوح بيوتكم فخربتها على رءوسكم .

٣ — نجومنا كنجومكم

قال يوماً فى أثناء وعظه : أيها المسلمون إن هواء هذه البلدة كهواء بلدتنا تماماً ، فقالوا له : وكيف استدللت على ذلك ؟ قال:

— إن عدد النجوم الموجودة فى سمائكم وشكلها مطابق تمام المطابقة لعدد وشكل ونجوم سماء آق شهر فهواؤنا إذاً كهوائكم.

---

٤ — حمام فوق المأذنة

دخل الحمام يوماً وكان السكون فيه سائداً فأنشأ يتغنى فأعجبه صوته ، فحدثته نفسه بأنه لايجوز أن يبخل بنعمة صوته البديع على إخوانه المسلمين . فما أسرع ماخرج من الحمام قاصداً الجامع حيث صعد إلى المأذنة وبدأ ينشد بعض التسابيح فى ساعة أذان الظهر ، فاستغرب المارة هذا الأمر وكان صوته خشناً مزعجاً فناداه أحدهم قائلا :

« ويحك ياأحمق ! مالك تزعج الناس بهذا الإنشاد بصوتك المزعج وفى مثل هذه الساعة ؟ » فأجابه من أعلى المأذنة :

— يا أخى لو أن محسناً يتبرع لى ببناء حمام فوق هذه المأذنة لأسمعتك من حسن صوتى ما ينسيك تغريد البلابل !

---

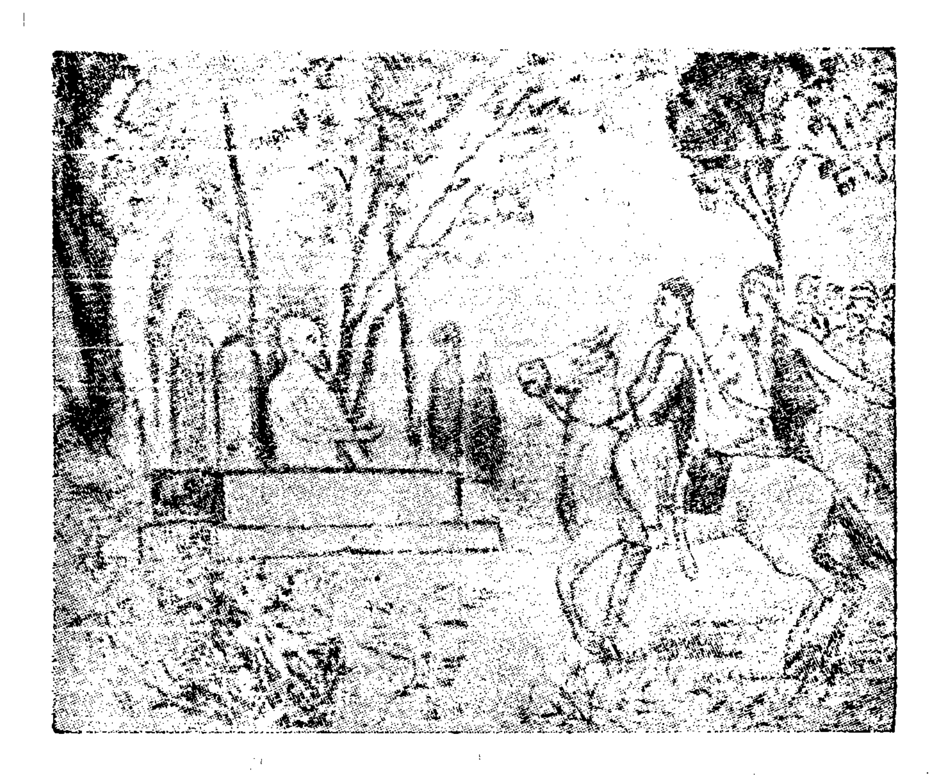
٥ — هاتها تسعة ولا تزعل

رأى فى منامه أن شخصاً أعطاه تسعة دراهم بدلا من عشرة كان يطلبها منه فاختلفا وتنازعا ولما احتدم بينهما الجدال انتبه

من نومه مذعوراً فلم ير فى يده شيئاً ، فتكدر ولام نفسه على طمعها ، ولكنه عادفاستلقى فى الفراش وأنزل رأسه تحت اللحاف ومدّ يده إلى خصمه الموهوم قائلا : هاتها تسعة ولا تزعل !

---

٦ — خرجت من القبر للفسحة



(جحا فى القبر)

كان يتمشى يوماً خارج البلد أمام مقبرة فرأى جماعة من الفرسان قادمين نحوه فأوجس منهم خيفة ، ولكن قبراً قديماً رآه مفتوحاً أمامه أوحى إليه فكرة الاختفاء فيه ، فخلع ثيابه العليا

ونزل فيه ، فلما اقترب منه الفرسان ورأوه فى القبر عارى نصف الجسم استغربوا حالته فسألوه :

— ماذا تعمل فى القبر يا هذا ؟ .

فحار فى الجواب ولـكنه استدرك وقال : أنا من أهل القبور وقد سئمت طول المكث فاستأذنت ربى أن أخرج قليلا للفسحة فأذن لى . فضحك الفرسان وتركوه وشأنه .

---

٧ — وأنا أفـكر فى هذا أيضاً

دخل يوماً إلى بستان أثناء غياب صاحبه وراح يقطف مايقع تحت يده من الأثمار والخضر حتى ملأ حقيبة كانت معه ولمـا همّ بالخروج رأى البستانى عائداً فتلبك وخاف فقال له البستانى: ما الذى تفعله هنا ؟ فقال مرتبكا : لقد حملتنى العاصفة التى هبطت مساء أمس فألقتنى هنا غصباً عنى ، فقال : حسن ومن الذى قطف ما فى حقيبتك ؟ فقال : كان الهواء الشديد يتلاعب بى ويلقى بى هنا وهناك فأتمسك بما يقع تحت يدى من الخضر والأثمار فتقلع وتظل فى يدى . . قال البستانى : وهذا أحسن ، ولـكن من الذى وضع ذلك فى الحقيبة حتى ملأها ؟

فلم يحر جحا على هذا جواباً ولـكنه قال : وأنا أفكر فى هذا أيضاً ، ولـكننى أصدقك القول بأنى أبحث منذ رأيتك عن جواب فلم أجده .

٨ — أكل الحلوى جبراً

ذهب إلى قونية يوماً ودخل دكان حلوانى يعرض أطباق الحلوى فتقرّب من أحدها وقال : «بسم الله» ثم بدأ يلتهم ما فى الطبق قطعة قطعة ، فاعترضه الحلوانى وقال له : بأى حق تأكل مال الناس بهذه الجرأة ، فلم يلتفت جحا إلى كلامه بل ظل مواظباً على الأكل .

فلم يكن من بائع الحلوى إلا أن أخذ عصا وراح يضربه بها ولكن ذلك لم يمنع جحا عن متابعة الأكل بسرعة زائدة قائلا : بارك الله فيكم يا أهالى قونية إنكم تطعمون زائريكم الحلوى بالجبر والضرب .

---

٩ — شهر رمضان على حساب الجرة

خطر له فى شهر رمضان أن يشترى جرة وأن يضع عن كل يوم يمضى من هذا الشهر حصاة فى الجرة كى لا يغلط بحساب الأيام ولا يتكل فى أيام صومه على حساب الناس ، فلم تمض بضعة أيام حتى لاحظت ابنته الصغيرة ما يفعله والدها فدفعها حب التقليد أن تخفف عن والدها هذا العمل فأتت من الحصى بما يملأ يدها وألقت بها فى الجرة فجاء يوم اختلف فيه بعض زائريه على عدد الأيام الماضية من الشهر المبارك فقال : انتظروا إنى سوف آتيكم بالقول الفصل .

ثم قصد داره وأفرغ مافى الجرة فبلغت الحصى مائة وعشرين فاستعظم العدد وقال لو صدقتهم عن العدد لحسبونى أبله ولكننى أقسم العدد إلى قسمين ، ثم خرج وقال لهم : هذا هو اليوم الستون من الشهر . فضحكوا وقالوا : ومتى كان الشهر يزيد على الثلاثين؟ قال : أف لكم لقد أنصفتكم فما بالكم تهزؤون ، لو كنت قلت لكم الحقيقة على حساب الجرة لكان هذا اليوم ، اليوم المائة وعشرين من الشهر ، فاقنعوا بما قلت فإنه خير لكم .

---

١٠ — أصل النجوم

سأله بعضهم يوماً : إذا دخل القمر الجـــديد فأين يكون القديم ؟ قال : إنهم يقطعونه ويصنعونه نجوماً .

---

١١ — مكسب جحا بالبيض

خطر على باله أن يتعاطى التجارة يوماً فاشترى بيضاً على حساب كل تسع بيضات بقرش وأخذ يبيعها كل عشرة بقرش فقال أحدهم متهكما : ما هذه التجارة الرابحة ؟ فقال : ومتى كان الربح من شروط التجارة ألا يكفينى أن يقول عنى أصحابى أنى تاجر أبيع وأشترى .

---

١٢ — كل شيء بحسابه

كان جالساً على شاطىء نهر فجاء إلى الشاطىء الثانى عشرة عميان فاتفقوا وإياه على أن ينقلهم على ظهره واحداً واحداً لاجتياز النهر ، ثم يدفعون له عن كل منهم درهماً فنقل منهم تسعة إلى الشاطىء الآخر ولما جاء دور العاشر شعر صاحبنا بالتعب الشديد فحمله وهو منهك القوى حتى وصل إلى نصف النهر ولم يعد فى إمكانه اجتياز النصف الثانى بحمله الثقيل فرمى به فى النهر فجرّه التيار وقام رفاقه يصرخون ويعولون فقال لهم : ولماذا هذا الصراخ والعويل؟ كل شيء بحسابه ادفعوا لى تسعة دراهم والله يعوّض علىّ .

---

١٣ — اللفت المحشو بالجزر

جاءه رجل وفى يده بيضة وقال له : إذا حزرت ما بيدى أعمل لك منه أكلة عجة ، فأجابه جحا : صف شكله ولونه . قال : هو بيضاوى الشكل خارجه أبيض وداخله أصفر . قال : حزرت إنه لفت فرغوا داخله وحشوه جزراً .

---

١٤ — أنا لست تاجر أيام وشهور

سأله أحدهم : فى أى يوم من الشهر نحن ؟ قال : ومتى كنت تاجر أيام وشهور حتى أجيبك على سؤالك .

١٥ — بائع سلالم

قصد أحد البساتين المقفلة يحمل سلماً فأسند السلم إلى السياج وتسلقها حتى إذا وصل إلى أعلى السياج سحبه وأنزله من الداخل ، ثم نزل عليه فرأى البستانى ينتظره عند أسفل السلم ويقول له : من أنت وماذا تعمل هنا ؟ قال : أنا بائع سلالم . فقال البستانى : ومتى كانت السلالم تباع هنا ؟ فأجابه الشيخ : ما شاء الله ألا تدرى أن السلالم تباع فى كل مكان .

---

١٦ — البقرة تعرف ذنبها

دخلت إلى مزرعته بقرة فتناول عصاه ولحق بها ففرت أمامه ، ولكنه صادفها بعد أسبوع تجر عربة نقل أحد الفلاحين فلم يصبر عن الهجوم عليها وضربها بعصاه ولما انتهره صاحبها مستغرباً منه هذا العمل سائلا إياه عن ذنب البقرة أجابه :

— لا تتدخل أيها الرجل الجاهل فيما لا يعنيك فالبقرة تعرف ذنبها !

---

١٧ — ادفنوني فى قبر قديم

أوصى أهله أن يدفنوه يوم موته فى قبر قديم قالوا ولماذا فأجابهم إذا جاءنى ملكا الموت ليسألانى أجيبهما أنى قديم العهد فى هذا القبر وأنى سئلت ومتى نظرا إلى قبرى رأيا فيه مصداقاً

لقولى فيتركانى وشأنى وهكذا أتخلص من شديد سؤالهما على أهون سبيل .

---

١٨ — خذ وضوءك ورد حذائي

توضأ يوماً على ضفاف نهر ولما انتهى وأراد لبس نعليه وقع أحدهما فى النهر وجرى مع المـــاء فأدار ظهره للنهر وأخرج صوتاً . . يشبه الرعد ، ثم التفت إلى النهر وقال له : خذ وضوءك ورد لى حذائى .

---

١٩ — حداداً على والد ابنى

لبس يوماً ثياباً سوداء فتقدم إليه بعض معارفه وسأله عما إذا كانت أصابته مصيبة ألبسته السواد . فقال : نعم لقدأصبت بوفاة والد ابنى .

---

٢٠ — الخازوق فى أسفل الأنبوب

اشتد فى بعض أيام الصيف عطشه وكان عائداً من بلد بعيد فصادف على قارعة الطريق أنبوباً مسدوداً بخشبة فاقتلع الخشبة وسال المـاء بشدة من الأنبوب حتى تبلل من رأسه إلى قدميه فنظر إلى الأنبوب وقال : لو لم تكن مجنوناً لما وضعوا هذا الخازوق فى أسفلك .

٢١ — لم يصبها شيء

خرج يوماً للاحتطاب في الجبل وأخذ معه بضع بطيخات يروي بها عطشه في ذلك الجبل الذي لا ماء فيه فكان كلما أصابه العطش يكسر بطيخة فيأكل منها قطعة ثم يرميها على مزبلة كانت هناك بحجة أنها غير ناضجة حتى أتى على جميع ما معه من البطيخ على هذه الصورة يأكل قسماً قليلا ويرمي بالباقي على المزبلة . ولما اشتدت حرارة الشمس نصف النهار أحس بعطش شديد فلم ير بدأ من الركون إلى بقايا البطيخ المطروحة بين الأقذار فتناولها قطعة قطعة وهو يقول : هذه ما زالت نظيفة وهذه لم يصبها شيء . إلى أن أتى عليها جميعاً .

٢٢ — ماذا تنفع الثياب في يوم الحشر

كان يربي لمؤونة الشتاء خروفاً جميلا وكان يحبه ويبني عليه صروح الآمال فأراد أصحابه أن يلعبوا عليه ويسلبوه خروفه فلم ينجحوا فاتفقوا على أن يحتالوا عليه فجاءه أحدهم فقال له : ماذا أنت صانع بخروفك هذا وستقوم القيامة غداً أو بعد غد هاته لنذبحه ونطعمك منه . فلم يعبأ الشيخ بقول صاحبه ، ولكن أصحابه أتوه واحداً واحداً يرددون عليه نفس النغمة حتى ضاق صدره فوعدهم بأن يذبحه في اليوم التالي ويدعوهم لأكله في مأدبة فاخرة في البرية وهكذا ذبح الخروف وأضرمت النار فأخذ

جحا يشويه عليهـــا ، وبينما هو قائم بهذه المهمة تركه رفاقه وراحوا يلعبون ويتنزهون بعيداً عنه بعد أن تركوا أمامه قسما من ثيابهم يحرسها ، فاستاء من عملهم هذا لأنهم تركوه وحده دون أن يعرض عليه أحدهم مساعدته ، فما كان منه إلا أن جمع ثيابهم وألقاها فى النار فالتهمتها ولما عادوا إليه ووجدوا ثيابهم رمادا فى النار هجموا عليه هجمة واحدة فلما رأى منهم هذه الحملة التفت إليهم قائلا : وما الفائدة من هذه الثياب إذا كنتم تصرّون على اعتقادكم بأن يوم القيامة واقع اليوم أو غداً لامحالة ؟

٢٣ — ألم ننتقل إلى هذا الدار

دخل لص دار جحا وأخذ يحمل ما يقع تحت يده وكان جحا نائماً فى غرفته فأحس بحركة السارق ولم يكن منه إلا أن جمع ما فى غرفة نومه من الأثاث ولحق بالسارق عند خروجه إلا أن وصل إلى دار السارق فدخلها على أثره فالتفت إليه السارق وقال له : ما الذى تفعل هنا ياشيخ ؟ قال : أو لم ننتقل إلى هذه الدار؟

٢٤ — كل من يلد يموت

استعار من أحد جيرانه دستاً ثم أعاده إليه بعد أيام وفى وسطه قدر (طنجره) فاستغرب جاره وجود القدر وسط الدست فسأله : وماهذا ؟ فأجابه جحا بأن الدست قد ولد

فانسر الجار وأخذ الدست والقدر ثم عاد جحا بعد أيام فاستعار الدست مرة ثانية فأبقاها عنده مدة طويلة دون أن يعيده إلى صاحبه . فجاء الرجل إلى جحا يطالبه بدسته فأجابه جحا : العوض بسلامتكم إن الدست قدمات رحمه الله . فحار الرجل فى أمره وقال له بحنق : ومتى كانت الدسوت تحيا وتموت ؟ فأجابه جحا : ولكن كيف تصدق أن الدست يلد ولا تصدق أنه يموت؟

---

٢٥ — الحريقة فى جوف جحا

كان جحا جائعاً فطلب طعاماً فجاؤوه بحساء (شوربا) ساخن فلم يصبر عليه حتى تهمد حرارته بل تناول الملعقة الأولى بسرعة ولهف فاحترق فمه وأحس كأن النار تلتهب بين معدته وفمه فقام هائماً على وجهه يهرول فى الأسواق وينادى : لا تقربوا فإن فى جوفى حريقة .

---

٢٦ — إن فاتك البط فعليك بمرقه

رأى يوماً سرباً من البط قريباً من شاطىء بحيرة فحاول أن يلتقط من هذه الطيور شيئاً فلم يستطع لأنها أسرعت بالفرار من أمامه وكان معه قطعة خبز فراح يغمسها بالماء ويأكلها فمر به أحدهم وقال له : هنيئاً لك ما تأكل فما هذا ؟ قال : هو حساء البط ، فإذا فاتك البط فاستفد من مرقه .

٢٧ — الدقيق المنشور على الحبل

طلب إليه جاره أن يعيره حبلا فدخل إلى داره ثم عاد فقال له : إن الحبل مشغول لأن أهل البيت نشروا عليه دقيقاً .

فقال الرجل : وهل ينشر الدقيق على الحبل ؟

فأجابه جحا : سبحان الله إذا كنت لا أريد إعارة الحبل أقول نشر عليه الدقيق .

---

٢٨ — ظننت أنك أنا

اجتمع يوماً بشخص لم تسبق له به معرفة فأخذ يحادثه جحا كأنهما صديقان قديمان . ولما هم الرجل بالانصراف سأله جحا: عفواً ياسيدى إنى لم أعرف حضرتك فمن أنت؟ قال الرجل: وكيف تحدثنى بدون تكلف كأن بيننا معرفة سابقة ؟ قال الشيخ : اعذرنى فقد رأيت عمامتك كعمامتى وقفطانك كقفطانى فخيل لى أنك أنا.

---

٢٩ — نقد رمانك فامش

أشكلت بعض المسائل العلمية على أحد الطلاب فسأل عنها بعض العارفين فقال له : إن الشخص الوحيد الذى يمكنه الجواب على أسئلتك هذه إنما هو الشيخ نصر الدين الموجود فى مدينة آق شهر .

فقصد الطالب هذه المدينة ولما اقترب منها وجد فى مزرعة شيخاً معمماً وعليه جبة يحرث الأرض فأتى إليه يحادثه دون

أن يعرف أنه شيخه المقصود ولما رأى فى حديث الشيخ مايدل على فضل وأدب أخذ يسأله عما كان أشكل عليه فنظر جحا إلى منديل فيه رمان كان يحمله الطالب وقال: اعطنى رمانة عن كل سؤال حتى أجيبك.

وهكذا جعل الطالب يسأل وجحا يأخذ الرمان ويجيب حتى أتى على جميع ما فى المنديل فقال الطالب: بقى لى سؤال واحد. قال الشيخ: لقد نفد رمانك فامش. ثم عاد إلى حرث أرضه. فقال الطالب: إذا كان فلاحو هذا البلد على هذه المقدرة فكيف يكون علماؤها؟ وعاد من حيث أتى.

---

٣٠ — الديك لا يعرف الطريق

وضع دجاجاً له فى قفص وسار بها من مدينة إلى مدينة أخرى ليبيعها وبينما هو فى الطريق وقد ثقل عليه حمل القفص قال فى نفسه تكاد هذه الحيوانات تموت من الحر والحصر فوق بعضها فما لى لا أطلق سراحها وأدعها تسير إلى المحل المقصود وهكذا فتح باب القفص وأخلى سبيل الدجاج فطارت كل واحدة إلى جهة وتفرقت هنا وهناك فحمل عصاه ولحق بالديك يطارده ويقول له: قاتلك الله إنك تعرف وقت الصبح من منتصف الليل ولا تعرف طريقك وقت الظهر.

٣١ — البغـــال فى الآخرة

كان يتمشى يوماً فى مقبرة فزلت رجله فى قبر قديم فوقع ولمـا كان فى داخل القبر خطر له أن يجرب فيما إذا كان يأتيه الملكان منـكر ونـكير لوصادفاه فى القبر أم لا . ولم يمض عليه إلا برهة حتى سمع قرقعة أجراس وضوضاء شـديدة تقترب من القبر الذى هو فيه فظن أن القيامة قد قامت فخرج من القبر يريد الفرار ، ولـكن البغال التى هى سبب هذه الجلبة الـكبيرة كانت قداقتربت منه ولما رأته عارياًمهرولا أجفلت وتضاربت ببعضها فتـكسرت أحمالها الزجاجية الثمينة ، فهجم عليه أصحابها مستغربين هيئته وحالته وقالوا له : من أنت وماتفعل هنا ؟

قال : أنا من أهل الآخرة أتيت لأتفرج على الدنيـــا . قالوا : قف إذاًلنريك كيف تـكون النزهة . ثم حملوا عليه ضرباً ولكما حتى شجوا رأسه وأدموا وجهه وجسمه وتركوه على هذه الحالة لايعى من الدنيا على رأى . ولمـــا عاد إليه صوابه فى منتصف الليل قام يجر نفسه إلى بيته فقالت له امرأته : من أين أنت آت فى هذه الساعة وعلى هذه الحـالة ؟ قال : إنى وقعت فى قبر واجتمعت بالأموات . قالت : وماذا رأيت هناك ؟ قال : لا شىء فى الآخرة إذا لم تخف منك البغال .

٣٢ — لادجاج بلا ديك

دعاه يوماً بعض شبان مدينة (آق شهر) إلى الحمـــام واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم معه بيضة حتى إذا خلعوا ثيابهم ودخلوا عراة وجحا معهم قالوا لبعضهم : تعالوا نبيض كل واحد منا بيضة ومن لا يبيض يدفع أجرة الحمـام فجلسوا بأجمعهم وصاروا يقلدون صوت الدجاجة عندما تبيض وماهى إلا برهة حتى رفع كل منهم بيده بيضة .



(جحا يصيح كالديك)

فلما رآهم جحا على الحالة وأدرك ما دبروه له من المـكيدة

قام بينهم يصيح كما يصيح الديك ، فقال الشبان : وماذا تفعل ؟ قال : أنا ديككم وهل رأيتم عمركم دجاجاً بلا ديك ؟

٢٣ — الأكراد يجهلون التركية

أرسل يوماً إلى أحد الأكراد مندوباً فاحتفل به أهل البلد احتفالا عظيما وكانت هيئته الخارجية تدل على جلال ووقار وهيبة ، وكان يصحبه تلميذ له . فأقاموا له وليمة عظيمة وكان الطعام الذى قدم إليه مما يهيج الغازات الداخلية فأفلت منه من حيث لا يريد صوت رنت له جوانب الغرفة فصمت الحاضرون خجلا منه .

أما هو فلم يبال بشيء ولما عاد إلى منزله تقدم إليه تلميذه وقال بحياء : إن ما أفلته سيدى فى تلك الجلسة المهيبة لم يكن لائقاً بأدبه وفضله . قال : ويحك من أبله أو لا تعلم أن القوم أكراد وأنى أفلت باللغة التركية التى لا يفهمونها .

٢٤ — القمر فى بلادنا

ذهب يوماً إلى مدينة « سيورى حصار » فرأى الناس تتجمع فى محل عال لرؤية الهلال فى أول شهر الصوم فأنشأ يهزأ بهم ويقول لهم : عجباً يا أهل هذا البلد إن أهالى بلدتى يرون القمر كدولاب العربة ولا يعبأون به وأنتم تضيعون أوقاتكم فى البحث عن الهلال وهو أرق من الخيط .

٣٥ — كلى يا فروتي

دعى يوماً إلى وليمة فذهب إلى الدعوة بثياب خلقة فلم يحسن أصحاب الدعوة استقباله ولم يعيروه التفاتاً فانسحب حالا من بين المدعوين وأسرع إلى داره ولبس أحسن ثيابه وزاد عليها فروة جميلة ثم عاد إلى بيت الدعوة . فلما رأوه على هذه الحالة قاموا له وقوفاً واستقبلوه بالتبجيل والتعظيم وأعطوه صدر المائدة ثم راحوا يقدمون له أحسن الأطعمة وأنفسها . فلم يكن منه إلا أن أخذ بفروته وقال لها : كلى ياصاحبة الفخر والقدر. قالوا : وماذا تصنع أيها الأستاذ ؟ قال : إن فروتى تعرف مالا تعرفون وهى أولى منى بالطعام لأن كل الإكرام موجه إليها .

٣٦ — يا ليت كل يوم عيد

ذهب فى أحد سنى القحط إلى قرية فرأى الأهالى فى بحبوحة من العيش والرفاهية يقدمون له أفخر الحلوى وأطيب المأكول فقال : مابال أهل هذه القرية فى سعة من العيش وسكان بلدى يتضوّرون جوعاً ؟

فأجابه أحد السامعين : ألا تعلم أننا فى يوم عيد وأن كل إنسان يعد لهذا اليوم المبارك من الطعام والحلوى مالا يحلم به فى بقية أيام السنة . ففكر جحا قليلا وقال : ياليت كل يوم عيد حتى تخلص بلدنا من هذا الضيق .

٣٧ — الحمل بين البنات والبقر

ذهب يوماً إلى السوق يريد بيع بقرة له فلم يتقدم لشرائها أحد فرآه أحد أصحابه وسأله : ألم تبع إلى الآن بقرتك ؟ قال لا لأنى ما زلت أسحبها من الصباح إلى الآن وقد وصفتها بأجمل الصفات فلم أجد لها راغباً . قال صديقه هات بقرتك وألحقنى فأخذها هذا ودار بين الناس يقول : بقرة فتاة حامل فى شهرها السادس ، فاجتمعت عليها الزبائن واشتراها أحدهم بزيادة عن السعر الذى كان يأمله جحا فشكر شيخنا صديقه وحمل دراهمه وعاد إلى بيته مسروراً .

ولم تمض أيام قليلة حتى جاءه بعض الخاطبات يخطبن ابنته فطلبت إليـــه امرأته أن يتغيب قليلا حتى تستقبل السيدات وتريهن ابنتها وتعدد لهن محاسنها فلعلها تروق لديهن فيخطبونها فقال: إياك أن تفتحى فاك بكلمة فقد عرفت طريقة جديدة لتصرف الكاسد ولسوف أطبقها على إبنتنا فتروج ويتهافت عليهـــا الخاطبون . قالت فى نفسها لعل الشيخ تعلم شيئاً جديداً حسناً .

وبعد أن استقبلت الخاطبات بالإكرام وجاءت ابنتها تحتفى بهن وتقبل أيديهن قالت لهن إنى أرغب إلى زائراتى الكريمات أن يتسترن قليلا فإن لوالد الفتاة كلمات يريد أن يقولها بنفسه لكن ثم أذن للشيخ أن يدخل فدخل وقال : أيتها السيدات لم يكن

الإكثار من الكلام ليفيد شيئاً فى هذا السبيل إنى أختصر لكن صفات ابنى ببضع كلمات : إنها فتاة أصيلة حامل فى شهرها السادس وكفى . فنظر الخاطبات إلى بعضهن خلسة وانصرفن من البيت مسرعات دون أدنى جواب .

٣٨ — ماذا يعنيك أنت ؟

أتاه رجل فى السوق وقال له : أبشرك بمولود ذكر . قال إذا ولد لى مولود ذكر فإنى أحمد الله . ولكن ماذا يعنيك أنت ؟

٣٩ — لم يرض الحمار

جاءه رجل يطلب إليه إعارته حماره فقال إنى ذاهب للحمار أستشيره فعساه يقبل . ثم دخل إلى الاصطبل وعاد فقال لجاره استشرت الحمار فلم يرض، لأنه يزعم أنك سوف تضربه ضرباً مبرحاً وتشتمه هو وصاحبه .

٤٠ — تأثير النشادر فى الحيوان والانسان

كان حماره لا يصعد الجبل إلا بصعوبة رغماً عن كل ضربات العصا فاستشار أحد أصحابه فى دواء هذا الحمار الكسول فأشار عليه أن يضع قليلا من النشادر فى أسفل الحمار فما أسرع ماعمل جحا بهذه النصيحة فأخذ الحمار ينهب الأرض نهباً حتى لايكاد صاحبه يلحق به .

ولما دخل إلى محل الاحتطاب واحتطب وأراد العودة إلى

داره أحس بتعب شديد فتذكر دواء الحمار وأخذ منه كمية وافرة وفعل بنفسه ما كان فعل بحماره فكاد أسفله يلتهب وراح راكضاً كالمجنون إلى بيته سابقاً الحمار بمسافة طويلة فلما رأته امرأته على هذه الحالة وكان يركض حول الدار لا يقر له قرار قالت له : ويلاه وماذا أصابك ؟ قال : لا شيء ولكنك إذا أردت اللحاق بي فضعي فى أسفلك شيئاً من النشادر .

---

٤١ — لو كنت حياً لأريتكم

سأل امرأته يوماً : ما الفرق بين الميت والحي ؟ قالت : إذا مات المرء بردت يداه ورجلاه . . فخرج يوماً إلى الجبل يحتطب فى فصل الشتاء فشعر ببرد فى يديه ورجليه وخطر على باله ماقالت له امرأته فقال : لقد مت .

ثم استلقى على ظهره تحت شجرة وترك حماره سارحاً فى الفلاة فأتت الذئاب وفتكت بالحمار وهو يرى ويسمع ولم يكن منه إلا أنه رفع رأسه قليلا وقال للذئاب : ويحكم أيها الجبناء أتفتكون بحمار مات صاحبه ولا من يدافع عنه ؟ لو كنت حياً لأريتكم .

---

٤٢ — تصدق الحمار ولا تصدق هذه اللحية

طلب منه جاره أن يعيره حماره فقال : إن الحمار فى السوق . وما كاد يتم جحا هذه العبارة حتى بدأ الحمار ينهق بصوت منكر من داخل الاصطبل فقال جاره : يا شيخ هذا الحمار يملأ الدنيا

نهيقاً وأنت لاتعترف بوجوده ، فهز جحار أسه وقال: ما أغربك من رجل تصدق الحمـــار ولا تصدق هذه اللحية الشائبة؟

٤٣ — الذنب موجود

احتاج إلى دراهم فأراد بيع حماره فى السوق ، ولما كان فى الطريق رأى ذنب الحمار ملوثاً فاستقبح هذا المنظر ولم يكن منه إلا أن أخذ سكيناً وقطع الذنب ووضعه فى الخرج . ولما دخل السوق اجتمع عليـه المشترون ولـكنهم أحجموا عن الشراء لما رأوا ما فى الحمار من عيب فقال لهم : فلنتفق أولا على السعر والذنب موجود فى محل قريب .

٤٤ — مكافأة الضفـــادع

كان عائداً من مكان راكباً حمـاره فوصل فى طريقه إلى بحيرة وكان الحمـار قد عطش عطشاً لامزيد عليه فركض نحو البحيرة يريد إرواء ظمأه ، ولـكن الجهة التى داسها الحمـار فى إسراعه كانت مستنقعة زلقت فيهـا رجلاه ويداه وكاد يرمى صاحبه فى البحيرة .

وبينما كان جحا وحماره فى هذا الموقف الخطر إذا بالضفادع تنق نقيقاً شديداً أجفل الحمار ورجع إلى الوراء خائفاً وجلا وكانت هذه الصدفة الغريبة سبباً لنجاة الحمار وصاحبه ، فسر جحا من الضفادع سروراً لامزيد عليه ، فخطر على باله أن يكافئها فمد يده

إلى جيبه وأخرج قبضة من الدراهم فرماها فى البحيرة وقال يخاطب الضفادع : إليكن هذه الدراهم فاشترين بهـــا حلوى وكلنها هنيئاً مريئاً .

---

٤٥ — تفضل أيها البطل

كان يوماً ماراً فى مقبرة فرأى كلباً يبول على أحد القبور فأخذ عصاه وهجم عليه يريد ضربه فكشر الكلب عن أنيابه وأخذ ينبح ويهجم على الشيخ كأنه الذئب الكاسر . فخاف جحا وتقهقر إلى الوراء وقال يخاطب الكلب : تفضل أيها البطل الشجاع .

---

٤٦ — من يعطى الكثير لايبخل بالقليل

كان من عادة الشيخ أن يدعو الله فى وقت السحر ويطلب إليه أن يعطيه ألف ذهباً وأنه لايقبلها إذا كانت تسعمائة وتسعاً وتسعين وكان له جار يهودى يسمع فى كل يوم هذا الدعاء فأراد أن يجرّب جحا ، فأخذ ٩٩٩ ذهباً فوضعها فى كيس ولما جاء وقت السحر [illegible] عو حسب العادة رمى إليه بالكيس من المدخنة وراح ينظر ما يفعله الشيخ .

فما كان من هذا إلا أن حمد الله وشكره على تلبية دعائه وحمل الكيس بكل خشوع ووقار وبدأ يعد ما فيه فوجده مطلوبه إلا ذهباً واحداً فلم يبال بالنقص وقال إن الذى أنزل علىّ

٩٩٩ ذهباً لايبخل علىّ بذهب واحد . ثم أخذالكيس وخبأه فلما رأى اليهودى هذه الحالة أسرع إلى دار جحا ضاحكا وقال له : ردلى ذهبى فقدأردت تجربتك ومداعبتك لأعرف صدق ما تدعيه فى طلبك إلى الله . فقال جحا مستغرباً : أى دراهم تريد منى فهل سبق لك أن أعرتنى شيئاً ؟ قال اليهودى : ياسيدى الشيخ إن الدراهم هى غير مطلوبك وإنها دراهمى ألقيت بها إليك من المدخنة . قال : إنك ولاريب مجنون وهذه قصة لايصدقها أحد فهل سمعت فى زمانك أن يهودياً يخاطر بمثل هذه الدراهم ويرمى بها من المدخنة ؟ فإن ما نزل علىّ هو جواب دعائى من خزائن الله الواسعة . ودام الجدال بينهما على هذه الحالة وجحا لايتزحزح عن قوله ، ولما رأى اليهودى إصرار الشيخ على قوله ودعواه علم أنه لايمكن حسم هذا الخلاف إلا فى المحكمة فقال له هيا بنا إلى القاضى . قال جحا كما تريد ولكننى رجل شيخ لاأستطيع الذهاب إلى دائرة القاضى لأنهـــا بعيدة والطقس بارد وليس عندى من الثياب ما يردعنى شدة البرد . قال : أنا آتيك ببغلة وفروة . وهكذا سار اليهودى على رجليه وركب جحا الدابة وارتدى الفروة ، وذهبا إلى المحكمة فدخل على القاضى .

فبدأ اليهودى بقصته ودعواه ، ولما انتهى قال القاضى للشيخ وأنت ماذا تقول ؟ قال جحا : سله عما إذا كان أعطانى درهما بيدى يوماً من الأيام وقد أقام على هذه الدعوى لأنه سمعنى أعد

الدراهم ، والحقيقة أنى طلبت إلى الله ذهباً وهو سبحانه كريم قادر على إعطائى الكثير والقليل ، وأما هذا اليهودى الذى يدعى علىّ بالباطل فقد عرف عنه لو رأى شخصاً يموت جوعاً لما جاد عليه بقطعة من الخبز فكيف تصدق أنه يعطينى هذه القيمة الكبيرة



(جحا واليهودى أمام القاضى)

إنما هو يريد أن يمكر علىّ ويأخذ منى مالى ولو استطاع أن يدعى علىّ ببغلتى الموجودة فى الخارج لما تأخر. فدهش اليهودى من هذه القصة الجديدة فخاف أن تلحق البغلة بالدراهم فقال أو تنكر علىّ بغلتى أيضاً وقد أتيتك بها لتركبها لأنك ادعيت أنك شيخ عجوز

لا تستطيع المجيء إلى المحكمة ماشياً على قدميك . قال جحا أنصف ياسيدى القاضى واسمع هذه الدعوى الباطلة فإنى لست آمناً بعد اليوم على كل ما تملكه يداى وحتى على ما أرتديه من ملابس ولعله يقول إن هذه الفروة التى ألبسها له أيضاً .. فارتبك اليهودى وقال أو ليست هذه الفروة فروتى أيضاً ؟

فنهض عندئذ القاضى ووضع حداً لهذا الجدال بين الخصمين وقال لليهودى أخرج من هنا لقد ظهر لى بطلان دعوتك وفهمت حيلك وأكاذيبك إذهب فإنك تريد سلب هذا الشيخ المسكين .

فخرج اليهودى باكياً شاكياً ثم ركب جحا البغلة وعاد إلى داره مطمئناً ، فلما وصلها أرسل يطلب جاره اليهودى فجاءه هذا باكياً مستغيثاً فدفع إليه جحا دراهمه بتمامها وقال له: إياك بعد اليوم أن تتدخل بين الخالق والمخلوق وأن تزعج عباد الله تعالى . فكان هذا الدرس العملى أعظم واعظ لصاحبنا اليهودى لأنه كان يظن جحا مغفلا وما كان ينتظر منه هذه الأريحية الغريبة بعد ذلك العذاب الطويل فتاب على يدى الشيخ وطلب إليه أن يهديه إلى الإسلام وهكذا أسلم اليهودى على يدى الأستاذ .

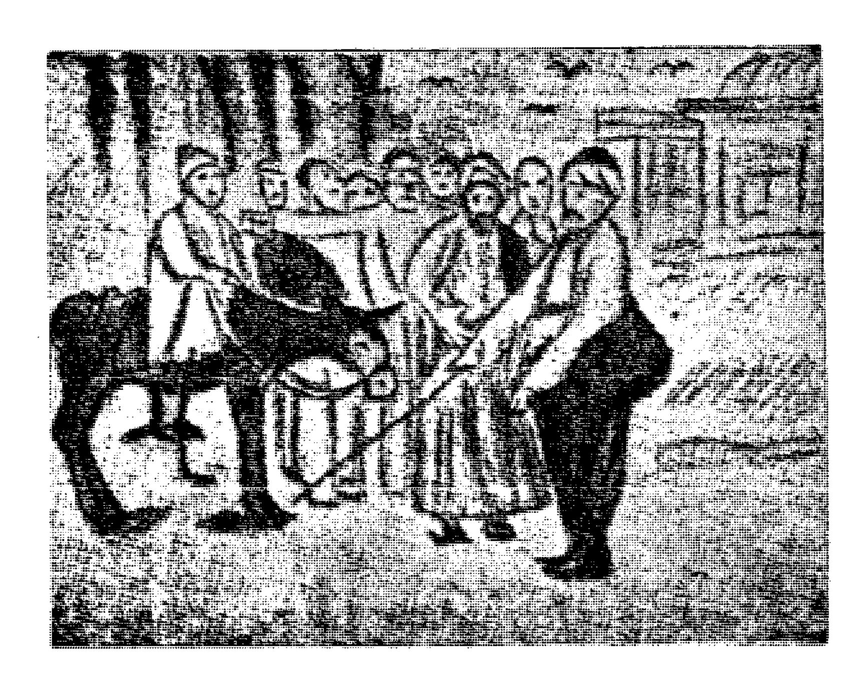
---

٤٧ — العالم فى حمار جحا

كان ثلاثة من الرهبان يسيحون فى أطراف البلاد ويتباحثون مع علماء كل بلدة يمرون بها . ولما وصلوا إلى بلاد الروم أرادوا

الاجتماع بمشاهير علمائهم فأشار بعضهم على السلطان أن يستدعى جحا لمناقشتهم لأنه كان من أهل الظرف والرقة .

فأقام السلطان مأدبة فى ساحة قصره ودعا إليها الشيخ والرهبان . ولما جاءت الدعوة إلى جحا امتطى صهوة حماره وسار إلى المكان المعين ، ولما أطلعوه على غاية الرهبان ، قال نبدأ بالجواب على أسئلتهم ثم نتمتع بالضيافة ، والتفت إلى الرهبان ، فقال : هاتوا أسئلتكم . فقام الراهب الأول وقال : أين هو يا سيدى وسط الدنيا؟



(جحا يرى الرهبان وسط الدنيا)

فأشار الشيخ بعصاه إلى حيث وضع حماره يده اليمنى وقال:

إن وسط الدنيا هى فى المكان الذى وضع فيه الحمار يده اليمنى تماماً.

قال الرهبان والدليل على ذلك قال إذا لم تصدقوا فعليكم بالكيل فإن بدا لكم ما يخالف قولى من زيادة أو نقصان فكذبونى .

ثم قام الراهب الثانى وقال : كم عدد النجوم ؟ فأجاب جحا فوراً : عدد شعر حمارى . قال أحد الرهبان : وكيف تعرف ذلك ؟ قال : إذا لم تكن تصدق قولى فعدها فإن كانت أكثر واحدة أو أقل واحدة فلك الحق بالكلام . قال السائل : وهل يعد شعر الحمار ؟ قال جحا : أو تعد نجوم السماء ؟

ثم قام الثالث وسأله : كم شعرة فى لحيتى هذه ؟ فقال جحا بدون تردد : بقدر ما فى ذنب حمارى من الشعر . قال الراهب : وكيف تثبت ذلك ؟ قال : بأن تقلع شعرة من لحيتك وأخرى من ذنب الحمار فإن اتفق المجموعان كان الحق بيدى وإلا فالحق بيدك . فضحك الرهبان من هذه الأجوبة اللطيفة السريعة وفتنوا برقة جحا ودماثة أخلاقه .

---

٤٨ — لولا نصيحة الصديق لقام الشمندر على رأسى

أقام تيمورلنك السفاح بعد أن وقعت بينه وبين السلطان يلدريم بايزيدخان وقعة أنقرة المشهورة مدة فى مدينة آقشهر وكان لجحا عند تيمورلنك مقام وحظوة ولهذا السبب سلمت المدينة من النهب والسلب وقتل الأنفس وجميع المظالم التى عرف

بها تيمور لنك حيثما وطئت قدماه .

ومن بعض نوادر الشيخ مع ذلك الظالم أنه أراد أن يهديه يوماً ثلاثة أجاصات فى غير أوانها فوضعها فى صينية وحملها قاصداً مقر تيمورلنك . ولما كان فى طريقه كانت الأجاصات تتدحرج على الصينية فقال لها الشيخ اهدئى مكانك وإلا أكلتك . ولكن الأجاصات كانت تتابع دحرجتها على الصينية كلما خطا جحا خطوة فلم يكن منه إلا أن أكل اثنتين انتقاماً وأبقى على الثالثة التى سر بها تيمورلنك سروراً عظيما وأعطاه لقاء ذلك جائزة كبيرة.

ولم تمض أيام حتى قاده الطمع بالجائزة أن يحمل لتيمور سلة شمندر (بنجر) وبينما هو فى الطريق لاقى صديقاً له فنصحه بأن يستبدل الشمندر (البنجر) بتين لأنه ألطف وأليق ، فراقت هذه الفكرة لدى صاحبنا وأسرع إلى السوق فاشترى سلة من أجمل أنواع التين وقدمه إلى تيمور ، ولكن الهدية لم ترق فى عين الظالم وخيل له أن جحا يهزأ به فأمر غلمانه أن يلصقوا التين على رأسه ضرباً وعلى وجهه فصدعوا لأمر سيدهم .

ولكن جحا كان كلما أصابته تينة يقول بصوت خافت «الحمد لله والشكر لله على لطفه وإحسانه» فسمعه تيمور فقال له: وعلام تحمد الله وأنت تتلقى هذه الضربات ؟ قال : أحمده على رفقه بى ورحمته لأنى كنت آتياً بسلة من الشمندر (البنجر) ولكن أحد أصدقائى أشار علىّ أن أرجع به وأقدم عوضاً

عنه سلة من التين فإن هذه الفاكهة أنسب وأطيب ففعلت ولو لم أسمع نصيحة ذلك الصديق لقام الشمندر على رأسى مقام التين فشجه وعلى عينى ففقأها وعلى أنفى فكسره فكيف لا أحمد الله على هذا التوفيق الغريب.

٤٩ — الرعب يأتي بالعجائب

طبخ يوماً أوزة وحملها ليهديها إلى تيمور لنك ولما كان فى الطريق تغلبت عليه شهوته فأكل منها فخذاً ولما رأى السلطان أنها ناقصة قال للشيخ : وأين رجلها ؟ فقال الشيخ إن جميع أوز المدينة برجل واحدة (وفى هذا تلميح إلى ما كان عليه تيمور من العرج) وإذا لم تكن تصدقنى فانظر إلى الأوز الموجود على ضفة البحيرة أمامك ، وكان الأوز عندئذ واقفاً فى الشمس ورافعاً إحدى رجليه ومخبئاً رأسه فى صدره كما هى عادته . فرأى السلطان ذلك وتظاهر بالقناعة ، ولكنه أصدر أمره خفية إلى الموسيقى السلطانية بأن تقترب من البحيرة وتضرب ضرباً شديداً ، وما هى إلا برهة حتى صدحت الآلات الموسيقية ودقت الطبول فجفل الأوز من هذه الضوضاء المزعجة وأخذ يتراكض يميناً وشمالا خائفاً مذعوراً .

فالتفت تيمور إلى الشيخ وقال له : كيف تكذب علىّ ؟ أما ترى أن الأوز يمشى على رجلين؟ فقال جحا : ولكنك يامولاى

نسيت أن الرعب يأتى بالعجائب ، ولو أصابك أنت من الرعب ما أصاب الحيوانات الضعيفة لرحت تمشى على أربع أرجل .

---

٥٠ — الحكم عن خبرة

تولى القضاء فجاءه يوماً رجل يدعى على آخر أنه عضه فى أذنه ، فدافع المدعى عليه قائلا بأنه هو الذى عض أذن نفسه . قال جحا إصبرا قليلا حتى أعود إليكما فأحكم بينكما . ثم دخل إلى داره وأخذ يجرب بأن يعض أذن نفسه ويقرب أذنه من فمه ، وبينما هو يشد أذنه وقع على الأرض فشج رأسه ، فربط موضع الشجة وخرج إلى المحكمة .

فتقدم إليه المدعى وقال له : أنصفنا يامولاى هل ترى فى الإمكان أن يعض الإنسان أذن نفسه ؟ قال جحا نعم يا ولدى يعض الإنسان أذن نفسه ويقع على الأرض فيشج رأسه أيضاً .

---

٥١ — ذهب اللحاف وانتهى الخلاف

سمع ذات ليلة ضوضاء أمام داره فأراد أن يعرف سببها وكان الليل قد انتصف ، فقالت له امرأته : نم فى فراشك فما يعنيك مما يجرى خارجاً فى هذه الساعة . فلم يعبأ بقولها بل التف بلحافه خشية البرد القارس وخرج .

وبينما هو يسير بين الناس المجتمعين ليفهم سبب الضوضاء

إذا برجل مجهول اغتنم فرصـــة الظلام الحالك فسحب عنه اللحاف وراح يعدو هارباً ، فالتفت الشيخ عن يمينه وعن يساره فلم ير من شدة الظلام أحد ، فبينما هو كذلك إذا بالمتجمهرين يتفرقون حتى لم يبق أحد فأحس ببرد شديد وصار يرتجف فركض إلى داره ، فلاقته امرأته فى الباب وسألته عن سبب الضوضاء فقال : ذهب اللحاف وانتهى الخلاف .

---

٥٢ — فى أحد الليالى المقمرة

خيل له وهو ينظر إلى الجنينة أن جثة عظيمة ملقاة فى أرضها فأيقظ امرأته وقال لها : هاتى القوس والنشاب حالا ، فأحضرتهما له فأخذهما وأحكم النشاب فى القوس ورمى الجثة فى بطنها فأصابها ، فاطمأن باله وعاد إلى فراشه .

ولما أصبح الصباح خرج إلى الجنينة يبحث عن الجثة فلم ير إلا قفطانه وقد خرقه النشاب فى مكان السرة تماماً فما تمالك أن خرّ ساجداً لله يشكر الله على لطفه ونعمه .

فقالت له امرأته : وما شأنك ؟ وعلام هذا الحمد ومثل هذا الخشوع ؟ فقال لها : ويحك أيتها المرأة البلهاء ألا ترين الضربة كيف أصابت السرة تماماً وخرقت القفطان ، ولو كنت لابسه ماذا كان جرى لى ؟ ثم انزوى منقبض الوجه وانحنى وأخذ يمسك بطنه بيديه ويجهر بالحمد لله تعالى .

٥٣ — عنـــدما كنت حياً

خرج يوماً ليحتطب ، فصعد شجرة ليقطع غصناً منها فوقف على الجانب الذى يقطعه ، فقال له أحدهم : يارجل ماذا تصنع؟ الآن تقع .



(جحا يقطع الغصن)

فلم يعره أذناً صاغية . ولمـا انتهى من قطع الغصن سقط به على الأرض وارتض جسمه وشج رأسه فتحمل آلامه وأسرع إلى ذلك الرجل قائلا : يا ولدى الآن علمت بأنك من أهل

الكشف لأنك أخبرتنى أنى سأقع فأخبرنى عن زمان موتى ،



وتعلق بأذياله راجياً ولم يدعه يذهب فى سبيله . فلما أعيت الرجل الحيلة ولم يجد سبيلا للخلاص من هذه الورطة قال له : متى حملت حمارك حطباً ونهق النهقة الأولى خرج نصف روحك فإذا نهق الثانية خرجت كلها . واستأنف الرجل السير فى طريقه .

وسار جحا بحماره فمر بقافلة فيها حمير فنهق حماره فقال جحا هذه أول سكرات الموت ، وبعد قليل نهق الحمار ثانية فانتفض جحا وقال : أى والله لقد مت [illegible] انطرح على الأرض كالأموات

فمر به بعض أهل القرى القريبة فظنوه ميتاً فأحضروا تابوتاً ووضعوه فيه وذهبوا إلى البلدة ، فاعترضهم فى طريقهم مستنقع عسر المرور فوقفوا يتشاورون كيف يجتازون تلك الوحول من هنـــا أم من هناك وأى الطرق أقرب وأسهل . وبينما هم



(جحا فى التابوت)

كذلك أخرج جحا رأسه من التابوت وقال لهم مشيراً إلى إحدى الجهات : لمـا كنت حياً كنت أمر من هناك ، ومع ذلك فأنتم مخيرون .

٥٤ — ليته يجد شيئاً

دخل لص إلى دار جحا فقالت له امرأته بلهفة : ألا ترى اللص يدور فى البيت ؟

فأجابها الأستاذ بكل تأن : لا تهتمى به فياليته يجد شيئاً فيهون علينا أخذه من يده .

---

٥٥ — أتريد أن أبعد أكثر ؟

قالت له امرأته ذات ليلة : ابتعد عنى قليلا فأسرع إلى حذائه وأخذه ومشى مسافة ساعتين إلى أن لقى أحد معارفه فقال له : إذا صادفت امرأتى فقل لهـا أتريد أن أبعد أكثر مما بعدت ؟

---

٥٦ — المعلاق والفأس

كان كلما يأتى بمعلاق إلى داره تطبخه امرأته وتطعمه لصديقاتها وعند المساء لاتضع أمامه إلا الخبز . فقال لها ذات يوم : أيتها المرأة إنى كلما أتيت بمعلاق لايحصل لى نصيب من أكله ، فأين تذهبين به ؟

فقالت : كلما طبخت معلاقاً جاء الهر فيأكله .

وما أتمت كلامهـا حتى قام وأخذ فأسه المعلق وخبأه فى الصندوق وقفل عليه .

فقالت له امرأته : ومن تخبىء الفأس ؟ قال : من الهر !

فقالت متعجبة : وماذا يصنع الهر بالفأس ؟ فأجابها : إن الذى يأخذ معلاقاً بقرشين ألا يطمع بفأس قيمته أربعون قرشاً .

٥٧ — الغراب أحوج منا

ذهب وامرأته لغسل أمتعتهما على شاطىء بحيرة ، فلما وصلا ووضعا الأمتعة وجعلا عليها الصابون ، انقض غراب فاختطف لوح الصابون وذهب به طائراً فى الفضاء . فصاحت امرأة جحا : قم إلحق ، الغراب سرق الصابون . وجعلت تكثر من الصياح فأجابها بكل برود : لماذا تضطربين ؟ أليست ثياب الغراب أوسخ من ثيابنا فهو أحوج منا إلى الصابون .

٥٨ — ابن أبيه

سأل بعضهم ابناً لجحا : ماهو الباذنجان ؟ فقال : هو فرخ الجاموس الذى لم يفتح عينيه بعد ، فسمعه أبوه فقال متعجباً : هو ابن أبيه فو الله لم يعلمه ذلك أحد .

٥٩ — نصف الرأس

حلق يوماً عند المزين (الحلاق) وأعطاه درهما ، وعاد فى الأسبوع الثانى فحلق عنده ، ووقف المزين أمامه على العادة ليقبض أجرته فقال له جحا : ياصاحبى أنت تعلم أنى أقرع وشعر رأسى يعادل نصف رأس فهلا تجعل لى الحلاقتين ، هذه وتلك بدرهم واحد ؟

٦٠ — زوجوا من أكلوا الهريسة

أقيمت وليمة عرس لجحا لحضرها أصحابه وأهله ، وأخذوا يأكلون الطعام المهيأ لهم وكان من الهريسة وجحا يحبها كثيراً ، لكنهم نسوا أن ينادوه ليأكل معهم ، فاغتاظ منهم وخرج . وسألوا عنه بعد ساعة فلم يجدوه ، فأرسلوا من يبحث عنه ، وأخيراً وجدوه عند أحد أقربائه فأحضروه وقالوا له : كيف غبت والليلة زفافك ؟

فقال : لا حاجة لي بالزواج ، زوجوا من أكلوا الهريسة .

---

٦١ — البغلة عسراوية

كان مسافراً مع جماعة ، ونزلوا للراحة في مكان ، ثم أرادوا استئناف السفر ، فطلب بغلته فأحضرت له ، فوضع رجله اليمنى في الركاب وقفز فجاء ركوبه مقلوباً ، فضحك من رآه ، فقال لهم : أنا لم أركب بالمقلوب ولكن البغلة عسراوية .

---

٦٢ — نقطة من عرق حماد

رأوا على ثياب جحا نقطة حبر سوداء فسألوه عنها فقال : لا أدري ولكن أتذكر أن تلميذي حماد الحبشي جاءني أمس عرقاناً فقبل يدي وأظنها نقطة من عرقه .

٦٣ — لاتسموا أولادكم إيوب

طلع على المنبر يوماً وقال : أيها المسلمون ، لا أريد أن أعظكم بشيء . . إياكم أن تسموا أبناءكم باسم أيوب لأنه بتكراره يصير « إيب » — ومعنى إيب بالتركية حبل .

---

٦٤ — رجلى اليسرى غير متوضئة

توضأ ذات يوم وكان الماء قليلا فبقيت رجله اليسرى بغير غسل ، فلما وقف للصلاة رفعها كما يرفع الأوز رجله ، فقالوا له : ماذا تصنع ؟ فقال : رجلى اليسرى غير متوضئة ! . .

---

٦٥ — كيف أعرف جانبي الأيمن

جاءه ضيف ونام عنده فلما كان منتصف الليل أفاق الضيف ونادى جحا قائلا : ناولنى يا سيدى الشمعة الموضوعة على يمينك . . فاستغرب جحا طلبه وقال له : أنت مجنون ! . كيف أعرف جانبي الأيمن فى هذا الظلام الدامس ؟

---

٦٦ — برج التيس

سألوه يوماً : ما هو طالعك ؟ فقال : برج التيس ، قالوا : ليس فى علم النجوم برج اسمه برج تيس . فقال : لما كنت طفلا فتحت لى والدتى طالعى فقالوا لها إنه فى برج الجدى . والآن

قد مضى على ذلك أربعون عاماً فلا شك أن الجدى من ذلك الوقت قد صار الآن تيساً وزيادة !

٦٧ — نادوا غيرى يلقنه

مات حاكم « سيورى حصـــار » وكانت بينه وبين جحا خصومة فلما أرادوا دفنه طلبوا جحا ورجوا منه أن يلقنه بعد الدفن . فأجابهم : لا . ابحثوا عن رجل غيرى يلقنه فإنه لا يصغى لكلامى لمـا بيننا من المشاجرة التى تعرفونها .

٦٨ — على القاضى

أحدث كلب فى شارع بين بيتين ، فاختلفا صاحبا البيتين فيمن يجب عليه أن يرفع الروث وتنازعا وانتهى أمرهما إلى القاضى فدخلا عليه وجحا عنده .

فلما حدثاه بخبرهما أراد القاضى أن يداعب جحا فقال له : افصل أنت هذه الدعوة بينهما . . فالتفت جحا إلى الرجلين بلا تردد وقال : المسألة واضحة ، فإن الروث قد وقع فى الشارع العام وليس على أحدكما أن يرفعه وإنما هو على مولانا القاضى .

٦٩ — البقرة المذنبة

اختطف عجل له حزمة من الكلأ (الحشيش) وأخذ يركض بها هنا وهناك فغضب جحا وأسرع إلى البقرة فانهال عليها ضرباً بعصاه

الغليظة فرآه جاره فقال له : لماذا تضربها . هل أتت ذنباً ؟

فقال : نعم يا سيدى هى المذنبة لا ابنها لأنها هى التى ربته وعلمته هذه الأعمـال . . .

---

٧٠ — القمر القـديم

كان جحا ماراً ذات يوم بالقرب من أحد الأودية فاعترضه راع وسأله : هل أنت فقيه ياسيدى ؟ فقال نعم . فقال الراعى : انظر إلى هذا الوادى وإلى هؤلاء المطروحين فيه فإنى قتلتهم جميعاً لتظاهرهم بالعلم ولعجزهم عن جواب واحد سألتهم إياه . فقال : وما سؤالك ؟ قال : إن القمر حينما يكون هلالا نراه صـغيراً ثم يكبر ويصير بحجم الدولاب ويعود فيصغر إلى أن يغيب ويطلع غيره فماذا يصنعون بالقديم ؟

فتنحنح جحا وقال : أسفاً على هؤلاء الجهلاء أمافيهم من كان يعرف أن الأقمار القديمة تخبأ للشتاء ثم يعمل منها البرق .. فانطرح الراعى على يدى الشيخ يقبلهما ويقول : والله هذا الذى كان يخطر لى .

---

٧١ — مرق مرق الأرنب

أهداه فلاح أرنباً فأكرمه جحا كثيراً إلى أن انصرف وعاد فى الأسبوع الثانى فلم يعرفه جحا فسأله من حضرته . فقال

أنا ياسيدى الذى أحضرت الأرنب منذ أسبوع فأحسن مقابلته.

وبعد بضعة أيام جاءه أربعة من الفلاحين فسألهم من أنتم؟ فقالوا: نحن جيران صاحب الأرنب. فرحب بهم وأكرمهم. وبعد أسبوع جاءه عدداً آخر من الفلاحين وأخبروه أنهم جيران جيران صاحب الأرنب، فنهض الشيخ فى الحال وأحضر لهم ماعوناً فيه ماء ساخن. وقال: تفضلوا. فلما أرادوا أن يأكلوا استغربوا ماوجدوا فقالوا: ما هذا ياسيدنا الشيخ؟ فقال: هذا مرق مرق الأرنب ياجيران جيران صاحبه!

---

٧٢ — ولماذا أنزلتنى أنت؟

كان فى الغرفة العليا من منزله، فطرق بابه، فأطل من النافذة فرأى رجلا، فقال: ماذا تريد؟ قال: انزل إلى تحت لأكلمك. فنزل، فقال الرجل: أنا فقير الحال أريد حسنة يا سيدى.

فاغتاظ جحا منه ولكنه كظم غيظه وقال له: اتبعنى. وصعد إلى أعلى البيت والرجل يتبعه، فلما وصل إلى الطابق العلوى التفت إلى السائل وقال له: الله يعطيك!

فأجابه الفقير: ولماذا لم تقل لى ذلك ونحن تحت؟

فقال: وأنت لماذا أنزلتنى ولم تقل لى وأنا فوق؟

---

٧٣ — اعطني جبتي وخذ بردعتك

نزل يوماً عن حماره لقضاء حاجة في مكان خال ، ووضع جبته على ظهر الحمار . فمر به سارق فسرق الجبة . وعاد جحا فلما لم يجد الجبة أهوى بعصاه على الحمار وجعل يضربه ويسأله أين الجبة ؟



(جحا وحماره)

وأخيراً أعيته الحيلة لأن الحمار لم يخبره ، فأخذ بردعته ووضعها على ظهره وجرّه قائلا : اعطني جبتي لأعطيك بردعتك.

---

٧٤ — طريق في الشجرة

كان مع جماعة من الشبان في نزهة فاتفقوا فيما بينهم على أن

يسرقوا حذاءه فقالوا : من يقدر على صعود هذه الشجرة ؟ فقال جحا أنا أصعدها . فقالوا : لا تقدر . فاغتاظ منهم وجمع أطراف ثيابه وخلع حذاءه ثم وضعه فى عبه جيداً ، وقال : انظروا كيف أصعد



(جحا يتهيأ لصعود الشجرة)

فسألوه : لماذا تجعل حذاءك فى عبك وأى حاجة إليه فى الشجرة ؟ فقال : من أين تعرفون يا أولادى ؟ فربما أجد طريقاً فى الشجرة إلى البيت فأذهب منه .

---

٧٥ — كان يسابق الطير

دعاه تيمورلنك لركوب دابته والدخول فى ميدان السباق

ولعب الجريد ، فذهب إلى الاصطبل وركب ثوراً هرماً وجاء به ، فلما رآه الناس ضحكوا وضجوا .



(تيمور لنك وجحا على الثور)

فسأله تيمور لنك : كيف تدخل ميدان السباق وأنت راكب الثور ؟ فأجابه الشيخ : إنني جربت هذا الثور منذ عشر سنوات فكان يسابق الطير في ركضه فكيف يكون الآن ؟

---

٧٦ — ركوبي مقلوباً أولى

ذهب لإلقاء الدرس في الجامع ومعه مريدوه وتلاميذه

فركب حماره مقلوباً . فتعجبوا منه وقال له أحدهم : لماذا تركب
هكذا يا سيدى ؟



(جحا وتلاميذه)

فقال : وماذا أصنع ؟ إننى إذا ركبت مستقيما تبقون خلف
ظهرى ، وإذا مشيتم أمامى أبقى خلفكم ، فركوبى مقلوباً أولى .

---

١٧ — صعود البقر لم يخطر ببالى

أراد جحا تخبئة نقود كانت معه فحفر حفرة فى دائرة ودفنها
ورجع قليلا فتأمل بها فلم يعجبه مكانها ، فأخرجها ووضعها فى

مكان آخر ثم خطر له أن هذه المواضع كلها خطرة وأطل من نافذة بيته فرأى تلة عالية فأسرع بالنزول إلى بستانه وقطع عموداً من شجرة وجعل الدراهم فى صرة وربطها فى رأس العمود وحمله إلى أعلى التل فغرسه فى قمتها ونزل ، فنظر إلى الصرة وأعجبه مكانها وقال : لو كان الإنسان طائراً لما أمكنه الصعود إلى رأس هذا العمود . وذهب إلى بيته مرتاح النفس مطمئن البال .

وكان قريباً منه لص يراقبه فلما انصرف الشيخ جاء اللص واقتلع العمود وأخذ الدراهم وأعاده بعد أن لطخه بروث البقر.

وعاد الشيخ يريد بعض الدراهم فلم يجد الصرة ورأى روث البقر ، فتأمل طويلا وقال : سبحان الله كنا نخشى البشر فصرنا نخاف البقر . والله ما كنت أظن البقر يستطيع الصعود .

٧٨ — لو كان عندى

رأى فى طريقه جماعة من طلبة العلم فدعاهم إلى تناول الحساء (الشورباء) معه ، فأجابوا الدعوة وتبعوه إلى بيته . فدخل على زوجته وأمرها بتهيئة الحساء . فقالت : وأين السمن والأرز ؟ فتذكر جحا أن ليس عنده مايطبخ به الحساء فحمل الوعاء فارغاً وأقبل على الطلبة المدعوين وقال لهم : كانت نيتى لو كان عندى سمن وأرز أن أقدم لكم الحساء بهذا الوعاء ، وتركهم وعاد .

٧٩ — لو خلعت ثيابك لما تبللت

ذهب يوماً مع تيمور لنك للصيد وقد أركبوه جواداً بطىء الحركة ، فهطلت أمطار غزيرة فأسرع السلطان وحاشيته بالرجوع وانقطع جحا فى البرية ، فلما رأى نفسه منفرداً خلع



(جحا عارى الجسد)

ثيابه ووضعها تحته وسار على جواده إلى أن انقطعت الأمطار فلبس ثيابه وواصل السير إلى أن دخل على تيمور لنك فنظر إليه هذا متعجباً وقال له : كيف لم تبتل ثيابك ؟

فقال : الفضل للجواد يامولاى . فظن السلطان أن الجواد

أسرع به وأوصله قبل أن تبتل ثيابه . فأمر بأن يجعل الجواد في عداد خيله الخاصة .

ولما كان اليوم الثاني خرج السلطان للصيد على عادته وركب ذلك الجواد فاتفق نزول الأمطار وابتلت ثياب السلطان فلما وصل إلى المقر طلب جحا ووبخه على كذبه ، فأجابه الشيخ : لماذا تسخط عليّ وأنت لو خلعت ثيابك عند نزول الأمطار كما فعلت أنا لما كان أصابها شيء من البلل .

---

٨٠ — إذا رأى الجوز يخرج

كانت زوجته حاملا ولما جاء وقت الوضع عسر عليها الطلق فارتفع ضجيج النساء وجئن إليه يقلن له : إدع لها أن يسهل عليها الوضع وإلا ماتت أو اختنق المولود ، فهز رأسه وخرج مسرعاً إلى السوق فاشترى مقداراً من الجوز وعاد فاقترب من الكرسي الجالسة عليه امرأته ووضع ما معه من الجوز تحت الكرسي وقال : لعل الولد إذا رأى الجوز يخرج ليلعب به .

---

٨١ — أبكي على المرحومة أمك

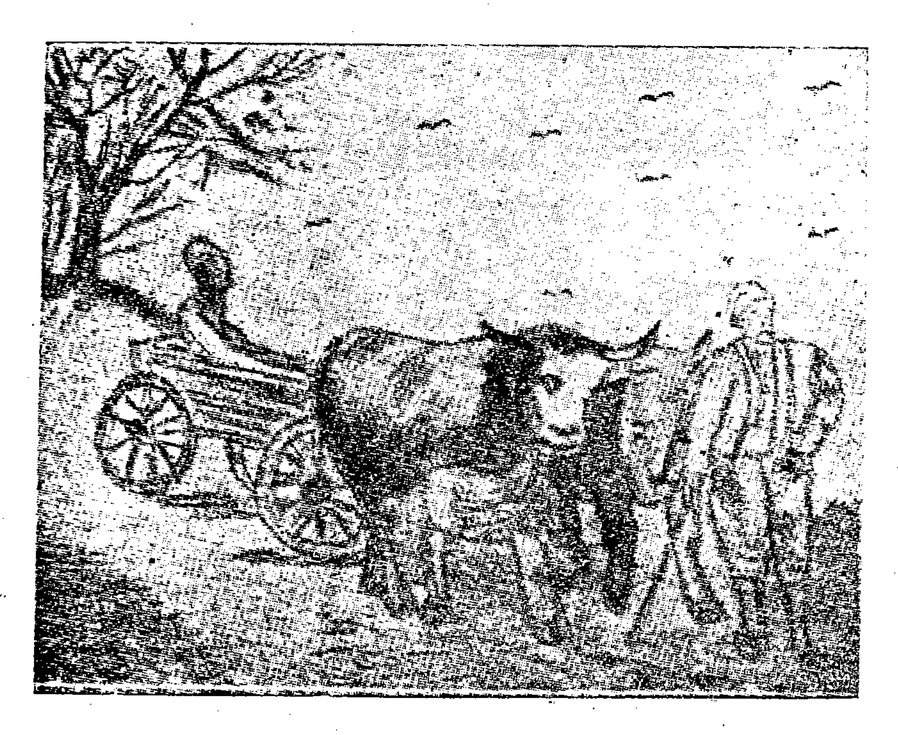
جلس مع زوجته لتناول الطعام فأخذت قبله ملعقة من الشورباء وكانت حارة جداً فدمعت عيناها ، فسألها عن سبب بكائها ، فقالت : تذكرت المرحومة أمي فإنها كانت تحب هذا النوع من الشورباء .

ولكن جحا ما كاد يبتلع ما فى ملعقته حتى سالت دموعه بكثرة فسألته : ولماذا أنت تبكى الآن أيضاً ؟ فقال : على المرحومة أمك التى ماتت وتركتك لى .

---

٨٢ — من شوقى نسيت ثيابي

سمع صباح يوم حركة عربة وكان نائم فى الفراش. فسأل ، فعلم أن العربة ذاهبة إلى وطنه « سيورى حصار » فنهض فى الحال ولحق العربة فتعلق بها عارياً .



(جحا فى العربة عارياً)

وركب وهى سائرة حتى وصل إلى القرية ورآه أهلها فتعجبوا من عريه وقالوا له : ما هذا يا سيدنا ؟

فقال : شوقى إليكم أنسانى ثيابى فى البيت .

---

٨٣ — نلت مرادى

كان عند جحا ثور عظيم القرنين حتى كأنهما قوسين ، وبينما الثور راقد تأمل فيه وتمنى لو يجلس ساعة بين قرنيه ، فتقدم متأنياً وقفز إلى رأس الثور فركبه وأمسك القرنين وذعر الثور فنهض قائماً وانتفض فسقط الشيخ على الأرض مغمى عليه



(جحا مغمى عليه)

فأسرعت إليه زوجته وظنته قدمات فأخذت بالصياح فأفاق من غشيته وقال : لا تبكى لا تبكى يا عزيزتى فأنا وإن أصابتنى هذه الأوجاع فقد نلت مرادى .

٨٤ — أظنك لم تسمع كلامى وأغضبت أمك

ابتاع جحا حماراً من السوق وأتى به يجره خلفه فرآه اثنان من العيارين فاتفقا عليه وتقدم أحدهما فخلع الرسن من رأس الحمار بخفة وربط رأسه بالرسن ومشى خلف الشيخ وعاد الثانى بالحمار .

ولما وصل الشيخ إلى البيت التفت إلى الحمار فرأى الرجل والمقود فى رأسه فعجب من أمره وقال له : من أنت ؟

فوقف العيار باكياً يمسح دموعه وقال : ياسيدىأنا رجل جاهل أغضبت أمى فدعت علىّ أن يمسخنى الله حماراً فاستجيب دعاؤها وباعونى لك فى السوق . وببركتك ويمنك قد رجعت الآن إنساناً . وانطرح على يدى الشيخ يقبلهما داعياً شاكراً. فصدقه الشيخ وأطلقه بعد أن نصحه بأن يطيع أمه ويرضيها .

وفى اليوم الثانى نزل جحا إلى السوق لشراء حمار آخر فرأى الحمار نفسه فعرفه فتقدم منه فوراً وهمس فى أذنه قائلا : أظنك لم تسمع كلامى وأغضبت أمك ياقليل الأدب ، والله لن أشتريك.

٨٥ — لعل للدار بابين

دعا بعض الطلبة إلى داره ودخل يفسح لهم الطريق فلما رأى زوجته قال لها : فى الباب ضيوف أرى أن تصرفيهم بحكمتك .

فأقبلت عليهم زوجته وقالت من وراء الباب : ماذا تريدون؟ فقالوا : نريد الشيخ . قالت : ليس هنا .

فاستغربوا وقالوا : الآن دخل وقد حضر معنا وهو الذى دعانا . فأصرت على كلامهـــا ، واحتدم الجدال بينها وبينهم



فتضايق جحا وأطل من النافذة وقال لهم : لماذا تجادلون المسكينة فلعل للدار بابين وقد خرج من أحدهما .

٨٦ — بلبـــل عادى

دخل بستاناً وصعد شجرة مشمش ثم وقف يأكل منها فجاء صاحب البستان فلما رآه صاح به : ماذا تفعل هنا ؟ فقال : أنا بلبل أغرد .



(جحا على الشجرة يغرد كالبلبل)

فقال البستانى : غرد لنسمع . فأخذ الشيخ يصفر مقلداً البلبل ، فضحك الرجل وقال : أهكذا تغرد البلابل ؟ فأجابه الشيخ : البلبل العادى لايغرد أفضل مما سمعت . . .

٨٧ — أزرع الجانب الآخر كتانا

حلق له مزين بليد فجرحه عدة جراح ووضع عليها قطناً فشعر جحا بذلك ونهض قائماً ، فقال له : اصبر حتى تنتهى . فأجابه : كفى فقد زرعت نصف رأسى قطناً وأريد ان أزرع النصف الآخر كتانا .

---

٨٨ — جحا أكبر أم أبنه

قال له ابنه يوماً : يا والدى أنا أتذكر يوم ولادتك ، فشتمته أمه وأسكتته ، فنظر إليها جحا وقال : لماذا تشتمينه فربما كان يتذكر ذلك منذ صغره .

---

٨٩ — الحمد لله أخرجت المسكين من البئر

نظر ليلة إلى البئر فرأى خيال القمر فى الماء فقال : مسكين هذا القمر كيف سقط فى البئر . وحاول إخراجه فجعل يحرك الدلو فى الماء ليصعد القمر به ، فعلق جانب الدلو بحجر فشده جحا واعتقد أن ثقل القمر هو الذى عاقه عن الارتفاع ، وبينما هو يشد بكل قوته انحرف الدلو عن الحجر فسقط الشيخ على ظهره فرأى القمر فى السماء فقال : الحمد لله ، لقد تكسرت أضلاعى ولكنى أنقذت هذا المسكين . . .

---

٩٠ — اختبأت خجـلا منك

شعر جحا بوجود لص فى داره ليـلا ، فقام إلى خزانة الفراش واختبأ بهـــا ، وبحث اللص عن شىء يسرقه فلم يجد فرأى الخزانة فقال : لعل فيها شيئاً ، ففتحها وإذا بالشيخ فيها ، فاختلج اللص ولـكنه تشجع وقال : ماذا تفعل هنا ياشيخ ؟

فقال : لا تؤاخذنى يا سيدى فإنى عارف بأنك لن تجد ماتسرقه ولهذا استحيت واختبأت خجلا منك .

---

٩١ — لعله خرج

أضاع جحا خاتمه فى داخل بيته فبحث عنه فلم يجده فخرج من البيت وجعل ينظر أمام الباب ، فسأله جاره : ماذا تصنع؟ فقال : أضعت خاتمى فى البيت ، فقال : ولـماذا لا تفتش عليه فى البيت ؟ فأجابه : الظلام حالك فى الداخل فلعله قد خرج .

---

٩٢ — الشاهد من نوع القضية

تولى جحا القضاء فى أحد البلاد فجاءه ذات يوم رجل يصيح بصوت عال : يا سيدى القـاضى لقد سرقت طبورتى ووجدتها فىالسوق مع فلان فخذها لى منه . فهدأ القاضى(جحا) خاطره ، ونادى المحضر وأمره أن يذهب إلى السوق ويأتى بالرجل ولـما جاء به سأله جحا عن دعوى المدعى . فأجاب : إن الطنبورة هى ملـكى وقد اشتريتها من بلدة ثانية .

فسأله جحا : هل عندك شهود ؟ فقال : نعم . وأحضر فى الحال شاهدين . فسألهما جحا عن شهادتهما ، فقالا نشهد أن هذه الطنبورة لهذا الرجل وعلامتها أنها مكسورة من أعلاها ومفاتيحها رخوة وفى أسفلها شريط .

وكانت كذلك طبعاً . فأراد جحا أن يحكم للمدعى عليه ، فاعترضه المدعى قائلا : أريد تزكية الشاهدين قبل الحكم فى القضية ، وإنى أجرح شهادتهما بكون أحدهما بائع خمر والثانى خليع .

فتأمل الشيخ قليلا ثم رفع رأسه قائلا : وهل يحتاج مثل هذين الشاهدين إلى تزكية أعظم مما تقول ، وأى شاهدين أحسن منهما لدعوى طنبورة ؟

---

٩٣ — خذ منه الجزاء فأنا مستعجل

كان جحا ماراً فى السوق يوماً فجاءه رجل من خلفه وصفعه صفعة شديدة فالتفت إليه وقال : ماهذا ؟

فاعتذر له الصافع بقوله : عفواً يا سيدى الشيخ ، ظننتك أحد أصدقائى الذين لا تكليف بينى وبينهم .

فلم يتركه الشيخ وساقه إلى المحكمة حيث رفع الأمر القاضى ، واتفق أن الرجل كان من أصدقاء القاضى فلما رآه مع جحا وسمع دعواهما حكم على جحا بأن يصفع الرجل كما صفعه فلم يرض جحا بذلك .

فقال القاضى : ما دمت غير راض عن هذا الحكم فإننى أحكم بأن يدفع لك عشرة قروش جزاء نقدياً . وقال للرجل: اذهب واحضر لنا الدراهم ليأخذها الشيخ .

وهكذا فسح القاضى المجال لفرار الرجل فانتظر جحا عدة ساعات على غير فائدة . . وأدرك عند ذلك أن القاضى خدعه وصرف الرجل . فنظر إلى القاضى فرآه غائصاً فى أشغاله فتقدم



(جحا يصفع القاضى)

حتى قاربه وصفعه صفعة دوى لها المكان وقال : يامولاى القاضى

أنا مشغول جداً وليس عندى وقت للانتظار فأرجو أن تأخذ الدراهم متى جاء بها الرجل . . وخرج !

---

٩٤ — نعوذ بالله

سأله تيمور لنك يوماً قائلا : تعلم يا نصر الدين أن خلفاء بنى العباس كان لكل منهم لقب اختص به فمنهم « الموفق بالله » و « المتوكل على الله » و « المعتصم بالله » وما شابه ذلك ، فلو كنت أنا واحد منهم فماذا كان يجب أن أختار من الألقاب ؟

فأجابه الأستاذ على الفور : ياصاحب الجلالة لاشك بأنك كنت تدعى بلقب « نعوذ بالله » . . !

---

٩٥ — ما الذى أضاعتـــه ؟

قال له يوماً أحد أصحابه : إن امرأتك قد أضاعت عقلها. فنظر إليه جحا ثم وضع يده على جبهته وجعل يفتكر وأطال ، فقال له صديقه : بماذا تفكر ؟

فأجابه : تقول إن امرأتى أضاعت عقلها ، وأنا على يقين بأنها لاعقل لها ، فدعنى أفتكر فى ماهو الذى أضاعته ياترى .

---

٩٦ — لم أسامرها فى حديث

ذهب يوماً إلى المحكمة وأخبر القاضى بأنه عازم على تطليق امرأته .

فقال القاضى : اسألوه ما اسم امرأته وما اسم والدها ؟

فقال جحا : لا أعلم !

فقال القاضى : منذ كم سنة تزوجت ؟

قال : منذ بضع سنين . ولكننى لم أسامرها فى حديث ولم تكن بينى وبينها ساعة صداقة لأسألها عن اسمها أو اسم أبيها .

---

٩٧ — المسمار يقوم مقام الرماد

أوصته امرأته بأن يأتيها بدقيق فحم اصبغ الخطوط وأعطته كيساً لذلك ، ولما لم يجد دقيق فحم ذهب إلى مكان الحريق ووضع شيئاً من المسامير فى الكيس وعاد إلى البيت فأعطاها إلى امرأته فلما رأت المسامير تعجبت وقالت : ما هذا ؟

فأجابها : أيتها المرأة إنك لا تعلمين أن عند من يقرأ حكم الكل والأكثر سواء فالمسمار يقوم مقام الرماد (لأن لفظة أكثر وأكسر وكل متجانسة بالتركية ومعنى أكثر مسمار وكل رماد)

---

٩٨ — اسألينى واسألى الخروف

سمع وقع أقدام لصوص ذات ليلة هو وامرأته فصمت قليلا وفى تلك البرهة ثغى خروف الشيخ فقال أحد اللصوص لرفاقه إن لم نحصل على شىء فى هذه الليلة ، فلندخل هذا البيت ونقتل

الشيخ وذبح خروفه ونأكله ونخطف امرأته .

فأخذ الشيخ حينئذ بالسعال المتوالى بجلبة وضوضاء ، ففر اللصوص ، فقالت له امرأته : كأنك خفت فسعلت وعملت هذه الجلبة .

فأجابها فوراً : طبعاً إذ لاشيء يهمك . إنما اسأليني واسألي الخروف .

---

٩٩ — وهنا مرحاض

جاء ببناء ليبني له داراً ، فأخذ الرجل يشير عليه ويقول له: نبني هنا غرفة ، وهنا إيواناً ، وهناك بيت مئونة ، وأخذ يطلع وينزل من الطابق العلوى إلى السفلى ، وفيما هو كذلك خرج منه ريح فقال له الشيخ : وهنا نبني مرحاضاً .

---

١٠٠ — إذا كان له جار عمره ٢٠

سأله بعضهم : هل يلد لرجل عمره مائة سنة ولد ؟ .
فأجاب : نعم إذا كان له جار عمره ٢٠ .

---

١٠١ — أعرفه منذ كانت طاسة ترابة

سرق لجاره حلة (دست) فوجدهامع بعضهم فأحضر الشيخ شاهداً فسأله القاضي : هل تعلم أن هذه الحلة لهذا الرجل المسلم ؟

فأجابه الشيخ : أجل أعرفها منذ كانت طاسة للترابة[١] وقد كبرت بيد هذا .

---

١٠٢ — لاتتكبر فالماء هو هذا

غطس فى البحر لأخذ جرعة منه لتسكين عطشه فالتهبت معدته من الملوحة واختلطت واختبطت ، فتقدم قليلا ، فوجد ماء عذباً فأخذ يشرب منه حتى ارتوى ثم أخذ وعاء وملأه ماء وأخذه إلى البحر وصبه فيه قائلا لا تتكبر ولا تعمل على الناس عظمة فارغة فالمـــاء الذى يقال له ماء هو هذا .

---

١٠٣ — لاتكن فى التابوت وامش حيث شئت

سأله أحدهم يوماً : إذا كان الإنسان ماشياً مع جنازة ، هل يمشى وراءها أم أمامها ؟ .

فأجابه : لاتكن فى التابوت وامش حيث شئت ! .

---

١٠٤ — عار عليك أن لاتكون كابنك

جاء إلى مدينة بروسة فى شغل واجتهد كثيراً فى الدوائر المتعلقة بها أشغاله ، فلم يتم شغله ، فقال له بعضهم : إذا صليت الصبح أربعين صباحاً فى الجامع الكبير حذاء المحراب ودعوت

---

(١) الترابة هى التى يغتسل بها وتمزج بالعطور أيضاً يستعملها الشرقيون

فني اليوم الحادى والأربعين يتم شغلك ، ففعل ، ولم ينل مراده ، وفى صباح يوم ذهب إلى الجامع الصغير وصلى ودعا بصدق وإنابة فتم شغله ، فللحال هرع إلى الجامع الكبير ودخل الباب رافعاً عقيرته قائلا : عار أن لاتكون كابنك ! .

١٠٥ — أنظروا كيف يركض قبل أن نضع زفتاً

جاء يوم إلى مكان تصليح السفن وكانوا قد أشعلوا النار لعمل الزفت وتصليحها فسألهم : ماذا تصنعون ؟

فقالوا : نصنع السفينة ثم نطليها بالزفت فتَسير بسرعة .

فحضر فى الحال إلى داره وربط حماره بالسلاسل وأشعل النار يريد أن يصلح حوافره ويطليها بالزفت كما يصنعون بالسفن فما رأى الحمار ذلك حتى قطع السلاسل وفر يسابق الريح عدواً .

فصاح الشيخ : ياناس أنظروا كيف يركض قبل أن نضع الزفت والقطران .

١٠٦ — هذا الرجل أنا فمن أنا ؟

سافر سفرة طويلة فعلق على جسمه يقطينة قائلا : أعلق هذه حتى لاأضيع . وسار ، فحط فى بعض المنازل ، فجاء رجل وأخذ تلك اليقطينة وعلقها على نفسه .

فني اليوم التالى رآه الشيخ فحار فى أمره ، وقال : هذا الرجل أنا ، فعجباً من أنا ؟

١٠٧ — العين كالضرس

سألوه يوماً عن دواء للعين المريضة فقال : أمس وجعني ضرسي فلم أجد وسيلة إلا بقلعه .

---

١٠٨ — مسافة تسعة أشهر بخمسة أيام

ولد له مولود في اليوم الخامس من زواجه ، ففي اليوم التالي أحضر جزء ألف باء وأدوات الكتابة ووضع هذه الأشياء عند رأس الطفل حذاء اللفافة . فقالوا : ماهذا ؟ .

فأجابهم : إن من يقطع مسافة تسعة أشهر بخمسة أيام يداوم بعد أيام في المدرسة طبعاً لذلك أحضرت له ما يلزم .

---

١٠٩ — والعياذ بالله لو كنت لابسه

كان قميصه منشوراً على الحبل فهبت الريح وألقته فقال لنفسه : يلزمنا أن نذبح قرباناً . فسألته امرأته : ولماذا ؟

فقال : والعياذ بالله لوكنت لابسه ! .

---

١١٠ — لو ساروا كلهم لجهة واحدة لوقعت الأرض

قالوا له يوماً : نرى الناس في الصباح منهم من يسير هنا ومنهم من يسير هناك فلماذا ؟ .

فأجابهم : لوذهبوا كلهم إلى جهة واحدة لاختلت موازنة الأرض ووقعت .

١١١ — الخبز بالثلج

قال يوماً : قد اخترعت أكل الخبز بالثلج ، ولكنه لم يرق لى أنا أيضاً .

---

١١٢ — ازرعوني فأخرج ثمراً

رأى يوماً مزارعون يزرعون كرماً فسألهم : ماذا تصنعون؟ فقالوا : نزرع كرمة تحمل عنباً ، عناقيد عناقيد . فتأمل الشيخ قليلا وقال : ازرعونى أيضاً فإنى أعطى أثماراً متنوعة .

فقال المزارعون : أجل ، وطمروه فى التراب إلى وسطه وجلسوا تحت ظل إحدى الأشجار . وبما أن الزمن كان ربيعاً برد الشيخ برداً شديداً وجاع فهز نفسه وخلع جسمه بكل صعوبة وتقدم إلى المزارعين ، فقالوا له : لماذا لم تبق مكانك ؟

فأجابهم : والله أيها الإخوان إذا كنتم تريدون القول الصحيح فإنى لم أحب مكانى فلم أحمل ثمراً لذلك خرجت وأتيت إليكم .

---

١١٣ — اصدار الأمر هين

جيء بفارس من عساكر تيمورلنك وكان الشيخ حاضراً فأمر تيمورلنك بضربه ثمانين عصا .

فتبسم الشيخ . فغضب تيمورلنك وقال : اضربوه خمسماية عصا .

فأخذ الشيخ يضحك قهقهة ، فغضب تيمور لنك غضباً شديداً وتطاير الشرر من عينيه وقال : اضربوه ثمانمائة عصا .

فتراخت أعضاء الشيخ خوفاً وأمسك بخواصره من شدة الضحك ، فنهض تيمورلنك وقال : يا خائن الشرع أنت تستخف بالحد الشرعى الذى أقيمه ، وعمامتك بقدر حجر الطاحون ، مع أنك تعلم أنك أمام جبار ترتجف له الأرض .

فأجابه الشيخ : تقول صواباً وأنا أعلم أهمية المسألة وأعرف أنك سفاك لامثيل له ، إلا أنى حائر فى فكرة ، فإما أنك لا تعلم الأرقام أو أنك لست مثلنا من المخلوقات ، فأين الثمانون عصا من الثمانمائة ؟ الأمر باللسان هين ، ولكن تنفيذ الأمر هو الصعب ، من يطيق الثمانمائة عصا ؟

---

١١٤ — هو أخبرني بموته

بينما كان فى خارج البلدة توهم أنه مات . فانتظر مدة فلم يأت أحد يرفع جثمانه ، ودب فيه الجوع . فذهب إلى داره وأخبر امرأته بذهابه وأنه مات وأين كانت وفاته . ثم رجع إلى محل وفاته الموهومة .

فنشرت امرأته شعرها وبكت بكاء مراً فحضرت الجيران وسألوها فأخبرتهم بأن الشيخ توفى فى البرية وبقى جثمانه مطروحاً هناك فحزن عليه الجيران حزناً عظيما وسألوها متى مات ؟ وأين

مات ؟ ومن نعاه ؟ فأجابتهم امرأته : من للشيخ الغريب يخبر عنه فهو الذى مات وهو الذى حضر وأخبرنى بموته ثم عاد إلى محل وفاته

١١٥ — ذلك ذنب أذني الطويلة

كان حمزة المدعى أنه عارف كامل وسالك واصل ، من الدراويش ، فسأل جحا قائلا : أيها الشيخ أمالك صنعة فى هذا الكون سوى الهذر والمزاح ؟ فإن كان لديك معرفة أبرزها وإن كان لديك شيء من الكمال فأفد واستفد .

فقال الشيخ : ما هى كمالاتك أنت وأى فضيلة تنفع بها سالك سبيلك لنسلكه ؟

فأجابه المدعى : عندى من المعارف والعوارف شئ كثير ولا نهاية لكمالاتى العظيمة ، فإنى فى كل ليلة أصعد إلى العالم العلوى وأطير حتى السماء الأولى وأتبختر فى منازل السماء ناظراً فى عجائب الملكوت .

فأجابه الشيخ : أما أحسست بشئ ناعم كالمروحة مس وجهك؟

فقال المدعى من قبيل السفسطة : أجل أيها الشيخ !

فأجابه جحا : ذلك ذنب أذنى الطويلة .

١١٦ — لا علاقة لى مع الخلق

خلع قميصه وجلس بين المقابر يتفلى ، فاتفق أن هبت ريح شديدة وخطفت القميص وأطارته فأخذ يجرى وراءه عارياً ،

تارة يركض وطوراً يقع ؛ وإذا بفرسان طلعوا من صدر البرية فخافوا من هذا الشخص العجيب الذى رأوه يقفز فى المقبرة من حجر إلى حجر وجفلت خيولهم فأرادوا أن ينتقموا منه على ما نالهم من الفزع وهجموا عليه وقالوا له: ماذا تصنع أيها الرجل هنا؟

فأجابهم : أنا من أهل القبور يا أولادى وقد تركت لكم الدنيـــا بتاتاً وخرجت من قبرى لنقض وضوئى ولا ألبث أن أعود إليه إذ لاعلاقة لى مع الخلق .

---

١١٧ — قسمة الله أم قسمة العبد

كان الأستاذ يميل إلى مسرة الأطفـال وتفريحهم وكثيراً ما كان يجتمع أطفال آق شهر حوله فيضحكهم ويلاعبهم ويدخل عليهم السرور وإذا حدث لهم مشكل يهرعون إلى الشيخ . فى ذات يوم اختلفوا على قسمة بضـــع جوزات وجاءوا إليه فقالوا له : اقسم هذه الجوزات بيننا .

فقال لهم : تريدون قسمة الله أم قسمة العبد ؟

فأجابه الأطفال بصفاء نفس : نريد قسمة الله تعالى .

فأخذ يقسم الجوز فكان يعطى هذا حفنة وآخر حفنتين وذاك بضع جوزات وآخر جوزة واحدة وأهمل بضعة أطفال لم يعطهم شيئاً فلم يفهم الأطفال معنى هذه القسمة العجيبة فقالوا له : ماهذا؟

فأجابهم : يا أولادى لايجب أن نذهب بعيـداً بل لننظر

المسألة بيننـا ، فوالد بديع الدين افنـدى مثرى للغاية ومن أهم وجهاء البلدة وهو سعيد من جهة عائلته وله أولاد وعائلة كبيرة وكلهم من ذوى الـكمال والجمـال . أما سنان الدين هذا الصغير فهو فقير للغاية وذو عائلة مضطربة وهو عليل لا يمكنه الشغل كثيراً وامرأته مريضة ويمضغ جيداً . وعائلة حسام الدين غير ذلك وكل واحد لا توافق حالته حالة الآخر وأما حال شيخكم فهو بخلاف الجميع ، فهكذا قسمة الله تعالى يا أعزائى .

---

١١٨ — وأنا كنت ضمنهـا

سأله جاره القريب قائلا : لقد اشتغل بالى حيث سمعت ضوضاء وجلبـــة وصياح فى داركم وكأنى بخصومة حصلت وشئ عظيم تدحرج على السلم فمـاذا جرى ؟

فأجابه الشيخ منقبضاً : لقد تخاصمت مع امرأتى ولـكمت جبتى فتدهورت بالسلم وحصل لهـا قرقعة وجلبة .

فأجابه جاره : وهل للجبة قرقعة إذا تدهورت على السلم ؟

فأجابه الشيخ : اصمت يا أخى فلماذا تشدد علىّ لقد كنت أنا أيضاً ضمنها .

---

١١٩ — جئت إن شاء الله

كان يتسامر مع امرأته ذات ليلة فقال لها : سأذهب صباح غد للاحتطاب وإذا كان الجو رائقاً أروح للمزرعة .

فقالت له امرأته : قل إن شاء الله .

فأجابها : وماذا يلزم ، فطبعاً لا تخلو المسألة من النوعين أعمل أحدهما . ونام .

وفى الصباح خرج من البلدة فصادف سرية من الفرسان فنادوه : ياعم من أين الطريق إلى القرية الفلانية ؟

فأجابهم الشيخ بدون مبالاة : لا أعلم .

فنقموا عليه وأخذوا يسبونه وصفعوه عدة صفعات قائلين له امش أمامنا وخذنا إلى القرية ، فما أوصلهم إليها حتى سال المطر من رأسه إلى قدميه حيث كان يهطل بغزارة ، وعاد فى منتصف الليل مريضاً مجروحاً تعباً إلى داره وطرق الباب فقالت امرأته: من ؟ فأجابها : أنا ياعزيزتى افتحى الباب إن شاء الله .

---

١٢٠ — أفتش على نومى

خرج فى منتصف الليل يدور فى الشوارع فصادفه رئيس الحراس وسأله : على أى شئ تفتش فى الشوارع بنصف الليل ؟

فأجابه : هرب نومى وأنا أفتش عليه .

---

١٢١ — أعطيك ما شئت من الوعدة

طلب إليه أحد أصدقائه نقوداً بالدين لوعدة .

فأجابه : لا أعطى دراهمى قرضاً وإنما أعطيك يا صديقى ما شئت من الوعدة .

۱۲۲ — قطعت سعر الفوطة

دخل يوماً هو وتيمورلنك إلى الحمام فسأله تيمور لنك : لو كنت عبداً فكم كنت أساوى ؟ .

فقال له : خمسين درهمـــاً .

فصاح تيمور لنك بوجهه : يا قليل الإنصاف إن الفوطة التى بوسطى تساوى هذه القيمة .



(محاورة بين جحا وتيمور لنك فى الحمـــام)

فأجابه الشيخ بسكون : وإنى قطعت سعراً للفوطة أيضاً.

١٢٣ — الذى أعطى الدراهم تصفر صفارته

أوصاه أطفال الحارة وهو ذاهب إلى السوق أن يبتاع لهم صفارات فهز رأسه ووعدهم . وتقدم واحد منهم وقال له : احضر لى واحدة وهذا ثمنها ، فتناول منه الدراهم ، وذهب .

وانتظروه مساء فى الطريق إلى أن حضر فاحتاطوا به وكل منهم يقول : أين ما أوصيتك به ؟ .



(جحا وأولاد الحارة)

فالتفت الشيخ إلى الذى أعطاه الثمن ، وناوله الصفارة وقال : الذى أعطى الدراهم تصفر صفارته .

١٢٤ — أعطوني هميانى أو أريكم ماذا أفعل

كان الشيخ ضيفاً فى إحدى القرى فضاع هميانه «خرجه» فقال لأهل القرية : إما أن تجدوا لى خرجى أو أنى أعرف ماذا أصنع .

ولما كان الفلاحون يعرفون أن الشيخ من أعيان البلد حاروا فى أمرهم وأخذوا يفتشون على الخرج حتى وجدوه وردوه إليه . وتقدم أحدهم من الشيخ قائلا : لو لم نجد الخرج فماذا كنت تصنع ؟

فأجابه الشيخ بكل سكون : عندى بساط قديم كنت أجعله خرجاً .

---

١٢٥ — ليفهم الناس مقدار ما أتعذب

أخذ حماره إلى السوق يريد بيعه فجاء أحدهم ومد يده إلى فمه ليعرف عمره حسب العادة فعضه الحمار عضة بالغة ، فأخذ فى الشتم والسب وذهب ، ثم ظهر مشتر آخر فجاء وأراد أن يمسك ذنبه فلبطه لبطة شديدة تدهور بها الرجل على الأرض ، فأخذ يسب ويلعن وذهب . فجاء الدلال إلى الشيخ وقال له : إن هذا الحمار لا يبتاعه أحد فهو يعض ويلبط . فقال الشيخ : وأنا لم أحضره للبيع إنما جئت به ليعلم المسلمون ماذا يصيبنى منه . .

١٢٦ — الورقة معى !

ابتاع يوماً معلاقاً وفيما هو ذاهب صادفه أحد أصدقائه فسأله : كيف تطبخ هذا المعلاق ؟ فأجابه : حسب العادة .

فقال : كلا إنما له طبخة أحسن أعلمك إياها .

فقال الشيخ : ربما لا أحفظ التعريفة فأرجو أن تكتبها لى بورقة فأقرأها وأعمل بموجبها . فكتب له الرجل الورقة ، واستأنف جحا السير إلى بيته غارقاً فى بحر الأفكار بعامل الاشتهاء كيف يطبخه وإذا ببازى انقض وخطف منه المعلاق وطار به فى الفضاء



(جحا والبـــازى)

فلم يظهر الشيخ حيرة بل أخذ الورقة ومدها للبازى قائلا : لا فائدة لك منه فلا تقدر على أكله لأن الورقة معى .

---

١٢٧ — متى تقوم الساعة ؟

سألوه : متى تقوم القيامة ؟

فقال : وأية قيامة تعنون ؟

فأجابوه : وهل القيامة متعددة ؟

فأجابهم : نعم إذا ماتت امرأتى فتلك القيـــامة الصغرى وإذا مت أنا فتلك القيامة الـكبرى .

---

١٢٨ — لو لم يكن ابنى

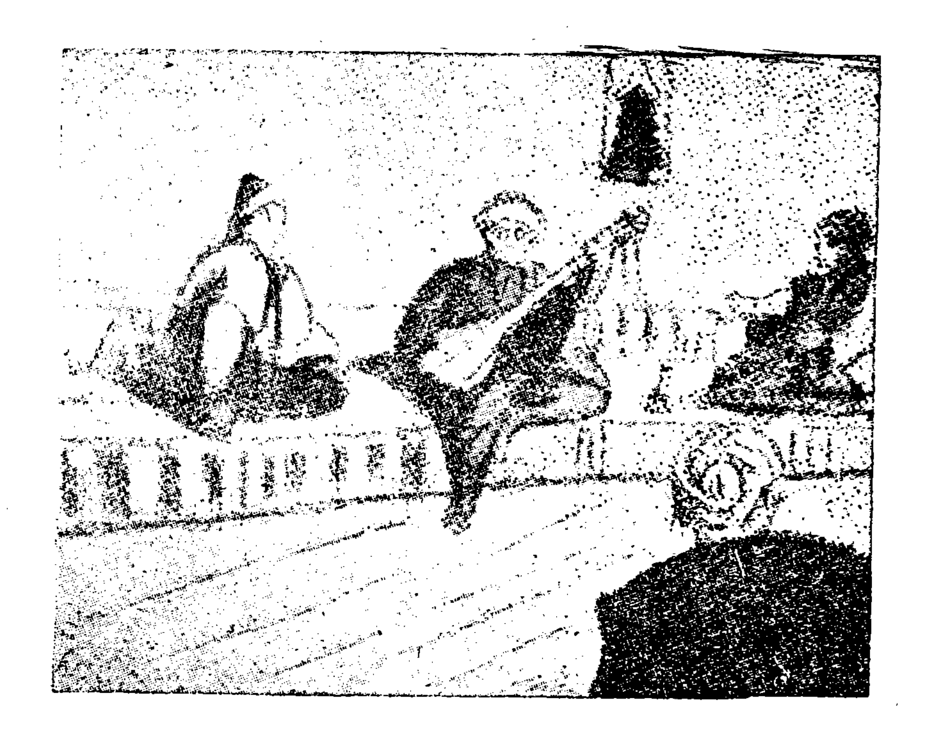
قالت له امرأته : خذ هذا الطفل وشاغله قليـلا لأعمل أشغالى فحمله وأخذ يدور به ويسليه فبال عليه الطفل ، فغضب الشيخ وبال على الطفل من رأسه إلى قدميه ، فجاءت امرأته وهى غضبى وقالت : ماذا فعلت ؟

فأجابها بحدة : امرأتى احمدى الله تعالى فلو لم يكن ابنى لـكنت فعلت معه أكثر من ذلك .

---

١٢٩ — لمـــاذا أنقل أصابعى؟

كان فى مجلس فأعطوه عوداً ليعزف عليه وقالوا أسمعنا . فأخذ العود وبدأ يضرب عليه من الأسفل إلى الأعلى بصوت مزعج



(جحا يعزف على العود)

فقالوا له : ماهكذا يدق بالعود فيلزم أن تلعب أصابعك على الأوتار حسب الأصول .

فأجابهم : إذا لم توجد النغمة فلماذا أتعب نفسى بإيجادها وأنقل أصابعى من أجلها ؟

---

١٣٠ — لو كنت راكباً عليه لضعت

ضاع حماره فأخذ يفتش عليه ويحمد الله شاكراً فسألوه : ولماذا تشكر الله ؟

فقال : أشكره لأنى لم أكن راكباً على الحمـــار وإلا فلو كنت راكباً لضعت معه .

١٣١ — لذة وجود المفقود

أضاع حماره يوماً فأخذ ينادى فى السوق : من وجده فإنى أعطيه إياه مع بردعته ومقوده . فقالوا له : ما الفائدة من وجوده إذا كنت تريد أن تعطيه بطقمه ؟

فأجابهم : إنكم لاتعرفون لذة وجود المفقود .

١٣٢ — إذا لم أجـــده يسمع صوتي

وأضاع حماره يوماً فأخذ يفتش عليه ويغنى فقالوا له : هل من أضاع حماره يغنى أم يبتئس ؟

فأجابهم : لعله وراء هذا الجبل فإذا لم أجده فلابد من أن يسمع صوتى فيعلم أنى غير مهتم له فيأتى .

١٣٣ — عنـــدها نتساوى

ذهب يوماً إلى إحدى البـــلاد للوعظ ونزل عند بعض الوجهاء ، فى الصباح دعاه ذلك الوجيه فأقرأه شيئاً وقرأ هو مثله وكتب له شيئاً فكتب نظيره .

ثم قال له الرجل : إنى قرأت ما قرأته وكتبت ما كتبته فلا فرق بينى وبينك ولا حاجة لى بك .

فأجابه الشيخ : كلا بيني وبينك فرق عظيم لأني حضرت ماشياً من مسافة ثلاثة أيام وتحملت مشقة عظيمة فلو بلغ بك الفقر ما بلغ بي وذهبت إلى بلدى ورددتك مثلما رددتنى خائباً ورجعت بخفى حنين خاسراً فعندها أتساوى أنا وأنت .

---

١٣٤ — خل ابن أربعين سنة

سأله جاره يوماً : هل عندك خل ابن أربعين سنة ؟

فقال : نعم عندى .

فقال له : اعطنى قليلا منه .

فأجابه : لا أقدر أن أعطيك .

فقال : ولمـــاذا ؟

فأجابه : لوأجبتك إلىطلبك وأجبت غيرك فهل يبقى خل ابن أربعين سنة ؟

---

١٣٥ — من قطعت رجله لاتقطع رأسه

أصاب ظالمـاً من امرأته غدر شنيع ، فأضمر الظالم عداوة النساء عامة ، وكان يحضر العلمـاء والعارفين ويهمس فى آذانهم شيئاً فإذا أجابه أحدهم بغـير ما يرضى يقطع رأسه ، فعجزوا عن حيـــلة لمنع ظلمه الفادح ، فأشاروا إلى الشيخ فأحضروه وهمس فى أذنه : أنت متأهل أم عازب ؟

فأجابه الشيخ : وهل من يصل إلى عمر كعمرى يبقى عزباً ؟

فقال الظالم : وأنت مثل هؤلاء . اضربوا عنقه .

ففهم الشيخ عندها المسألة ، فأسرع قائلا : لا تتعجل ، بل اسألنى هل طلقتها وأعدتها ؟ وهل ماتت وتزوجت ؟ أو كانت عندى وتأهلت بثانية أو أكثر ؟ وهل وقعت بمثل هذه الورطة ثانيـــة وأخطأت ؟ ففى المثل المشهور « الحيوان الذى تقطع رجله لاتقطع رأسه » .

---

١٣٦ — نتطهر ثم ننقض الوضوء

قالت له امرأته : إن إبريق الوضوء قد ثقب من أسفله وأصبح المـاء لايمكث فيه طويلا ، فماذا نصنع ؟

فأجاب الشيخ : هذا لاطريقة له أبداً إلا أننا كنا ننقض وضوءنا ونتطهر ، والآن نملأ الإبريق ونتطهر ثم ننقض وضوءنا .

---

١٣٧ — ماذا يعنيني ومايعنيك؟

قال له أحد الفضوليين : منـــذ برهة رأيت فى الطريق دجاجة هندية مطبوخة فى صحن ، واثنين ذاهبين بها .

فأجابه الشيخ : وماذا يعنينى ؟

فقال له الفضولى : ذاهبين بها إليك .

فأجابه : وما يعنيك ؟

١٣٨ — لوكانت دوارة لحضرت إلى بيتنا

قالوا له يوماً : إن امراتك تدور كثيراً ! .

فأجابهم : لوكان ذلك صحيحاً لكانت حضرت إلى بيتنا !

١٣٩ — أجرة اليوم لتلك وأجرة تلك لليوم

ذهب يوماً إلى الحمام فأعطوه مناشف قديمة ولم يقوموا بالرعاية الواجبة ، فعندما خرج وضع على المرآة عشرة قروش فعجب الحماميون وفرحوا طبعاً .

ثم بعد أسبوع حضر إلى الحمام فقابله الحماميون بالرعاية والإكرام فوق العادة وقدموا له المناشف المزركشة والفوط الحريرية فلم يقل الشيخ شيئاً ، ولكنه عندما خرج وضع على المرآة قرشاً واحداً ، فعجبوا من قلة الأجرة وغضبوا وقالوا له : ما هذه المعاملة ؟

فأجابهم : لا شيء فوق العادة وإنما الأجرة التى أعطيتها اليوم هى عن تلك المرة ، وأجرة تلك عن هذه .

١٤٠ — لاوقت لى أن أذهب إلى بغـداد

جاءه أحد أصدقائه وقال له : أرجو أن تكتب لى مكتوباً إلى أحد أصدقائى فى بغداد .

فقال له الشيخ : أسألك بالله أن تتركنى فلا وقت عندى الآن لأذهب إلى بغداد .

فجرى الرجل وراءه وأمسك به قائلا : لماذا تذهب إلى بغداد إذا كتبت لى مكتوباً إليها ؟

فقال له الشيخ : إن خطى لا يقرأه أحد غيرى فإذا كتبت مكتوباً يجب أن أقرأه أنا حتى يفهم ما حواه .

---

١٤١ — أنا من الخارج وأنت من الداخل

أخذ حماره إلى السوق وأعطاه إلى الدلال ليبيعه فأخذ الدلال يدور به وينادى : هذا حمار فاره واسع الخطى «اشكين» هادىء يمكن أن تشرب فنجان القهوة على ظهره ، لين الرأس ، فتى ، قوى ، لا عيب فيه . فأخذ الناس يتزايدون عليه نظراً لهذه الأوصاف والثناء الطويل .

فلما سمع الشيخ هذه الأوصاف قال لنفسه : أيكون الحمار حائزاً كل هذه المزايا ولا أشتريه ، فأخذ يزيد مع المزايدين فيه وبالنهاية وقع عليه المزاد فعد الدراهم تماماً وأعطاها إلى الدلال وانصرف إلى البيت فرحاً بحماره .

وفى الليل أفهم امرأته المسألة وكانت امرأته لا تقل عنه دعابة وظرفاً ، فأجابته : وأنا حدث لى أمر عجيب بهذا اليوم فقد مر أمام البيت بائع القيمق «القشطة» فناديته وأخذ يزن لى القيمق فلكى يرجح الميزان غافلته ووضعت إسوارى الذهب فى كفة «الأواق» ، وأخذت طبق القيمق ودخلت فماذا تقول ؟

فقال لها الشيخ : بارك الله فيك أنا من الخارج وأنت من الداخل والبيت يعمر !

---

١٤٢ — الساقط من السطح يعرف الحالة

هذه النادرة وجدناها نظما فعربناها نظما وقاربنا ما أمكن :

كان نصر الدين يوماً في السطوح باشتغال جائيـاً ثم يروح
زلقت رجلاه حيناً فوقع فأتى الأحباب قالوا ما وقع
ما هو الحال وماذا قد جرى فأجاب القول والدمع قد جرى
لا تسل عن حال من تنظره يعرف الساقط ما يخبره

---

١٤٣ — كفى عناداً ضمى للحمار عليقه

أنف ذات يوم من إعطاء العليق للحمار فقال لامرأته : ضمى أنت عليق الحمار . فلم ترض المرأة بذلك وتنازعا وأخيراً انتهت الحادثة بالسكوت وشرطا أن أول من يتكلم فهو يقوم بتقديم العلف للحمار .

فانزوى الشيخ فى جانب من غرفة البيت وظل ساعات متوالية ساكتاً لا ينبس ببنت شفة وضاق ذرع المرأة فخرجت وذهبت إلى الجيران وظلت حتى الغروب وقد قصت القصة على جارتها وقالت أنا أعلم أنه عنيد وربما مات جوعاً فياليتنا نرسل إليه شيئاً من الحساء (الشوربا) ، فأعطوا ابن الجيران وعاء فيه شوربا وبعثوه إلى بيت الشيخ .

واتفق أن دخل لص إلى بيت الشيخ وجمع كل ما يمكنه حمله حتى أنه دخل الغرفة التى يقيم فيها الشيخ فوجده جالساً فى إحدى زواياها ولم يهتم لكل مافى البيت من الجلبة ومع أن اللص حار فى أول الأمر إلا أنه حسبه مفلوجاً لعدم حركته فجمع مارآه نافعاً حتى تناول القاووق عن رأس الشيخ ليرى إن كان يرفع صوته أو يتكلم أم هو خائف مذعور ثم أخذ القاووق والأشياء وهرب والشيخ صامت .

عندها دخل ابن الجيران فرآه كالصنم جامداً لا يتحرك . فقال له : قد أرسلوا إليك طبق شوربا ، فأفهم الغلام بإشارة عن سرقة البيت وقاووقه مشيراً إلى رأسه عن القاووق بإدارة يده ثلاث مرات حول رأسه كدائرة ، وأن تحضر امرأته . ففهم الغلام أن خذ طبق الشوربا وأدره على رأسى ثلاث مرات وصبه عليه ، ففعل ، ونزلت المرقة وبقايا الشوربا على وجهه وذقنه وغسلته تغسيلا .

فلم يتكلم وأعاد الإشارة ففهم الغلام وذهب وأفهم المرأة عن سرقة الدار وكيف أنها أصبحت خالية خاوية وعن القاووق وطبق الشوربا وحال الشيخ وسكوته ، فعلمت المرأة أهمية المسألة وأسرعت فرأت شيئاً مضحكا مبكياً ، والشيخ جالس بعد ذلك كالخشبة المسندة .



(جحا جالس والشوربا على رأسه)

فهجمت عليه بكل هياج وقالت له : ما هذا الحـــال ؟

فأجابها الشيخ : اذهبي واعطى الحمار عليقه وكفاك عناداً.

١٤٤ — اعطني الملعقة الكبيرة لأموت أنا أيضاً

ضاف عند أحدهم في يوم شديد الحر ، فجاءوا بكأس فيه منقوع المشمش وأخذ صاحب البيت ملعقة معدنية كبيرة وناول الشيخ ملعقة ذهبية صغيرة ، وبدآ يتناولان بملعقتيهما وصاحب الدار كلما أخذ جرعة يقول أوخ أ كاد أموت بلذته .

وكان الشيخ يضرب بالملعقة الصغيرة حتى أسفل الكأس

فلا يخرج له إلا القليل مما يلحسه باللسان فقط وصاحب الدار يتناول كما ذكرنا .

فنظر إليه الشيخ ثم قال فى نفسه هذا مما لا يحتمل ، والتفت إلى صاحب الدار قائلا : أرجو أن تناولنى الملعقة الكبيرة ودعنى أموت أنا أيضاً .

---

١٤٥ — كل عشر علب كيلة واحدة

بينما كان يحتطب فى أحد الأيام رأى أرنباً فصاده وكان حتى تلك الساعة لم ير أرنباً . فقال فى نفسه : هذا حيوان عجيب يجب أن آخذه إلى أهل البلدة وأريهم إياه فلعلى أجد من يعرف ما هو؟ ووضعه فى كيس وربط فمه ربطاً محكما وأحضره إلى البيت وقص القصة على امرأته ، وحذرها من فتح الكيس وقال : أنا سأذهب لأنادى بعض الأهلين وأريهم إياه .

وبما أن الإنسان يحرص على ما يمنع عنه فعندما انفردت المرأة بنفسها قالت : لأنظر ماذا فى الكيس؟ إذ كثيراً ما يفعل الشيخ مثل هذه المخرقات . وبمجرد ما فتحت الكيس فر الأرنب من المدخنة فحارت المرأة ماذا تصنع ، فما وجدت وسيلة سوى أنها وضعت علبة الشعير فى الكيس وأعادت ربطه كما كان .

وانتظرت النتيجة وظنت أن الشيخ لا يأتى إلا ببعض الهزليين أو أنهم ربما لا يصدقونه فلا يحضر أحد وتنقضى المسألة .

فى حين أن الأمر جاء بالعكس ، فقد كان أعيان البلدة وأشرافها ومأموروها ذاهبين إلى ضيافة ومارين من أمام داره ، فدعاهم الشيخ فحضروا حتى غصت ردهة الدار الكبرى وجلسوا صفوفاً فنبههم إلى أنهم متى قالوا جميعهم هلم يخرج هذا المخلوق العجيب .

فاهتم كل منهم غاية الاهتمام وأخذوا يحدقون بالكيس رافعين أيديهم . فعند ماقالوا هلم فتح الكيس وخرج منه شيء تدحرج على الأرض فحار الشيخ فى أمره ماذا يقول للناس وقد دعاهم لشيء غريب ولم يظهر فى الكيس سوى علبة عادية فارغة فما كان منه إلا أن قال بداهة : كل عشر علب مملوءة من هذه العلبة تساوى كيلة واحدة .

---

١٤٦ — الشمس أكثر فائدة أم القمر ؟

سألوه يوماً : الشمس أكثر فائدة أم القمر ؟

فأجابهم : بما أن الشمس تطلع نهاراً ولا تفيد فى الليل . والقمر يبزغ فى الليل وينير الدنيا ويجعلها كالنهار ففائدة القمر أعظم من فائدة الشمس .

---

١٤٧ — دنا الأجل فما الفائدة

خرج يوماً ذاهباً إلى إحدى القرى المجاورة . وكان شبان بلدته قد أعدوا حفلة ساهرة للعب والتسلية، وكان هو واسطة عقد

الانشراح والسرور فى مثل هذه الحفلات ، فقصدوا تأخيره عن الذهاب إلى تلك القرية .

وعند ما لبس الشيخ ثياب السفر وحمل حماره لوازمه السفرية وقصد المسير فى الطريق ، عارضه أولئك الشبان فسألوه : إلى أين أنت ذاهب ؟

فقال : إلى القرية الفلانية لبعض أشغال ضرورية .

فقالوا : يامسكين إنك لاتقدر على الذهاب لأنك مت ويجب على أهل البلد أن يقوموا بتجهيزك وتكفينك حسبما يليق بمقامك لأنك شيخ بعضنا ونسيب بعضنا وصديق آبائنا جميعاً . فاختنق الشيخ لهذا الخبر لأن ذكر الموت كان يهيج أفكاره ويرخى أعصابه فمشى معهم إلى مسجد المحلة باضطراب شديد وقال لهم : يا أولادى أخشى أن تكونوا أردتم المزاح بكلامكم هذا ولى شغل ضرورى فإذا لم يكن ما تقولونه حقيقياً فدعونى أذهب مع الناس وإلا فلا يمكننى الذهاب وحدى فيما بعد .

فأصروا على ادعائهم موته وصمت هو فجردوه من ثيابه ، وهموا بتغسيله . واتفق أن مر صديق للشيخ فى تلك الساعة يريد السفر فاستوقفه الشبان وقالوا له : يجب أن تحضر الجنازة ودفن الشيخ أولا ، وتعلقوا به فقال لهم : إن لى شغلا هاماً يمنعنى فأرجو أن تسمحوا لى . فلم يقبلوا . وبينما هم فى الجدال والحوار رفع الشيخ رأسه وهو على المغتسل وقال للرجل : لافائدة فى الجدال ، فلابد

من الطاعة لأنى أنا أيضاً كان لى شغل مستعجل ولكن دنا الأجل واجتمع الخلق فلا مفر من الذهاب إلى القبر .

١٤٨ — نركب عليه ونحمله أثقالنـــا

ذهب إلى السوق وابتاع خضراً ووضعها فى هميانه (خرجه) وجعله على عاتقه وركب الحمار .



(جحا راكباً وخرجه على ظهره)

فصادفه أحدهم فى الطريق فقال له : لماذا لا تضع هذا الخرج أمامك على الحمار وتركبه براحة ؟

فأجابه الشيخ : أنصف يا رجل ، إن هذا الحيوان يريحنا بركوبنا له فهل يجوز أن نحمله شيئاً فوق حمله إيانا ؟ فأنا لم أفعل شيئاً من هذا حتى الآن .

---

١٤٩ — أضف إلى قراءتي شيئاً من القطران

جربت شاة أحد الفلاحين ، فأخذها إلى الشيخ وقال له : بما أن نفسك نافع للجرب فاقرأ لى على هذه الشاة .

فأجابه الشيخ : إذا كنت تريد أن تبرىء شاتك من المرض فأضف إلى قراءتى شيئاً من القطران .

---

١٥٠ — إذا مت فادفنوني قائماً

عندما قربت وفاته دعا أصدقاءه وأوصاهم بوصايا كثيرة منها قوله : إذا مت فادفنونى قائماً .

فقالوا : ما السبب ؟

فقال : غداً إذا قامت القيامة وصارت الدنيا مختلطة أكون واقفاً من دون مشقة .

---

١٥١ — جئت أخبرك

تألمت امرأته فأشارت إليه أن يأتى بالطبيب . فذهب لإحضاره ، وفيما هو خارج الباب أطلت من النافذة وقالت له : الحمد لله لقد زال الألم فلا لزوم للطبيب .

ولكن الشيخ أسرع فى الحال إلى الطبيب وقال له : إن امرأتى كانت تألمت وأشارت بلزوم إحضارك إلا أنها أطلت من النافذة وقالت الحمد لله زال الألم فلا لزوم للطبيب ، لذلك جئت أخبرك حتى لا تتحمل مشقة الحضور .

١٥٢ — الله واحد والقول واحد

سألوه يوماً : كم عمرك ؟

فقال : أربعون سنة .

بعد مضى عشرة سنوات سألوه أيضاً فقال : أربعون سنة فقالوا له : منذ عشر سنين سألناك فقلت أربعون ، والآن تقول كذلك ؟

فأجابهم: الرجل الحر لا يرجع عن كلامه فالله واحد والقول واحد ، ولو سألتمونى بعد عشرين سنة فهذا جوابى أيضاً .

١٥٣ — الملقط بثلاثة آلاف

ذهب يوماً إلى السوق فرأى بيد الدلال سيفاً ينادى عليه بثلاثة آلاف قرش فأخذه بيده وتأمله فلم يجده يساوى هذه القيمة فسأل من هناك عن ذلك فقالوا له : متى أراد الإنسان أن يضرب بهذا السيف عدوه يطول خمسة أذرع فهز رأسه وانصرف وفى اليوم التالى جاء بملقط كبير ونادى عليه : الملقط بثلاثة آلاف قرش ، وأخذ يدور به ، فتعجب أهل السوق وجعلوا

يتأملون فى الملقط فوجدوه لا يساوى قرشين ، فقالوا له : ما مزية هذا الملقط حتى تنادى عليه بثلاثة آلاف غرش ؟

فأجابهم : أنتم قلتم أن السيف الذى زعمتم أنه يطول خمسة أذرع حينما يضرب به الإنسان عدوه يساوى ثلاثة آلاف غرش فى حين أن هذا الملقط يساوى أكثر منه لأن امرأتى عند ما تغضب وترمينى به يطول عشرة أذرع .

---

١٥٤ — إلى متى يلد الناس ويموتون ؟

سأله يوماً تيمور لنك : إلى متى يلد الناس ويموتون ؟

فأجابه الشيخ فوراً : إلى أن تمتلىء الجنة وجهنم .

---

١٥٥ — قولى وصلنا إلى نصف الطريق

سافر مع امرأته لزيارة بعض الأصدقاء فى محل على مسافة أربعة أيام، وبعد مرور بضع دقائق على خروجهما من المدينة التفت الشيخ إلى امرأته وقال لها : ماذا قطعنا من الطريق ؟

فأجابته : متى مشينا اليوم وغداً نكون قطعنا مسافة يومين . فأجابها : إذاً قولى قطعنا نصف الطريق . . .

---

١٥٦ — لا وارث لى

ذهب يوماً فى صباه إلى إحدى القرى للوعظ فمرض مرضاً شديداً ، فاجتمع القرويون وقالوا له : إذا مت ووقع الأمر الحق ، فهل لك فى بلدك وارث ؟

فأجابهم : لى والدة فى بلدى إلا أن والدى طلقها فعلى ذلك لا وارث لى . . .

١٥٧ — إذا طلب أجرة عشرة أيام ماذا أصنع ؟

استأجر فى أحد الأيام حمالا لينقل له حملا ، وبينما هما فى الطريق فر الحمال بما معه ، ففتش عليه جحا ، فلم يجده . وبعد عشرة أيام صادفه ، وكان مع الشيخ بعض أصدقائه ، فقالوا له: هذا هو الحمال الذى تفتش عليه .

فسر جحا لذلك ، ولكنه ابتعد عنه ولم يكلمه، فقالوا له: لماذا لم تمسكه وقد تعبت كثيراً فى البحث عنه ؟

فأجابهم جحا : كيف لا أفر منه وقد مضى عليه عشرة أيام ضائعاً فإذا قبضت عليه أخشى أن يقول لى اعطنى يومية عشرة أيام التى حملت بها حملك فماذا أصنع ؟

١٥٨ — من يتشاجر على السطح يعلم

نام ذات ليلة على السطح وعندما تمدد فى الفراش أخذت امرأته بالحوار معه ، حتى تشاجرا ، فأغضبته ، فقام يمشى ظاناً نفسه فى إحدى غرف البيت ، واذا به قد وقع من السطح على رءوس جيرانه ، فذعروا وأحاطوا به وسألوه ، فبعد أن أخذ رمقاً أجابهم باختصار : من يتشاجر مع امرأته على السطح يعلم مصيبتى .

١٥٩ — كيف تعرف النساء والرجال ؟

كان يوماً فى مكان وقد ذكروا أن سياحاً أتوا حديثاً من بلاد العرب وقالوا له : إن أهل تلك البلاد يظلون عراة لشدة الحر فيها . . فأجابهم الشيخ : عجباً وكيف تعرف الرجال من النساء هناك ؟

١٦٠ — ليعلم قدر الشيء

قيل له : إذا طلب منك شخص شيئاً فلماذا لا تعطيه إياه إلا فى اليوم التالى ؟

فأجابهم : أفعل ذلك ليعرف قدر ما أعطيه .

١٦١ — أسف على حماره ولم يحزن على امرأته

ماتت امرأته فلم يأسف عليها كثيراً ، وبعد مدة فطس حماره فظهرت عليه علائم الغم والحزن، فقال له بعض أصدقائه: عجباً منك ، ماتت امرأتك من قبل ولم تحزن عليها هذا الحزن الذى حزنته على موت الحمار .

فأجابهم : عند ما توفيت امرأتى حضر الجيران وقالوا لاتحزن فإنا نجد لك أحسن منها ،وعاهدونى على ذلك ، إلا أنه عند ما فطس الحمار لم يأت أحد يسليني بمثل هذه السلوى أفلا يجدر بى أن يشتد حزنى ؟

١٦٢ — هل سمعت من يشكو الربيع ؟

شكا أحدهم شدة البرد فسمعه آخر فقال : يا للعجب من هؤلاء الناس إذا جاء الشتاء يشكون من البرد وإذا جاء الصيف يشكون من الحرّ فلا تروق لهم حالة .

فسمع الشيخ ذلك فقال : أجل ، الحال كما وصفت ، ولكن هل سمعت أحداً يشكو من الربيع !

١٦٣ — ألم يخطر لك النزول ؟

صعد يوماً كرسى الوعظ فى أحد مساجد القرية واجتمع الخلق وانتظروا ما سيقوله ، فجلس الشيخ طويلا ولم يخطر فى باله شىء ، وحصر وتضايق والناس ينتظرونه ، وكلما طال الوقت يزداد حصراً .

وأخيراً التفت إلى الناس وقال: ياعباد الله تعرفون أنى غير عاجز عن الكلام ،وقد أردت أن أحدثكم فلم يخطر ببالى شىء.

وكان ابنه جالساً تحت الكرسى،فنهض وقال: ياوالدى إذا كان لم يخطر ببالك شىء فهل لم يخطر ببالك أن تنزل عن الكرسى؟

١٦٤ — إذا أحببت المال فللاستغناء عن البخلاء

سأله أحد البخلاء قائلا : هل تحب المال أيضاً ؟

فأجاب الشيخ : إذا أحببت المال فللاستغناء عن البخلاء الذين لا ضمائر لهم .

١٦٥ — لم أتعلم أيام البلدة بعد

ذهب إلى إحدى المدن ، وبينما هو فى السوق سأله بعض أهلها : ما هو اليوم ؟

فأجابه : أنا حضرت اليوم إلى هذه البلدة فلم أتعلم أيامها فاسأل أحد أهلها .

١٦٦ — مابحت بسرى

سألوه يوماً : هل تعرف أحداً يحفظ الأسرار فى البلدة ؟

فأجابهم : حيث أنى علمت بأن صدور الخلق ليست بمستودع فلم أبح بسرى لأحد حتى الآن .

١٦٧ — لم أكمل بولى بعد

دخل يوماً عند العشاء إلى مرحاض أحد الجوامع ليبول ، وإذا بحنفية المرحاض مفتوحة . فانتظر ظناً أن بوله لم ينته . فجاء رجل آخر وانتظر طويلا ، ثم صرخ قائلا : كأنك نمت يا هذا ؟ فأجابه : لم ينته بولى بعد .

١٦٨ — الحنطة والشعير سيان

أغفلوا الشيخ يوماً وأخذوه شاهد زور للمحكمة . فادعى المدعى على خصمه بحنطة . فأحضروا الشيخ وسألوه فشهد بشعير فقالوا له : غلطت فكان يجب أن تقول حنطة .

فأجابهم: أيها الجهلاء طالما الشهادة كاذبة فالحنطة والشعير سيان

١٦٩ — احسبونى حوت يونس

كان يتفرج على الصيادين وهم يصطادون سمكا من بحيرة «آق شهر» وفيما هو يتأمل زلقت رجله فوقع فى الشبكة، فقال له الصيادون: ماذا فعلت؟

فأجابهم: احسبونى حوت يونس بين السمك.

---

١٧٠ — الفراريج حزينة على أمها

ضاعت دجاجة الشيخ فأتى بخرق سوداء وربطها فى أعناق الفراريج وتركها. فقالوا له: ماهذا؟

فقال: حزنوا على موت أمهم!

---

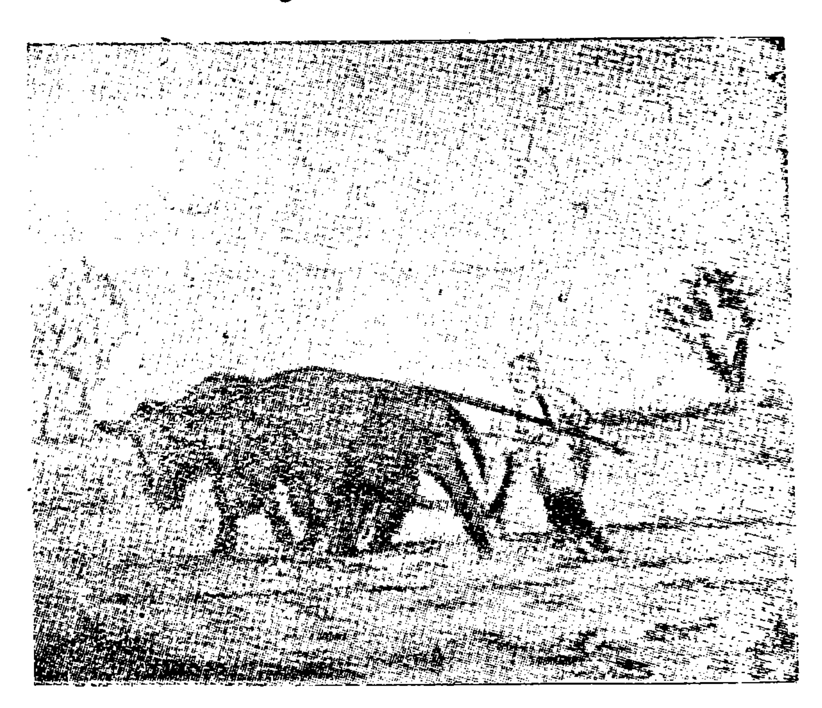
١٧١ — الحمد لله

سرق له ذات يوم ألف غرش، وذهب إلى الجامع. وظل يتضرع ويدعو الله أن يعيد دراهمه إليه حتى أصبح الصباح. واتفق أن أحد تجار البلدة كان مسافراً فى البحر فهبت الأنواء والعواصف فنذر للشيخ ألف غرش إذا سلم من هذه النازلة، فنجا وأتى يبحث عن الشيخ حتى وجده فدفع إليه النذر وقص عليه القصة وقال إنى قد تخلصت ببركة دعائك ومددك.

فبعد أن فكر الشيخ طويلا قال: سبحان الله لو أقرضت هذه الدراهم لإنسان لأعادها إلىّ بدون أن يفكر بمثل هذه

الأهوال فالعقل البشرى لا يدرك سر حكمة الحق جل وعلا كيف ضاعت دراهمنا وكيف حصلت .

١٧٢ — السلحفاة تحرث



(جحا يعلم السلحفاة الحراثة)

كان يوماً يحرث أرضه فلقى سلحفاة فأخذها وعلقها على رقبته بخيط فكانت كلما تحركت يقول لها : لماذا تضطربين هكذا ؟ . . أليس من العار أن تتعلمى الحراثة أيضاً ؟

١٧٣ — البسها بالعافيــة

كان فى « سيورى حصار » بلدة الشيخ قاض سكير فسكر

يوماً فى المزرعة ونام وقد خلع جبته وقاووقه ورماهما جانباً وخرج الشيخ للتنزه هو وتلميذه حماد ، فرأى القاضى وحالته فأخذ الجبة ولبسها وذهب .

ولما انتبه القاضى ولم يجد الجبة قال للمحضر إذهب وأتنى بمن أخذ الجبة واتبعنى إلى المحكمة .

فذهب وأتى فى اليوم التالى ومعه الشيخ وتلميذه ، والشيخ لابس الجبة .

فسأله القاضى : من أين أتيت بهذه الجبة ؟

فقال الشيخ : ذهبت للنزهة مع حماد أمس فوجدت رجلا ذا عمامة سكراناً ملق على الأرض فأخذت جبته ولبستها ويمكننى أن أثبت ذلك بشهود وأمارات وأريكم من هو ذلك الشخص . . .

فقال له القاضى : من يعلم ذلك السفيه ، ولكن أنت البسها بالعافية فلا دخل لى بذلك .

---

١٧٦ — عودنا الحمار على الرياضة ولكن لم يساعده الأجل

حصل له فى شتاء إحدى السنين ضائقة ، فقال فى نفسه : عجباً ألا يمكننى أن أقلل علف الحمار ؟

وأخذ فى كل يوم ينقص شيئاً من العلف المعتاد فلم يؤثر ذلك فى الحمار ، فأنقص أيضاً حفنة . فلم يهتم الحمار بذلك وهكذا أنزل

العلف لدرجة النصف من المعتاد، فلم ير بأساً فى الحمار . ولكن عندما أنقص له التبن أيضاً مع نقص الشعير حفنة وجده صباح ذات يوم فاطساً ، فقال : عوّدنا الحمار على الرياضة ولكن لم يساعده الأجل .

---

١٧٧ — على كل إنسان أن يحمل ماله تحت رأسه

كان يزرع فى النهار النصوب فى بستان ويقلعها فى الليل ويأخذها إلى البيت ، فقيل له : ما هذا ؟

فأجاب : ياأولادى ، الدنيا خربت ، فيلزم على كل إنسان أن يجعل ماله تحت رأسه ، فمن يعلم ماذا يحدث ؟

---

١٧٨ — من يسمع كلام زوجته يستحم حاراً وبارداً

حضر يوماً إلى البيت ليتوضأ لصلاة العصر ، وفيما هو مستعجل ليلحق الجماعة شغلته امرأته بأشياء تافهة ، ثم قالت له : أرى ثيابك وسخة فالأولى أن تستحم . فوافقها .

ولما أراد الذهاب إلى الحمام قالت له : لا تبطىء فإنك تعلم أنه سيعقد نكاح شقيقتى اليوم وأنت ستقوم مقام الوالد . وإذا لم تكن موجوداً يتأخر العقد ونخجل من المدعوين ، وأكدت عليه . فأسرع فى ذهابه واستحم وهو يعلم أن لا ضرورة لاستحمامه .

ولما جاء وقت عودته إلى بيته رأى الأمطار تهطل كأفواه

القرب . فلم يسعه الانتظار وخاف أن تتبلل ثيابه وجبته فنزعها وصرّها صرّاً محكما وخرج من الحمام عارياً من رأسه إلى قدميه ولما وصل إلى البيت رأى المدعوون واقفين على الباب ينتظرونه فعندما رأوه قالوا له : ماهذه الحال ؟

فأجابهم الشيخ : من يسمع كلام امرأته يستحم حاراً وبارداً .

---

١٧٩ — مادامت الحال على ماترى فلا شيء

كان يوماً راكباً جملا فأخذ يسف سويقاً (وهو الدقيق الممزوج بالسكر) وكان الهواء شديداً ، فكلما وضع شيئاً فى فمه يتطاير ولا يدخل جوفه شيء منه ، فسأله رفيق له : ماذا تأكل ؟

فأجابه : ما دامت الحال على ما ترى فلا شئ .

---

١٨٠ — أيفر الإنسان من رحمة الله ؟

كان يوماً جالساً فى نافذة داره ينظر إلى المطر الذى كان نازلا بشدة ، فرأى أحد جيرانه راكضاً بسرعة البرق مخافة أن تتبلل ثيابه . فناداه الشيخ وقال له : لماذا تركض ؟

فأجابه الرجل : أفر من المطر (وفى التركية يقال للمطر : رحمة)

فأجابه الشيخ : واه واه ، أسفاً عليك ، حقاً إننا فى آخر الزمان . هل يفر الإنسان من رحمة الله ؟

فتأثر الرجل وأخذ يمشى الهوينا ، والشيخ ينظر اليه فما وصل الى داره حتى غسله المطر .



(جحا يخاطب جاره من النافذة)

واتفق أن كان الرجل ذات يوم جالساً فى نافذة داره ينظر إلى المطر وإذا بالشيخ يجرى مسرعاً وقد رفع جبته وأذياله . فناداه الرجل قائلا : أنسيت ما قلته لى ، هل يفر الإنسان من رحمة الله ؟

فصبر الشيخ هنيهة وأجابه: كلا وإنما أسرع لكيلا أدوس الرحمة (المطر) . وأسرع إلى داره .

١٨١ — حتى الموقدة تخشى المرأة

أراد يوماً أن يشعل النار فى الموقدة فنفخ كثيراً فلم تشعل فطلع فى الحال إلى غرفة امرأته وأتى بقفطانها ووضعه على رأسه ونفخ « بف . . . بف . . . » فاشتعلت النار . فقال الشيخ : يا للعجب ! حتى الموقدة تخشى امرأتى !

---

١٨٢ — جئت خالياً وأذهب خالياً

اصطاد يوماً فى بحيرة « آق شهر » سمكا وأراد الانصراف فاجتمع حوله أولاد المحلة وسرق كل منهم سمكة أو سمكتين ولما نهض ليذهب رأى الزنبيل فارغاً لا شىء فيه ، فخاطب البحيرة قائلا : جئت خالياً وأذهب خالياً فلا تمنى علىّ ، وخذى الزنبيل هبة لك . . وألقاه فى البحيرة وذهب .

---

١٨٣ — اسألوا الميت

قالوا يوماً : ياشيخ أنت عالم ، فنرجو أن تحل لنا هذا المشكل . قال : وما هو ؟

قالوا : الدنيا كم ذراع ؟

وإذا بجنازة مارة فى ذلك الوقت فأشار الشيخ إلى التابوت وقال لهم : هذا السؤال يرد عليه هذا الميت فاسألوه لأنه ذرع الأرض وسار .

١٨٤ — القاووق يلعب

ذهب فى يوم عيد إلى الميدان خارج البلدة ليرى الأولاد كيف يلعبون ، ولما اختلط بهم وهو ينظر إلى ألاعيبهم تقدم أحدهم منه وخطف قاووقه عن رأسه ورماه فى الساحة ، فأخذ الأولاد يتلاعبون بالقاووق ويركضون هنا وهناك ، وحاول جحا كثيراً أن يأخذه منهم فلم يمكنه ذلك ، ولم ينل سوى قهقهة الأولاد ولعبهم وضجيجهم .



(جحا والأولاد والقاووق)

وانتظر هنيهة فلما لم يستفد شيئاً ركب حماره وعاد مكشوف

الرأس فلقيه فى الطريق صديق له فقال : كيف تذهب ياسيدى وأنت مكشوف الرأس ، وأين قاووقك ؟

فأجابه : اختلط مع الأولاد فى ميدان اللعب حيث خطر فى باله عهد الطفولة فهو يلعب معهم .

١٨٥ — ذاك يتكلم وهذا يفكر

رأى يوماً طائراً يباع فى السوق باثنى عشر ذهباً وهو بقدر الحمامة ، فقال فى نفسه : ما أروج سوق الطيور ، فقد حان الوقت للربح ، وغداً أبيع ديك الحبشة الذى عندى .

وفى اليوم التالى حمل ديك الحبش[1] وذهب إلى السوق وهو ينتظر أن يبيعه بمبلغ طائل فوضعه بالمزايدة فلم يتجاوز ثمنه ١٢ قرشاً ، فغضب جحا وقال لأهل السوق بحدة : أناشدكم الله ما هذا العمل ؟ أمس رأيت طيراً بقدر الحمامة مصبوغاً يباع باثنى عشر ذهباً وكل منكم دفع فيه سعراً عالياً وهذا الطائر الذى عرفه ومنقاره كالمرجان والعقيق ولون ذنبه كالحرباء إذا قابل الشمس يلمع بألوان زاهية ملتهبة وإذا صفر له ينفخ خرطومه ويرفع ذنبه وجناحيه كالخيمة وتصير له جثة كالخروف فلا يمل الإنسان من رؤيته وهو يتمايل عجباً وتيهاً ولولا الحاجة ما كنت أقدمت على بيعه ، وعندما أخذته من البيت حزنت امرأتى

---

(١) ويسمى بمصر (الديك الرومى) .

وأولادى عليه وبكوا بكاء شديداً على فقده وهو يناغى «قل قل قل قل» ليشوقهم ويزيدهم بكاء ، قاتل الله الحاجة التى جعلتنى أعرضه للبيع ، ألا تزيدون فيه على اثنى عشر قرشاً ؟



(جحا والديك فى السوق)

فتقدم رجل من أهل السوق وقال للشيخ : كن براحة بال فإنك غافل عن الحقيقة تماماً ، فالطير الذى كنا نبيعه أمس ليس بطائر مصبوغ كما زعمت بل هو لونه الذى خلقه الله به وهو الطائر المسمى بالببغاء .

فأجابه الشيخ : أو ليس هو طائراً . فما هى فائدته وما هى معارفه ؟

فأجابوه : إن هذا الطائر ذو معرفة وهو يتكلم كالإنسان .
فنظر الشيخ إلى ديك الحبش وهو تحت إبطه ، وأشار إليه وقال : إذا كان ذلك يتكلم فهذا يفكر جيداً .

---

١٨٦ — لو لم أقطعه لسحبته وأوقعتنى

وقف فى نافذة داره وقد حصر حصراً شديداً فأخذ يبول منها على الطريق ، فمر من أمام داره رجل ، فقطع الشيخ بوله فقال الرجل : لماذا قطعته ؟

فأجابه : لو لم أقطعه لأمسكت به وسحبته كالخيط وأوقعتنى على الأرض .

---

١٨٧ — هذا رأس حمارى

سرق مقود حماره المزين بالودع فقبض على آذان الحمار وذهب به إلى البيت ، وبعد يومين رأى نفس ذلك المقود برأس حمار كبير فعجب من ذلك وقال : هذا الرأس رأس حمارى ، ولكن كيف تبدل جسمه ؟

---

١٨٨ — أنت لا تسألنى وأنا لاأتكلم

سلمه يوماً أحدهم علبة مغلقة وقال له : أرجو أن تحفظها إلى أن أعود ، ومضت بضعة أيام ولم يحضر الرجل فقال جحا : عجباً ماذا تحتوى هذه العلبة ؟ ثم فتح الغطاء فوجد فيها عسلا مصفى من أجود ما يكون فسال لعابه وغمس إصبعه ولحس ، فأعجبه

فصار كلما دخل وخرج لعق لعقة وينتحل أسباباً ليدخل إلى المكان الموجود فيه العلبة إلى أنه لم يبق فيها شئ . فأخذ حفنة ذرة ورشها فى أسفل العلبة .

وبعد مدة حضر صاحب العلبة وطلبها فناوله إياها بكل فتور فوجدها خفيفة ففتحها فلم يجد فيها شيئاً من العسل فقال له : أين العسل ؟

فأجابه الشيخ : لا أنت تسألنى ولا أنا أتكلم .

١٨٩ — لاعادل ولاظالم

كان تيمورلنك السفاك عندما استولى على بلاد الأناضول يحضر علماء البلدة وفضلاءها ويسألهم : أنا عادل أم ظالم ؟

فإن أجابوه أنك عادل ذبحهم ، وإن قالوا إنك ظالم قتلهم فضاق ذرعهم ، فجاءوا يقصدون الشيخ لما اشتهر به من الأجوبة السديدة الحاضرة وقالوا له : لا ينقذنا من شر هذا الظالم غيرك فافعل ما أنت فاعل وانقذ عباد الله من سيف نقمته .

فأجابهم : إن التخلص من هذا الرجل ليس بالأمر الهين كما تعلمون ولكننى أرجو أن أوفق إلى ماتطلبونه .

وبكل حيطة جاء مقر تيمورلنك . فأعلموه أنه حضر من يقدر أن يجيب على سؤالك . فأحضروه أمامه وأورد عليه ذلك السؤال ، فأجابه الشيخ : أنت لست ملكا عادلا ولا باغياً ظالماً ،

فالظالمون نحن وأنتم سيف العدل الذى سلطه الواحد القهار ذو الجلال على الظالمين .

فأعجب تيمور لنك بهذا الجواب وسر من الشيخ واتخذه نديماً خاصاً له ولم يعد يفارقه مدة إقامته ببلاد الروم ، وبهذه الوسيلة صان بلدته « آق شهر » وحواليها بل كل بلاد قرمان من صولة عساكر تيمور لنك وبغيهم .

---

١٩٠ — ألا تعرفين السباحة قليلا ؟

كان للشيخ امرأتان ، ففى ذات يوم جاءتا إليه وقالت إحداهما : أتحبنى أنا أكثر أم تلك ؟ وقالت الثانية مثل ذلك وتعلقتا به . فحار الشيخ وأجاب أجوبة مبهمة كقوله أحبكما سواء ولـكن لم تقنعا ، وضايقتاه ، حتى أن الصغرى منهما قالت له : لو غرقنا ونحن نسبح فى بحيرة « آق شهر » وكنت على البر فأية واحدة تنقذ منا أولا ؟

فاضطرب الشيخ حاسباً هذا القول حقيقياً وضاع صوابه، ثم التفت إلى امرأته القديمة وقال لها : أظنك تعرفين السباحة قليلا . . أليس كذلك يا عزيزتى ؟

---

١٩١ — من يسلم من لسان الخلق لله دره

ذهب وابنه يوماً إلى إحدى القرى وأركب ابنه على الحمار

فصادفه أحدهم فقال: أف من هذا الزمان ، أنظروا كيف يركب هذا الغلام براحة ويترك والده الشيخ الفانى يمشى على قدميه .

فقال الولد : يا أبى ألم أقل لك اركب أنت فلا تعاندنى .

فركب الشيخ ونزل الغلام ، فصادفهما جماعة فقالوا : أيليق بهذا الشيخ الذى قوى جسمه وعرك السنين أن يدع هذا الغلام الغض يمشى وهو يركب ؟

فأخذ الشيخ ابنه من يده وأردفه وراءه ، وما سار قليلا حتى صادفهما آخرون فقالوا : تأملوا يا ناس فى إنصاف هذا الرجل كيف يركب ويردف ابنه على هذا الحمار الضعيف .

فغضب الشيخ ونزل هو وابنه وساقا الحمار يرمح أمامهما وهما يمشيان بذلك الحر المحرق ، فصادفهما جماعة فقالوا: الله الله من هذين يتركان الحمار يرمح وهما يمشيان فى هذا الحر الغبار .

فقال الشيخ : ياهؤلاء من يسلم من ألسنة الخلق فلله دره .

١٩٢ — وأنا لم أقدر أن أركبه

كان قوم يتفاخرون بفروسيتهم فى أيام الصبا، فنهض الشيخ وقال: جيء ذات يوم بجواد حرون للغاية لا يمكن التقرب منه، فتقدم إليه أحد شجعان القرية فلم يقدر على ركوبه ولا التقرب منه ، وقفز واحد على ظهره فرفسه وصرعه على الأرض ، وأتى آخر فلم يمكنه الركوب أيضاً ، فعندها أخذتنى الحمية فرفعت

أذيالى وشمرت عن ساعدى وأمسكت بعرفه بسرعة وقفزت (ودخل فى تلك البرهة أحد أصحابه) فأكمل حديثه قائلا : ولـكننى لم أقدر أن أركبه .

١٩٤ — أحب من معها عقد الودع الأزرق

كان للشيخ زوجان وقد أهدى كلا منهما عقد ودع أزرق ونبه على كل منهما قائلا : إياك أن تريه إلى ضرتك لأنه علامة حبى لك .

ففى ذات يوم هجمتا عليه وقالتا له : من تحب منا وقلبك مشغوف بها ؟

فقال لهما : إنى أحب من معها العقد الأزرق . فكانت كل واحدة تعتقد أنه يحبها أكثر من الأخرى .

١٩٤ — هل تشاجرتا من أجل العمر ؟

جاءه رجل فى ارتباك عظيم وقال له : لقد تشاجرت امرأتى وأختها وكادتا أن تخنقا بعضهما فأرجو أن تحضر لعلك تتخذ وسيلة لإصلاح ذات بينهما .

فأجابه الشيخ : هل تشاجرتا من أجل العمر ؟

فقال الرجل : كلا يا سيدى لم تبحثا عن الأعمار

فقال له : اذهب إلى البيت إذن فلا لزوم للارتباك فربما تكونان قد تصالحتا .

١٩٥ — لا كلام بهذا

كان جحا يصلى بعد الإفطار فى رمضان صلاة مختصرة ثم يتمم الطعام ، فدعوه يوماً إلى الإفطار وأوعزوا إلى الإمام أن يطيل القراءة فى الصلاة .

فأخذ الإمام بتلاوة سورة الفاتحة يجوّد ماداً الكلام مطولا حتى ضجر جحا ، وبعد الفاتحة بدأ الإمام بقراءة سورة يس ، فما قال (يس) حتى قال جحا : يعلم الله أنى لا أحتمل فلكل شىء وقت . وخرج من الجماعة ونوى الصلاة منفرداً ، فقال الإمام (والقرآن الحكيم . . . الله أكبر) فعاد جحا مقتدياً بالإمام ، قائلا : هذا لا كلام فيه !

---

١٩٦ — لماذا تنظر ولا تأكل ؟

ذهب من بلدته « آق شهر » إلى « سيورى حصار » وكان جائعاً وكيسه فارغاً ، فمر بالسوق ورأى باعة الخبز يخرجونه من لفرن طرياً وقد انتشرت روائحه الزكية ، فقال للخباز : هل هذا الخبز لك ؟

فقال : نعم .

فكرر جحا عليه : وهل كل هذا الخبز وهذه الأرغفة البيضاء لك ؟

فأجابه الخباز : لماذا تضايقنى ؟ أجل كلها لى .

فأجابه جحا بكل اهتمام : طالما المسألة كذلك فلماذا أنت جامد تنظر ولا تأكل ؟

---

١٩٧ — دعنى أقابل صديقى القديم

دعاه ولى أفندى زاده من وجوه البلدة إلى الإفطار عنده فى رمضان . وكان قد تجوّل معه فى النها وزارا مساجد البلدة كلها . وقد جاع جحا جوعاً شديداً .

فلما دخلوا غرفة الطعام كان ديك الحبش (الرومى) المحشو والبقلاوة والفطاير وما ماثل ذلك من الأطعمة الجيدة ممدودة على الخوان ، ولم يعد الشيخ يطيق الصبر فتقدم ، وجلسوا أمام المائدة فجىء بحساء (الشوربا) الكرش ، تفوح منها الروائح الزكية ، فأخذ صاحب الدعوة ملعقة والتفت إلى الخادم وقال له : كم مرة نبهتك أن لا تضع فى الطعام ثوماً . فأرجعوا هذا الصحن وارفعوه من أمامنا . فرفعه والزبدة فوقه وجحا يتحسر ولا يظهر تحسره ، ثم أتوا بالديك الرومى محشواً كأحسن مايكون تفوح منه روائح البهارات ، فالتفت صاحب البيت إلى الخادم وقال له : تعساً لكم أما أمرتكم أن لاتضعوا أفاويه بهذا المقدار فى المأكل فارفعه حالا . فرفعه ، وجحا يتأوه ويتحسر وهو يشيعه بنظراته حزيناً كئيباً .

وأتوا بالبقلاوة فأراد أن يبدأ بإعطائها من عند جحا

رعاية للترتيب ، فصاح به صاحب الدعوة قائلا : أيها الأبله كيف يأكل الانسان الحلوى قبل الطعام ؟ انهزم من هنا .
فانسحب الخادم مذعوراً .



(جحا يأكل الأرز)

ولما رأى جحا أن كل نوع من الطعام أخذ من أمامه بحيلة من الحيل أخذ ملعقة وهجم على صحن الأرز الموضوع على الخوان وهو مغطى بالفستق واللوز تضوع منه الروائح العطرية كالعنبر ، وأخذ يزدرد ملعقة تلو ملعقة .

فقالوا له : انتظر يا جحا إلى أن يجيء وقت الأرز .

فقال لصاحب الدعوة : ياسيدى أمهلنى قليلا لأقابل هذا الصديق القديم ، بينما أنت تعدد ذنوب تلك الأطعمة وتقوم بمجازاتها لأنى مشتاق إلى سؤال خاطره وافتقاد صحته ، وأما أنت فثابر على شغلك .

١٩٨ — لا تجعليه رقيقاً فيقطع

تقدمت إليه امرأتان فاتنتان عندما كان قاضياً فى « سيورى حصار » فقالت إحداهما: لقد أوصيت هذه على عمل خيوط ثخينة لشعرى فنسجت لى خيوطاً رقيقة ، وحسرت الحجاب عن وجه كأنه البدر وأرته شعرها اللماع كقصاصة الذهب قائلة :فلترد لى دراهمى . فقال جحا : سبحان الله ، والتفت إلى المرأة الثانية وقال لها : ماذا تقولين أنت ؟

فقالت بصوت يرتجف غضباً : كانت مقاولتنا أن يكون كخنصرى هذا لا كساعدى، وكشفت عن ساعدها الأبيض وهو ثخنة كعمود من فضة . فابتسم جحا وقال لها : كنى كنى يا ابنتى لا تجعلى الخيط ثخيناً ولا تجعليه رقيقاً يقطع كقلب شيخكما .

١٩٩ — اعطنى شلتة أجعلها فراشاً وأخرى لحافاً

كان يوماً ضيفاً عند أحدهم، فتأخر قليلا، فتعشى صاحب الدار ظاناً أن جحا تعشى أيضاً ، وجاء جحا فسامره ولاطفه وأمضى معه هزيعاً من الليل، ثم دخل أصحاب الدار للمنام بعد

أن قالوا للشيخ : « تصبح بخير ، خذ راحتك » ، وكان الخادم قد أعد له فراشاً نظيفاً جيداً وذهب .

ولما خلا الشيخ بنفسه جاع وأراد النوم فلم يقدر، فأخذ يجول فى الغرفة فلم يفده ذلك واشتد عليه الجوع ، فتقدم من الباب الداخلى وقرعه ، فرد عليه من الداخل : ماهذا ؟ ماهذا؟

فأجابهم مسترحماً : إنى حصاى وفراشكم الواطىء حرمنى النوم فهل لكم بشلتة أجعلها فراشاً وأخرى لحافاً ووسادة حتى أنام بهناء وراحة ولكم الفضل ؟

---

٢٠٠ — أنت لك الرنين وذاك له الدراهم

ادعى بعضهم على آخر أمام الشيخ ، وكان قاضياً ، أنه رأى فى منامه أن ذلك الشخص (المدعى عليه) أخذ منه دراهم عدها له وكان لها رنين ، ثم قال : والآن أطلبها فلا يعطينى إياها .

ففكر الشيخ قليلا فى هذه القضية ، ثم أمر المدعى عليه بإحضار مقدار من الدراهم إلى المحكمة فأحضرها بعد تردد واعتراض ، ونادى الخصمين ، فلما وقفا بين يديه ابتدأ يعد الدراهم ويفحص رنينها حسب المعتاد ، ثم التفت إلى المدعى وقال له : خذ هذا الرنين ، وقال المدعى عليه : خذ أنت دراهمك ، ولا تتجاوزا حقوقكما .

---

٢٠١ — دعوني من تعبير رؤياه

رأى تيمورلنك فى منامه رجلا أزعجه فقتله . وسمع الشيخ بخبر الرؤيا ، فأسرع إلى أشيائه فجمعها وفر إلى قرية أخرى .

فسألوه : لماذا تركت هذا الرجل ، وقد وافق نجمك نجمه ، وهو لا يغضب منك ، وذهابك يضر بالبلدة ؟

فأجابهم الشيخ : كنت فى اليقظة أدبر كل مسألة بعناية الله تعالى حسب ما يلزم وأحتاط وأحترز ماأمكن ، فتدخلى الآن فى أحلامه إذا لم يوافق تعبيرى لها مرامه خطر عظيم والعاقبة أليمة فدعونى من تعبير رؤياه .

---

٢٠٢ — عار عليك أن تهينني من أجل خمسة غروش

كان مديناً لبقال بثلاثة وخمسين غرشا ، فيوماً كان الشيخ جالساً مع بعض أصدقائه فى السوق فمر البقال من أمامه وأشار إليه بمعنى أنك إذا لم تعطنى حق فإنى أهينك أمام أصدقائك ، فانتقل الشيخ إلى الجانب الآخر ، فحضر البقـــال إلى ذلك الجانب وأشار إليه مهدداً أيضاً .

فاستاء الشيخ من هذه المعاملة وجعل يكرر « لاحول ولا قوة إلا بالله » ولم يكن الرجل ممن يندفع بمثل هذا القول ، وشعر الحاضرون بالأمر . والبقال مازال مصراً على عمله . فأخذت الشيخ الحدة وانتهر البقال قائلا . أنا مدين لك بثلاثة وخمسين

غرشاً أليس كذلك ؟ فقال: نعم . قال الشيخ : فما عليك إلا أن تجيئنى غداً أعطيك منها ٢٨ ، وبعد غد أعطيك ٢٠ فالجملة ٤٨ غرشاً ، فماذا يبقى ؟ قال البقال : يبقى خمسة قروش .

فقال له جحا : أفلا تخجل أيها القليل التربية والحياء أن تعاملنى هذه المعاملة السيئة فى السوق أمام أصدقائى وأعدائى من أجل خمسة غروش ؟

---

٢٠٣ — إذا أخفيت الصوت فماذا تفعل بالرائحة ؟

كان أحدهم جالساً عند الشيخ ، فخرج من الرجل صوت فخجل وأخذ يضرب الخشب برجله لكى يخفى الصوت .

فقال له الشيخ : إذ أخفيت الصوت فماذا تفعل بالرائحة ؟

---

٢٠٤ — أبصرتكم بأنثاه

كان فى جيش تيمور لنك كثير من الفيلة فبعث بواحد منها إلى قرية الشيخ يرعى هناك فلم يبق فى مزروعات القرية ولم يذر فاجتمع القرويون بالشيخ ورجوا منه أن يرفع عنهم هذه النازلة .

فأخذهم وتوجه بهم لمقابلة تيمور لنك ، ولما مثل بين يديه قال له : لقد انتدبنى هؤلاء القوم عنهم بتقديم واجب الشكر على إحسانكم العميم بتخصيص قريتنا بفيل من أفيال عظمتكم . وبما أن الفيل اشتاق إلى أنثاه فى ديار الغربة فنسترحم صدور

أمركم بإرسال أنثى له وبذلك تزداد دعواتنا لسدتكم الملوكية .

فسر الملك من ذلك ، وأنعم على الشيخ بالخلع والهدايا والتحف وأمر أن يبلغ القرويين تحياته ، ثم أصدر أمره بإرسال فيلة إلى قرية الشيخ .

وخرج الشيخ مسروراً مستبشراً بما ناله من الإنعام ، وتألب أهل القرية يسألونه : ماذا فعلت ؟ ولعلك تبشرنا بخبر سار ؟ فأجابهم الشيخ : أبشركم فقد أمر بإرسال أنثاه أيضاً ، وهو ينعم عليكم بالسلام الوافر .

---

٢٠٥ — أصلح الله القاضى

كان فى عهد الشيخ بمدينة قونية قاض مشهور بالارتشاء ، وكان للشيخ إعلام يريد تصديقه من القاضى وقد اتخذ كل الوسائل فما أمكنه أن يصدقه إلا أن حضر بالذات إلى قونية وقدم جرة عسل كبيرة للقاضى فعندما رآها القاضى خرج إلى محل الضيوف وقابل الشيخ بكل ترحاب وختم الإعلام فتناوله الشيخ ووضعه فى عبه وسار بعد أن نظر إلى القاضى نظرة ذات معنى .

ولم يمض يومان حتى أهدى بعضهم إلى القاضى شيئاً من القيمق (القشطة) ، فأسرع إلى الجرة وأدخل فيها الملعقة قاصداً إخراج شيء من العسل فلم يجد غير قطعة من الطين قد يبست فى أسفل الجرة ، فغضب القاضى وقال للمحضر اسرع واتنى بهذا

الشيخ المسمى نصر الدين ، فذهب المحضر إلى السوق فوجد الشيخ يبتاع أشياء بيتية ليذهب بها إلى بلده ، فدنا منه بكل احترام قائلا : يا سيدى لقد وقع فى الإعلام نقص فى السبك والربط ويريد أخوكم القاضى إصلاحه وإعادته .

فتبسم الشيخ باستهزاء وقال : ليس فى الإعلام الشرعى شيء من النقص ، وإنما هو فى عقل مولانا القاضى وقد أصلح الإعلام بعض مأمورى معيته فأرجو أن يصلحه الله كذلك . وعاد إلى تهيئة لوازمه السفرية وخرج من البلدة .

٢٠٦ — أنا أعرف طبعها المعاكس

كانت حماته أمام النهر تغسل ثياباً لها فزلقت رجلها ووقعت فى النهر ، وأسرع الناس إليها ففتشوا على جسدها فلم يعثروا عليه فأخبروا الشيخ بذلك ، فحضر وذهب إلى منبع النهر باحثاً فيه عن الجثة . فقالوا له : الجثة تذهب نزولا للماء لا صعوداً .

فهز رأسه وقال لهم : أنتم لا تعرفون أن كل أعمالها عكسية فاتركوا لى ذلك فأنا قد تعلمت طريقتها .

٢٠٧ — يوجه وجهه نحو ثيابه

كان أحدهم يغتسل فى بحيرة « آق شهر » وكان الشيخ هناك فقال الرجل : إذا كان الانسان يغتسل فإلى أى جهة يجب أن يوجه وجهه؟ فأجابه الشيخ : يوجه وجهه إلى الجهة التى فيها ثيابه.

٢٠٨ — لو لم أخنقه لكان خنقني

كان يوماً ضيفاً عند أحدهم ، فأعطاه قبل النوم قاووقاً كبيراً ليلبسه فى نومه ، فأخذه الشيخ وربطه من نصفه ولبسه قائلا : غداً أحل الرباط فيعود إلى حاله ، ونام .

وقبل أن يستيقظ جاء صاحب الدار فقال له مازحاً : ألم تزل نائماً كأنك صرت من أهل الكهف ؟ ودخل الغرفة



(جحا لابسا القاووق المخنوق)

فلما رأى الشيخ بشكله العجيب رابطاً القاووق من وسطه قال له : لقد خنقت القاووق !

فأجابه الشيخ : ياولدى لو لم أخنقه لكان هو خنقني .

٢٠٩ — كما تدين تدان

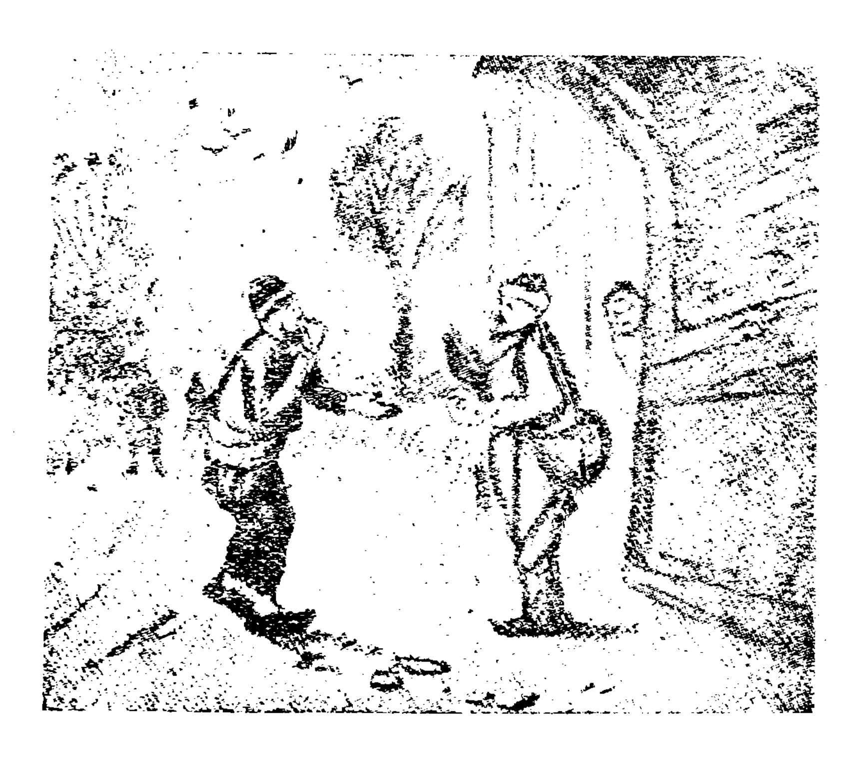
أصاب الشيخ من أحد جيرانه ما أصاب قاضي قونية منه ، فقد أوصى ذات يوم جاراً له على مقدار من الزيت ، فأخذ الرجل الزجاجة ووضع فيها بولا وجعل فوقه قليلا من الزيت وبعث بها إلى الشيخ .

وكانت امرأته قد هيأت أدوات قلي الباذنجان ووضعت المقلاة على النار ، ولما أخذت زجاجة الزيت وصبت ما فيها فى المقلاة أخذت تفرقع وانتشرت الروائح السيئة ، فانتبه الشيخ وامرأته إلى ما فعله جاره ، فقال : فعلها معى ولكن لا بأس .

وانتظر إلى أن مضت عدة أيام على ذلك ، فأخذ علبتى عطوس متشابهتين تماماً ووضع فى إحداهما عطوساً وفى الأخرى غائطاً يابساً مدقوقاً وكان جاره ولوعاً بالعطوس .. فوقف الشيخ فى مكان قريب منه وخذ يتنشق العطوس باشتهاء وتلذذ قائلا : « أوه ما أجوده ! كأنه العنبر ، فتعالى يا كيفى تعالى ! » ورآه جاره فعن له العطوس واقترب من الشيخ قائلا : اعطنى شمة من عطوسك العنبرى .

فامتنع جحا تشويقاً له ، ثم قال : قد أهدانى القاضى شيئاً من هذا العطوس المهدى إليه . فألح عليه جاره بالطلب فما كان منه إلا أن أخرج العلبة الثانية وناوله إياها . ففتحها ذاك بكل شوق

وأخذ بين أصابعه كمية عظيمة وتنشق فما أن وصلت إلى دماغه حتى كاد أن يغشى عليه من كراهة الرائحة التي انتشرت في حلقه



(جحا وجاره)

ودماغه فقال لجحا : الله يجازيك على عملك ، ماهذا العطوس؟
فأجابه جحا : هذا راسب زيت أمس ، وكما تدين تدان !

---

٢١٠ — وأنت محقة أيضـاً

كان لأحد أحبابه قضية عنده . فحضر إلى دار جحا وسرد له دعواه وقال له : ألست محقاً في هذه الدعوى ؟

فقال : أجل أنت محق يا أخي .

وجاء خصمه فى اليوم الثانى ولم يكن يعلم بما فعل الأول فعرض على الشيخ القضية بتفاصيلها وقال : ما قولك يا شيخنا ألست محقاً ؟

فقال له : كيف لا ؟ أنت محق .

واتفق أن امرأته سمعت قوله للمدعى والمدعى عليه فقصدت أن تخجل الشيخ فقالت له : أمس حضر جارنا فلان فقلت له أنه محق ، وجاء اليوم خصمه فقلت له : إنه محق . . فكيف يكون المدعى والمدعى عليه محقين فى دعوى واحدة ؟

فأجابها ببرود : وأنت ياعزيزتى محقة أيضاً .

---

٢١١ — من باع بخار الطعام يقبض رنين الدرام

عثر أحد فقراء مدينة آق شهر على كسرة خبز يابسة فأخذ يفكر فى إدام يغمسها به . فمر بدكان طاه وقد رأى الطعام يغلى وروائح البهار كالعنبر صاعدة منه فتقدم إلى القدر وأخذ يقطع اللقم من الخبز ويرفعها فوق البخار المتصاعد وكلما ترطبت يأكلها .

فعجب الطاهى لهذا النوع من الطعام وأخذ يتأمل فيه . . وبعد أن فرغ الفقير من كسرة الخبز وأراد الانصراف قام الطاهى وتعلق به طالباً ثمن ما أكله فامتنع الفقير لأنه لم يتناول سوى البخار فشكاه الطاهى إلى الشيخ وكان قاضياً فى « آق شهر » فأحضر الفقير أمامه . وبعد ما سمع الشيخ إقرار الطرفين على

الأصول المتبعة ، أخرج بضعة دراهم من جيبه ورنها بقرب أذن ذلك الطاهى قائلا : هات أذنك وخذ رنين الدراهم .



(جحا وفى يده الدراهم)

فقال الطاهى متحيراً : ما هذه المعاملة يا سيدى ؟

فأجاب الشيخ : هذا موافق للعدل والحق . فمن باع بخار الطعام يقبض رنين الدراهم .

٢١٢ — من لا يأكل ماله يؤكل أمامه

عمل فى أحد الأعياد حلوى وأكلها مع امرأته بكل سرور . وجلسا يتسامران إلى أن حان وقت النوم فاضطجع كل منهما .

ولكن الشيخ ما كاد يرقد حتى هب من فراشه منبهاً امرأته قائلا : جال فى خاطرى شىء لايمكن نسيانه أو تأخيره . وسيحصل لك شىء من الارتباك احمليه على أهمية المسألة .

فقالت له : ماذا جرى ؟

قال : قومى وناولينى بقية الحلوى .

فقامت وناولته الطبق ، فأخذ الشيخ يزدرد بقية الحلوى بكل اهتمام .

وأخيراً تنفس الصعداء وقال لامرأته : لم أقدر أن أنام لاشتغال أفكارى بهذه الحلوى فقد فكرت كثيراً ولم أجد إلا أن خير الطعام مامر بالحلق ونزل إلى المعدة ، ومن لا يأكل ماله يؤكل أمامه ، فقمت وأتبعت القول بالعمل .

---

٢١٣ — نادرة منظومة

وضعت زوجته وقت السحر ... فأناروا الشمع والنور ظهر
ثم ثنت بغلام أزهر ... بسرور وهناء مزدهر
عندما رأى الشيخ ما قد رأى ... أطفأ الشمعة فيها وارتأى
غضبت جارته من فعله ... وعلت أصواتها من جهله
ثم قالت كيف تطفىء شمعنا ... قبل أن تبزغ فيه شمسنا
فأجاب الشيخ لوذا الشمع دام ... لرأينا هجوماً لا يرام

٢١٤ — كنت تعلمين

امتلأت خزانة أكل الشيخ بالنمل ، فأخذ هو وامرأته فى تنقيتها حتى عجزوا ، وأدركت الشيخ صلاة الظهر فتوضأ وصلى وبعد ساعة جاء وقت العصر فقام يريد الوضوء والصلاة فقالت له امرأته : أيتوضأ الإنسان خمس وضوءات لخمسة أوقات ؟

فأجابها الشيخ : إذا لم نجد طريقة لهذه الخزانة فيلزمنا خمسة وضوءات لكل وقت .

وسكتا قليلا ، ثم قالت له امرأته : ولكن هل كنت تعلم ما أقاسى من المشاق فى سحب الماء من البئر وما تعانيه يداى من الحبل والدلو .

فأجابها بعد أن انسحب إلى جهة وأطلق ريحاً شديد الصوت : لوكنت تعلمين ما يدور فى بطنى من الريح وما أجده من الصعوبة فى إيجاد مكان لتفريغه لرثيت لحالى .

---

٢١٥ — ذوو اللحى ينامون فما بالك بالطفل ؟

تقدمت إليه امرأته ذات ليلة وقالت له والهياج آخذ منها مأخذه : لاأدرى ماذا حدث بهذا الطفل فهو لا يفتر عن البكاء مهما عملت له وقد عجزت ، فإن كنت تعمل له حجاباً للنوم أو تقرأ له دعاء من أهل الكهف ، أو تصنع ما أنت صانعه ، فقد كلت يداى من حمله وهزّه .

فأجابها الشيخ : ولماذا ترتبكين ؟ هاتى هذا الكتاب . ضعيه أمامه وقلبى أوراقه . وأعطاها الكتاب . . فغضبت وقالت : كأنك تريد أن تمزح معى ، وأخذت تعنفه وتقول له : مليح جداً بعد أن تزوجتنى وقضيت أربك أهملتنى فأصبحت عارية جائعة وجعلت شعر رأسى مكنسة دارك ووقفت حياتى لخدمة بيتك والولد ابنك لا ابن غريب فلماذا تسخر بى دائماً ؟

فأجابها الشيخ : أيتها المرأة أنا عملت الوسائل اللازمة فما معنى هذا الكلام الجاف الذى توجهينه إلىّ وتقلقين راحتى به ؟ فاعتدلت المرأة بحديثها وقالت له بلسان حاد : ما هذا الكتاب وماذا يكون فيه ؟

فأجابها الشيخ : اخفضى صوتك وتكلمى . . فهذا كتاب القدورى الذى كلما أقرأه فى الجامع على التلاميذ يحوم عليهم النوم وبعضهم ينام نوماً عميقاً ويأخذ بالغطيط فطالما أن الرجال العقلاء ذوى اللحى ينامون كالمسحورين من تأثيره فكيف لا يؤثر بهذا الطفل الصغير كالأفيون ؟

---

٢١٦ — ربطت شغلك فى جيزة

كان الشيخ جالساً فى نافذة داره المطلة على الطريق فرأى رجلا له عليه دين قديم ، فلم يشك الشيخ بأنه آت من أجله .

فقال لامرأته : قومى إلى الباب وقولى مايخطر لك وادفعيه عنا لعلنا نخلص من شره . فنزلت إلى الباب .

ومالبث الشيخ أن تبعها ليسمع مايدور بينهما من الحديث فدق الرجل الباب ففتحته قليلا وتكلمت من ورائه سائلة : من أنت ؟

فأجابها الرجل : أظنك تعلمين من أنا عند سماعك صوتى. لأنى جئتكم أكثر من مرة ، بل لعل هذه المرة المائة . أناصاحب الدين وقد تجاوز عملكم حد العيب ، فقولى لزوجك أن يحضر لأكلمه كلمتين (وكان كلامه هذا بحدة) .

فأجابته المرأة بتأن : قل لى ماذا تريد أن تذكره له وأنا أنقله إليه . لاشك بأنك محق فى شكواك . وخذ منى وعداً جازماً بأننا سنوفيك دينك لأننا اكتشفنا وسيلة جديدة للرزق .

فقال : وهل تطول المدة ؟

قالت : لا ، فإن قطعان غنم القرية بدأت تمر من أمام بيتنا. وبمرورها يقع صوف كثير منها فنجمعه ونغزله ونجعله خيوطاً ونبيعها ونؤدى إليك مطلوبك ولا نأكل حق أحد .

فأخذ الرجل بالضحك بعد أن كان مصغياً ينتظر النتيجة بوجه عابس .

وسمع الشيخ قهقهته ، فمد عنقه من الباب وقال له : آه منك أيها المهذار ، اضحك الآن فقد ربطت شغلك فى جميزة !

٢١٧ — له الأجرة ولك الصوت

عند ما كان الشيخ فى قونية ذهب إلى الحاكم وطلب منه أن يعينه قاضياً . ولما لم يكن فى مناصب القضاء مكان خال اعتذر إليه الحاكم ووعده . وعاد الشيخ بعد أيام يطلب وظيفة أخرى والحاكم يسوفه ويماطله .

ولما أعياه الأمر قال للحاكم : بما أنك قد أنلتنى التفاتك ووعدتنى أكيداً بوظيفة حسنة فقد جئت أذكرك بوظيفة خالية لا طالب لها ولا رقيب ولا تضر بالحكومة ولا الأهالى ، وتساعد حضرتك فى الأشياء التى يصعب حلها .

فأجابه الحاكم : أجل . قل ماهى تلك الوظيفة لأعينك لها ؟

فقال : أرجو أن تعينى « قاضى الظل » فى معيتك .

فأعجب الحاكم ومن معه بهذا العنوان ، وقال له : عينتك قاضياً للظل وهذه غرفتك . وأراه غرفة .

فدخل الشيخ تلك الغرفة وقعد فى زاوية منها ووضع أمامه صندوقاً جعل عليه أدوات كتابة وأوراقاً كثيرة ، وثابر على الحضور كل يوم ، إلى أن جاء فى أحد الأيام رجل ماسكا خصمه من تلابيبه ، وقال للحاكم : ياسيدى هذا الرجل لايعطينى حقى .

فقال الحاكم : ماهو حقك ؟

فقال المدعى : هذا الرجل قطع اثنين وثلاثين قنطار حطب

لسراج الدين أفندى ، وكنت جالساً أمامه ، وكلما أخذ الفأس وضرب كنت أقول « هيه ، هيه » وأشجعه وأقويه ، فانتفع بمساعدتى . ولما أخذ الأجرة لم يعطنى شيئاً منها لقاء أتعابى .

فسأل الحاكم المدعى عليه عن كلمة « هيه » فأجاب مصدقاً ماقاله المدعى ، فلم يقدر الحاكم على فصل هذه الدعوى ، وفكر قليلا فخطر فى باله « قاضى الظل » فقال للمدعى: نحن لا نتدخل بمثل هذه الدعوى وإنما يراها قاضى الظل الجالس فى الغرفة التى تراها أمامنا . فأخذهما المحضر إلى الشيخ . ووقف الحاكم وراء الباب يستمع ما عسى أن يحكم به الشيخ .

وسمع الشيخ مقدمات الشكوى ، كما تقدم شرحها ، ثم قال للمدعى : أجل ، لك الحق بذلك ، والا فما معنى أن تقعد أمامه وتتعب كل هذا التعب وهو يأخذ الاجرة كلها .

فقال المدعى عليه : يا سيدى أنا قطعت الحطب ، وهو يتفرج علىّ ، فأى حق له بالأجرة ؟

فأجابه الشيخ : أسكت فإن عقلك لا يدرك هذا . وطلب معد الدراهم فأحضروه . فأخذ الشيخ الأجرة من قاطع الحطب تماماً وجعل يعدها وقد أعلى يده لتحدث رنيناً شديداً . ولما أتم العمل قال للمدعى عليه : خذ دراهمك . والتفت إلى المدعى قائلا : وخذ أنت صوتها !

٢١٨ — خذ هذا اللاشيء

مثل بين يدى الحاكم شخصان وادعيا ما يأتى :

قال المدعى : ياسيدى إن هذا الرجل كان حاملا على عاتقه حطباً فزلقت رجله ووقع وتبدد الحطب ، فنادانى وطلب منى أن أساعده،فقلت له:ماذا تعطينى أجرة على عملى، فقال لاشيء فقلت له نعم ، ورضيت ، وساعدته على حمل الحطب فلم يعطنى اللاشيء الذى وعدنى به فأنا أريد ذلك اللاشيء وإلا ضاعت حقوقى .

فأحال الحاكم هذه الدعوى إلى «قاضى اللظل» فسمع جحا الدعوة مفصلة كما ذكرنا آنفاً ، ولما سمع المدعى يقول «حقوقى» أجابه : هاى هاى حقك يجب أن تحصل عليه ولا بد له من أن يفى بوعده ويؤدى ما عليه .

ثم نظر جحا إلى سجـــادة مفروشة فوق مقعده وقال للمدعى : تقدم ياولد وارفع هذه السجادة وخذ ماتجده تحتها .

فتقدم الرجل باهتمام ورفعها ونظر إلى جحا قائلا: لاشيء.

فقال له جحا: خذ لاشيئك واذهب ولاتقف فهذا حقك .

---

٢١٩ — هل حيوانات هذه الطاحون كبيرة بنسبتها ؟

كان جحا ماراً فى أحد أزقة قونية فرأى داراً مرتفعة عظيمة فأخذ يطيل النظر إليهـا ويحار فى عظمة بنائها ورونقها

فقال له الخادم الواقف أمامها: لماذا تنظر إلى الدار باهتمام؟

فأجابه جحا: أتفكر فى هذا البناء الجسيم، ماهو ياترى؟

فعند ما رأى الخادم جحا بأطماره البالية وحالته الساكنة قال له مازحاً: هذه طاحون!

فأجابه جحا: وهل حيوانات هذه الطاحون كبيرة بنسبتها؟

---

٢٢٠ — لي الشئون الخارجية ولها الأمور الداخلية

شبت النار فى دار جحا فجاءه أحد جيرانه وقال له: أسرع فقد شبت النار فى دارك وقد طرقت الباب كثيراً ولم يرد علىّ أحد.

فأجابه الشيخ ببرود: يا أخى أقسم لك بالله أن أمور البيت قد قسمناها شطرين وأنا فى راحة الآن، فأنا أجتهد فى الخارج والمرأة تدير داخل البيت، فأرجو أن تذهب وتخبر امرأتى إذ لا علاقة لى فى أمور البيت الداخلية.

---

٢٢١ — اذهب مع الحمار ثم أخبرك

كان يسوق حماره وهو ذاهب إلى كرم له فالتقى به أحد العوام ورافقه وقصد المزاح معه فقال له: إلى أين تسير أنت وحمارك؟

فأشار الشيخ فى الحال إلى الحمار وقال: اذهب أنت مع الحمار رويداً وأنا لى شغل قليل هنا أعمله ثم أجيبك عما سألتنى عنه.

٢٢٢ — فتحت فى حتى كاد يتمزق

كان بعض المتصلفين فى مجلس يهذر بكلام لامعنى له ويأخذ من كل واد عصى . وكان الشيخ منزوياً فى جهة يتمطى . وعند قرب ختام المجلس التفت ذلك المهذار قاصداً المزاح وقال : لماذا لا تتكلم ياحضرة الشيخ ؟

فأجابه الشيخ وقد ضجر من الصمت طويلا : ماذا تقول فقد فتحت فى حتى كاد يتمزق .

---

٢٢٣ — أو لم تلد أمك ؟

جاءته يوماً امرأة ومعها كنتها وشكت إليه أنه لم يلد لها ولد وأنها وزوجها حزينان وأن لاسرور والبيت خال من الأطفال فهل عندك تميمة أو بخور أو علاج تفيدنا به أو طريقة لذلك؟

فتأثر الشيخ وتأمل طويلا والتفت إلى كنة المرأة وقال لها : وهل هذه الحالة موروثة ؟ وهل أن والدتك لم تلد أولاداً يا ترى ؟

---

٢٢٤ — آبار مقلوبة

ذهب يوماً مع أحد رفاقه إلى قونية لتحصيل العلم ، فرأى رفيقه منارة قونية المرتفعة وكان لم ير ذلك قبلا فقال للشيخ : كيف يبنون هذه ياترى ؟

فأجابه الشيخ : هذه آبار مقلوبة .

٢٢٥ — مال الفقير يجب أن يكون نصب عينيه

كان يمضغ مصطكى فى مجلس فدعوه إلى الطعام، وعندما دخل الشيخ غرفة المائدة أخرج قطعة المصطكى من فمه وألصقها بأنفه فقالوا له : ماذا تصنع ؟

فقال : مال الفقير يجب أن يبقى نصب عينيه .

---

٢٢٦ — ما أحسنه مرعى لو لم يملأه ماء

كان آتياً من بلدته «آق شهر» إلى «سيورى حصار» لأول مرة ، فعندما رأى بحيراتها الكبرى قال : انظروا ما أحسن هذا المرعى لهذه البلدة ولكن ما الفائدة وقد ملأوه ماء .

---

٢٢٧ — اربطوه من أسفل

كان مسافراً بسفينة فهبت الأنواء وتمزقت القلاع وأخذ البحارون يصعدون إلى الصوارى يربطونها ، فعندما رآهم كذلك قال لهم : لماذا تصعدون مرتفعين وعلة المركب فى الأسفل فاربطوه من أسفل حتى لا يهتز !

---

٢٢٨ — خذ منه واعط الخباز

كان له دين عند بعضهم فذهب إلى داره وطالبه فلم يعطه شيئاً وقال له مامعى بارة ، فعاد الشيخ خائباً خاسراً وجاع جوعاً عظيماً ، فمر بفرن وكان قد خرج الخبز وانتشرت روائحه الذكية

فانتشل رغيفاً خلسة وجلس تحت شجرة صفصاف ورفع بصره إلى السماء قائلا داعياً متوسلا « إلهى أنت تعلم أنى جائع ومحتاج إلى بارة واحدة ، وتعلم أن لى عند فلان كذا قرشاً ديناً ، وأنت عالم الغيب وعلى كل شئ قدير . فخذ لى بضع بارات منه على حساب مطلوبى ، واعطها إلى هذا الخباز » .

ثم أخذ يزدرد الرغيف لقماً كبيرة .

---

٢٢٩ — أصلح الأغلاط باليقطان

كانت الحكومة قد منعت حمل السلاح فى زمن شباب الشيخ عندما كان يطلب العلم منعاً شديداً ، وبينما كان ذات يوم ذاهباً إلى المدرسة ومتأبطاً يقطاناً كبيراً أخذوه إلى الحاكم ، فقال له الحاكم :

— ألم تعلم أن الحكومة منعت حمل السلاح فكيف تحمل هذا السلاح العظيم فى ظهر النهار ؟

فأجابه الشيخ : حملته لأنى عندما أنظر فى الكتاب أجد بعض الأغلاط فأصلحها فيه .

فأجابه الحاكم : أتمزح معى ! ألا يمكن إصلاح الغلط بغير هذه الآلة العظيمة ؟

فقال الشيخ : يا سيدى إن من الأغلاط ما تكون هذه الآلة قليلة بازائه .

٢٣٠ — عرج على السلم التى عرج عليها نبيكم

جاءه بعض القسس وقالوا له : حل لنا هذا المشكل .

فقال : قولوا والله كريم .

فقالوا له : كيف عرج نبيكم إلى السماء ؟ وبأى شىء صعد ؟

فأجابهم بلاتردد : على السلم التى عرج عليها نبيكم إلى السماء الرابعة !

---

٢٣١ — ويأتي يوم لا أكون موجوداً

كانوا يتذاكرون فى الخلوى يوماً ، فقال الشيخ : لقد عنت الحلوى فى بالى لاسيما اللوزية ، ولكننى لم أوفق إلى طبخها وأكلها .

فقالوا : ليست بالأمر الصعب . فلماذا لم توفق ؟

فأجابهم : إذا وجدت الدقيق لا أجد السمن وإذا وجدت السمن لا أجد الدقيق .

فقالوا : أو لا يمكنك جمع ذلك معاً ؟

فقال : ربما يساعد القدر ويأتى يوم يجتمعان به ولكن قد لا أكون أنا موجوداً .

٢٣٢ — أما كفاه حمله

حمل يوماً حمــــاره حطباً وركب مرتفعاً بعد أن أخرج رجليه من الركاب . فشاهده صبيان الأزقة . فأخذوا يضحكون من عمله . ثم قال له واحد منهم : لماذا لاتركب جالساً وتستريح؟



(جحا والصبيان)

فأجابه : يا أولادى أما يكفى الحمار حمله حتى أزيد عليه ثقلى أيضاً فيكفيه أنه رفع رجلى عن الأرض .

---

٢٣٣ — ليس فى الإمكان أبدع ممـــا كان

ركب حماره فى يوم صائف متوجهاً إلى إحدى القرى ونزل

فى أثناء الطريق تحت شجرة جوز وربط حماره بأحد أغصانها وجلس يستريح ويمسح عرقه المتصبب .

وكان هناك غصن قرع . فأخذ يتأمل فى أثماره الضخمة وفى شجرة الجوز العظيمة وثمرها الصغير ، ثم قال : سبحانك ربى كيف خلقت القرع من هذه الشجرة الصغيرة وهى لا تتجاوز ثخانتها الخيط ، وخلقت الجوز الصغير من هذه الشجرة العظيمة التى أخذت مساحة دونم من الأرض وجسمها لا يكاد يحيط به شخصان . أما كان أحسن لو خلقت القرع على شجرة الجوز وخلقت الجوز على شجرة القرع ؟



(جحا تحت شجـــرة الجوز)

واتفق فى ذلك الوقت أن عقاباً نقر جوزة فوقعت على رأس الشيخ تماماً وكادت تشجه .

فقدحت عيناه الشرر وخلع قاووقه وأمسك رأسه بيديه وقد اعتراه خوف من الله تعالى وقال : التوبة يارب أنا لا أتدخل فيما بعد بما تفعل ، إذ أن كل شىء خلقته هو لحكمة يدركها من يعرف « أن ليس فى الإمكان أبدع مما كان » فلو كانت « لا سمح الله » القرعة مكان الجوزة لحطمت رأسى وذهبت بحياتى .

---

٢٣٤ — غراب يصيد جاموساً

بينما كان الشيخ ذاهباً إلى بستانه ذات يوم رأى غلامين بأيديهما غراب يعذبانه حتى كاد يموت .

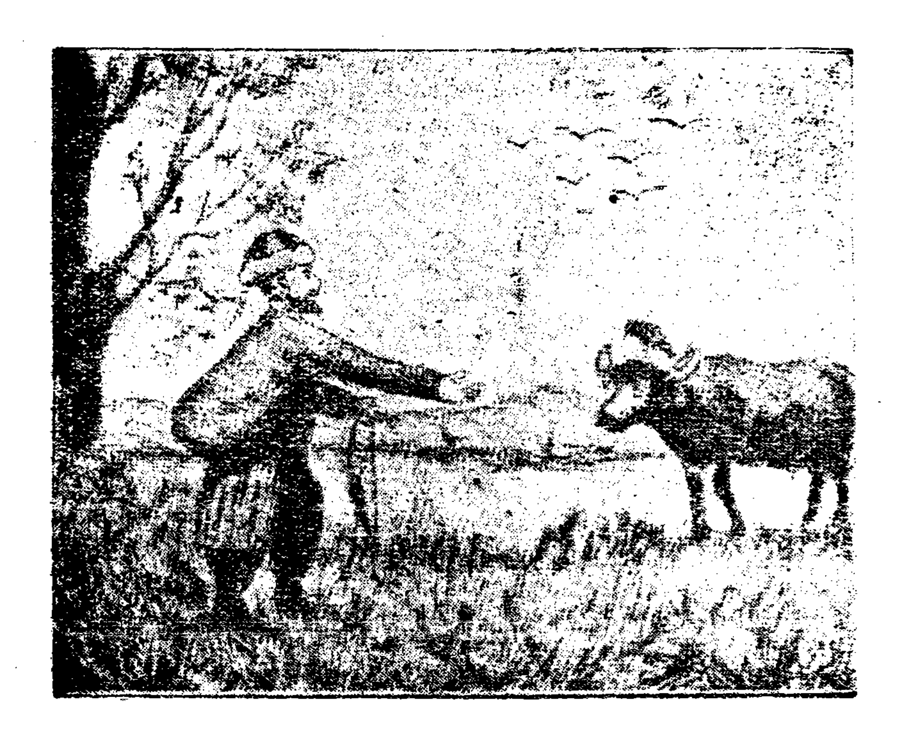
فتقدم إليهما وقال لهما : لا تتشاجرا ولا تميتا هذا الطائر المسكين . ولما كان الأولاد يميلون إلى الشيخ ومداعباته ويسمونه « قاضى الزاوية » فإنهم كانوا يصغون إليه للطافة طبعه وحسن أخلاقه وبشاشة وجهه .

فقال له أحدهما : ياسيدى إن هذا الغراب كان على الشجرة التى تراها فأنا أحنيت ظهرى وجعلت نفسى سلماً وصعد رفيقى فأتى به ، والآن يقول لى أنا قبضت عليه ، فهو لى ، وأنا الذى وضعته على عاتقى حتى أمكنه إمساكه ولولاى لم يكن فى إمكانه أن يقبض عليه . . أليس كذلك ؟

فقال الثانى : عفواً فأنت تعلم أنى أصعد المنارة من خارجها وهو وإن كان عمل نفسه سلماً وصعدت عليه ، فكل ذلك ليس بالشئ العظيم إزاء القبض على الطائر فلا يشبه ذلك جنى ثمر عن الشجر . فأنا الذى رأيت الغراب وأتيت به بتدبيرى وصعدت على أغصان الشجرة بتأن حتى جعلت الورق لايتحرك وأمسكته ، وأنت لاتقدر أن تقبض على ضفدعة ولاسلحفاة على الأرض .

فأجابهما الشيخ بهيئته المضحكة : لماذا تميتان هذا الطائر المسكين بين أيديكما فإذا كنتما تصغيان إلى حكمى فلا لزوم لكل هذا الكلام الذى قلتماه فالغراب ليس ثمراً يؤكل ولا بدنجانة يشد كل منكما رأسها وذنبها ولو لم أحضر لكنتما أمتاه ولم يبق لك ولا لرفيقك ، ولحم هذا الغراب لايؤكل حتى أقسمه بينكما . فخذا هذه الدراهم ثمناً له وهو لازم لشيخكما . وأعطى الغلامين بضعة دريهمات فأخذاهامنه وسارا إلى السوق فرحين ضاحكين .

وللحال أفلت الشيخ الطائر الذى أصبح لايقدر على الحركة لما ناله من التعب بين يدى الوالدين . فلم يمكنه أن يطير على الشجرة بل كان هناك جاموس ، فحط بين قرنيه ، فسر الشيخ وقال : لله درك من بازى يصيد لى مثل هذا الصيد العظيم . ثم أخذ الغراب بيد وعرقاً أخضر بيد ثانية وساق به الجاموس وسار فرحاً إلى داره .



(جحا والجاموس والغراب)

وكان هذا الجاموس لجار له فى المزرعة ففتش عليه حتى يئس من وجوده وطاش عقله . ولما أخبروه بالقصة ذهب إلى دار الشيخ وقرع الباب ففتح الشيخ الباب وقال له : ماذا تريد ؟

فقال الرجل : أنت خبير بما أريد فبأى حق تأخذ جاموسى وتجعلنى أفتش عليه حتى المساء ؟ وقد تمزق حذائى واعترتنى الآلام ؟

فأجابه الشيخ بلهجة شديدة : تأمل ياهذا فلست على رأس الجبل ، بل هنا محكمة وحاكم إذا كان لك شكوى فراجعهما لأن

الصيد مباح فى كل مكان ، فأنا ابتعت الغراب من الولدين بقرشين وهو غراب معلم ، أرسلته فصاد لى جاموساً من وسط الصحراء فأنت بمجرد ادعائك أنه لك هل يخطر ببالك أنى أعطيك إياه؟ فاذهب من هنا . ثم أغلق الباب وطرد الرجل .

وفى اليوم الثانى راجع صاحب الجاموس الحاكم ، فاستحضر الشيخ وسرد للحاكم مدعاه تماماً ، وأشار إلى الحاكم بأنه سيرسل إليه جرة سمن ، فحكم له الحاكم بالجاموس وأرسل الشيخ فى اليوم الثانى جرة السمن إلى الحاكم .

وفى اليوم الثالث أهدى بعضهم للحاكم بيضاً فأراد أن يقلى بضع بيضات بذلك السمن ويأكله طعاماً نفيساً شهياً ، ولم يضع الجرة فى بيت المؤونة بل جعلها فى مكان قريب منه ، فصار يأخذمنها فى الصباح والمساء بيده زيادة فى اللذة ، وفى اليوم الرابع وضع الملعقة لإخراج السمن من الجرة وإذا بها علقت بشىء لزج أخضر غامق فى أسفل الجرة فتأمله وإذا به روث جاموس . فغضب الحاكم ونادى المحضر وقال له : احضر لى الشيخ نصر الدين حالا .

ولما كان الشيخ منتظراً حضر فى الحال . فقال له الحاكم . وهو غضبان : بأى حق تطعمنى روث الجاموس وأنا حاكم هذه البلدة؟ فأجابه الشيخ : ياسيدى لا تغضب فأنت لم تتناوله اليوم بل لك ثلاثة أيام تتناول منه فهل سمعت أن غراباً أعرج يساوى قرشين

يصطاد رأس جاموس ثمنه ألف غرش وكيف حكمت لى به ، وعلى أية شريعة بنيت هذا الحكم ؟

فبهت الحاكم المرتشى من هذا الكلام ، ومال من يومه إلى العدل وأبطل الارتشاء وكان الشيخ رحمه الله سبباً فى توبته ، وأعاد الجاموس إلى صاحبه .

---

٢٣٥ — قراءة الحمـــار بهذا المقدار

أهدى بعضهم تيمور لنك حماراً جسيما حسناً ، فسر بهذه الهدية وطفق الحاضرون يمدحونه أمامه ، وكل منهم يقول كلمة فى وصفه حتى أصعدوه إلى مرتبة مخلوق عجيب .

وجاءت نوبة الكلام على الشيخ ، فقال : أرى أن هذا المخلوق المليح فى استعداد عظيم وآمل أنه ربما يتعلم القراءة .

فقال له تيمور لنك : إذا علمته شيئاً من ذلك فإنى أفيض عليك الهدايا والعطـايا والنعم ، وإذا لم تقدر على ذلك فإنى أعاقبك فضلا عن اتهامك بالحمق .

فقال الشيخ : إن الدعوى البـاطلة أمامك تعد بلاهة أو جنوناً ، وأنا لم أكن من الحمقاء الذين يلعبون ، ولست مجنوناً خارجاً من المرستان فلا بد لى من تعليمه ، وأرجو أن تمهلنى ثلاثة أشهر بعد إعطائى نفقات كافية ودع البقية لى .

فلبى تيمورلنك طلب الشيخ ليصل إلى هذه النتيجة الغريبة وأمر له بالطعام والشراب وأخذ الشيخ يعلم الحمار صباحاً ومساء

مدى ثلاثة أشهر ، وفى آخر المدة أخذ بقود الحمار وقد جعل
عليه سرجاً مزيناً وغاشية فضية وأتى به مجلس تيمورلنك وقربه
من كرسى وضع عليه دفتراً ، فأخذ الحمار يقلب صفحات الدفتر
بلسانه ، وكان أحياناً يتوجه نحو الشيخ بهيئة محزنة وينهق نهيقاً
معجباً ، فعجب الحاضرون ، وسر تيمورلنك من الشيخ وأعطاه
عطايا وافرة ، وسأله : كيف علمت هذا الحمار ؟ فقال :

عندما أخذت الحمار ذهبت إلى السوق واشتريت مائة رق
غزال من أحسن أنواعه وأعطيتها إلى المجلد فجعلها كتاباً ضخما
وكنت أرش الشعير بين أوراقه وأقلب صفحاته والحمار يراها
واستمر على ذلك مدة خمسة عشر يوماً حتى صار يلتقط حبات
الشعير وبعد ذلك وضعت الكتاب أمامه وكنت أجعله يقلب
هو الأوراق ، وفى بعض الأحيان كان ينسى حسب طبع الحمير
فكنت أعيد عليه الدرس إلى أن صار يقلب الأوراق بنفسه
متى أحس بعامل الجوع وكنت أحياناً لا أضع شيئاً من الشعير بين
الأوراق فكان يقلبها ولا يجد شيئاً فينهق إلى أن أتقن العمل تماماً
وقد راق لى عمله ، فكنت أتسلى بذلك وأغرب من الضحك
لا سيما وقد حصلت على مال وافر كنت أعيش به فى غاية من
الرفاهية ، والامتحان الذى أداه الآن هو على أثر جوعه يومين
لذلك فإنه لما لم يجد شعيراً فى الكتاب نهق من فؤاد حزين ناظراً
إلىّ كما رأيتم . وهذا الدفتر الذى ترونه مكتوباً هو على مثال

الدفتر الذى اتخذته تماماً إلا أن الأول خال من الكتابة ماعدا بضعة خطوط مشوشة كالكتابة .

فقال له بعض الحاضرين : أية قراءة فنحن لم نفقه منها شيئاً ، أجل إنه قلب الأوراق ونهق عند بعضها فهل معنى ذلك أنه تعلم القراءة ؟

فأجابه الشيخ : إن قراءة الحمار لا تكون إلا بهذا المقدار والزيادة فى ذلك تتوقف على نسبة الجنس ياصديق .

---

٢٣٦ — هل تبيض الدجاجة المطبوخة ؟

كان أحد التجار مسافراً فنزل فى فندق على الطريق فقدم إليه الفندق دجاجة وبيضتين ونصف رغيف خبز على العشاء ووضع علفاً لدابته حشيشاً . وفى الصباح عزم التاجر على مبارحة الفندق فقال : نتحاسب فى العودة . ونهض وسار .

وبعد ثلاثة أشهر عاد فقدم له صاحب الفندق دجاجة وبيضتين وعلفاً للدابة كالسابق ، وعندما نهض التاجر للسفر نادى الفندقى وقال له : هيا بنا نتحاسب فقد طال الحساب ، كم هو مبلغ ديننا ؟

فأجابه الفندقى : والله إن حسابنا طويل إلا أن علينا أن نتفق فهات مائتى غرش حلالا واذهب بالسلامة .

فأجابه التاجر ، الذى يعرف قيمة الدراهم ، بحدة : ياالله أيها الرجل هل أضعت عقلك ؟ أم لك نية سيئة ؟ فما معنى طلبك

ماتى غرش ثمن دجاجتين وأربع بيضات ؟

فقال الفندقى : ألم أقل لك أن الحساب قد طال وقته عليك فإنى أفصله فتظهر المسألة بأجلى مظاهرها وعندها لا يكون لك حق بإساءة الظن ، فأنت أتيت إلينا منذ ثلاثة أشهر فالدجاجة التى أكلتها لو باضت كل يوم بيضة لباضت كذا بيضة ولو وضعناها تحت دجاجة رتقاء (قرقة) لحصل منها كذا وكذا فروجاً وبالطبع فمنها من يبيض أيضاً ولو أضفت إلى ذلك ماتناولته فى العودة ، ومضت ثلاث شهور ، لصار لدينا جيش من دجاج واكتسبنا منها ألوف الدراهم ، لذلك فإنى اختصرت وقلت لك ماتى قرش فترى أن ماطلبته كان قليلا إزاء هذه الخسائر الفادحة؟

واحتدم بينهما الجدال حتى جرت المسألة إلى المحكمة . . وعندما مثلا أمام الحاكم أشار الفندقى للحاكم بإهدائه أوزات سمينة فسأل الحاكم ذلك التاجر : ألم تقاول الفندقى على ثمن الدجاجتين والبيضات ؟

فقال : لم أجد لزوماً لذلك نظراً لقلة القيمة وقلت له أحاسبك فى العودة .

فقال الحاكم : وهل قطعت السعر أيضاً عندما عدت ؟

فقال التاجر : كلا .

فقال الحاكم : ألا يمكن أن يحصل من دجاجتين وست بيضات ألوف من البيض ؟

فقال التاجر : لا شبهة . وسرد له بعض اعتراضات لم يقبلها الحاكم وجرحها ، فعندما رأى أن الحكم سيصدر عليه بمائتى غرش اشتغل قلبه واضطرب ، فطلب تأجيل القضية فأجلها الحاكم .

وقال بعضهم للتاجر راجع الشيخ نصر الدين فراجعه وأفهمه القضية بتمامها وولاه الدفاع عنه . فلما كان اليوم المعين للمحاكمة لم يحضر الشيخ فأرسلوا المحضر وأتى به .

فقال له الحاكم بغضب وحدة : لماذا تركتنا ننتظرك ولم تحضر فى الوقت المعين وجعلت هؤلاء الحاضرين ينتظرونك ؟

فأجابه الشيخ بدون مبالاة : لا تغضب يا سيدى ، فإنى عندما حان الوقت لحضورى وأنا على أهبة التشرف بالمثول لديكم جاء شريكى الذى كنت دعوته لنزرع حنطة فى المزرعة فقمت وأعطيته جوالق حنطة مسلوقة برغلا كل حبة كحبة الصنوبر لأنى علمت بأن الفلاح ربما يزرع لى الحنطة والزوان وما أشبه ذلك ولا أنال محصولا كافياً فهو يأخذ النصف بالشركة ويأخذ كمية كبيرة بذراً ، والذى يبقى يأخذ منه العشر ، وما أملناه يذهب هباء منثوراً ، فقلت : مالى إلا أن أزرع البرغل لأنال محصولا وافياً ، فأعطيته جوالقين من الحنطة المسلوقة برغلا ، فهذا سبب تأخرى عن الحضور .

فقال الحاكم : هل سمعتم أن الحنطة المسلوقة تنمو ؟ وهل يسمع العقلاء كلام هذا الرجل بهذا المقام ؟

فأجابه الشيخ : وهل تلد دجاجة محمرة بيضاً ثم يصير زريبة دجاج طويلة عريضة ؟ وهل يجوز أن يحكم على هـذا الرجل أن يدفع ثمن دجاجتين وأربع بيضات مائتى غرش ؟

فلم يسع الحاكم إلا أن نقض الحـكم وتخلية سبيل التاجر .

---

٢٣٧ — هل يدفأ الانسان من قنديل على مسافة فرسخ ؟

اتفق جيران الشيخ فى أحد أيام الشتاء الباردة على أن يجعلوه يؤدب لهم مأدبة ، فقالوا له : تعال نتفق على شئ ، فإذا غلبتنا تؤدب لك مأدبة تـكون أرزاً مطبوخاً وحلاوة والباقى ندعه إلى ماتراه موافقاً وإن غلبناك فذلك عليك .

فقال لهم : ماهو الشرط قولوا لأرى هل يمكننى القيام به؟

فقالوا : تقف فى ساحة البلدة حتى الصباح ونقابلك فى الجامع الـكبير ، فإذا فعلت ذلك أضفناك ويجب أن لا يظهر شىء يدل على اشتعال نار فهذا شرطنا فى هذه الليلة ولا تنس أن بيوت فلان وفلان مطلة على الساحة فهم يراقبونك بالمناوبة حتى الصباح .

فقال الشيخ : لا تطيلوا الـكلام . وليراقبنى طابور عسكر فلا أهتم . وسأقوم بالشرط . وتبسم مستهزئاً .

فقام أحدهم قائلا : لله درك من بطل افتـكر فى المسألة جيداً

فالقبر وراءها وأخشى أن تموت برداً فإن كانت لك وصية أو دين أو دراهم طمرتها فقل لنا عنها وأخبرنا لكى نقوم بالوصية.

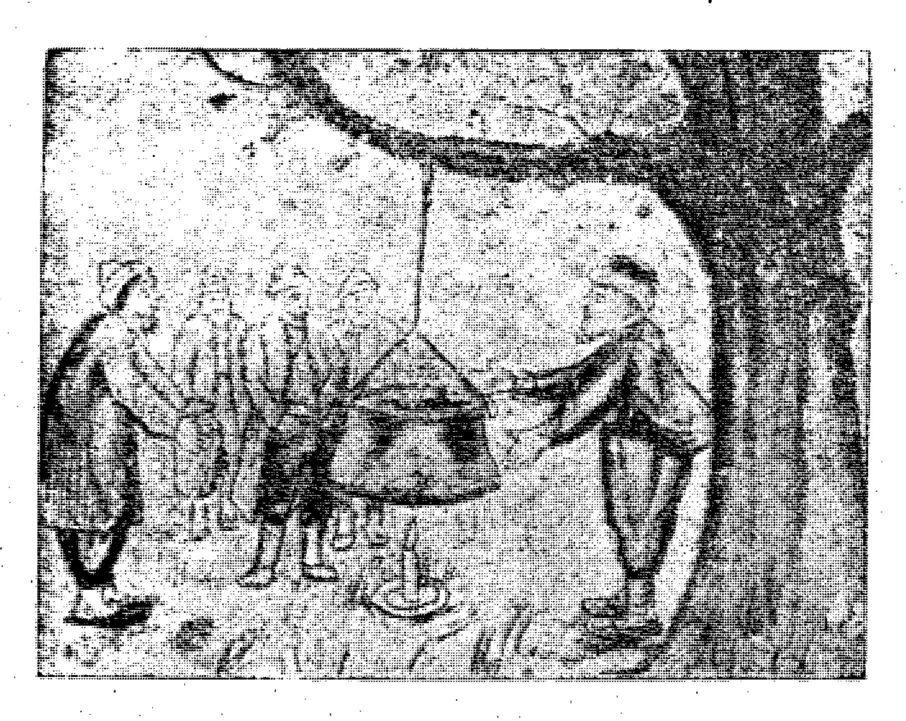
فقال الشيخ : أنا لا يهمنى ، أما وقد قبلت الشرط فسأريكم كيف يكون جسمى الفولاذى وقلبى الصخرى وكم من ليال نمتها فى البرارى والطرق والجبال وبين القبور وليس فى بلدتنا ذئاب أو قطاع طرق فلا شغل لى بالوصية أو سواها ولا من أخاف فراقه ، وأما الدراهم فأنا زاهد فيها فلا يبيت معى شىء منها .

وهكذا تم الاتفاق ، وبقى الشيخ تلك الليلة فى الساحة حتى الصباح بكل سرور ، وأتى الجماعة فسألوه عما حصل له ، فقال لهم : لم أسمع سوى حفيف الشجر وهبوب العواصف والأنواء ، ورأيت نوراً من مسافة ميل أظنه مصباحا .

فعندها قام أحدهم وقال : لا . . لا . . فقد اتفقنا على أن لا يكون هناك شىء من النار لأنك قد تدفأت تماماً ، لذلك فقد أخللت بالشرط ، وقام الباقون فأكدوا قول صاحبهم وحكموا على الشيخ بالضيافة ، فحاول إقناعهم بالبراهين فلم يقتنعوا ولم يسمعوا ، وأخيراً قال لهم : لا بأس فالضيافه علىّ .

ودعاهم للعشاء ذات ليلة فجاءوا وجلسوا ينتظرون وقت الطعام مضت ساعتان فقالوا له : أين الطعام فقد عضنا الجوع واستغنينا عن الضيافة فائتنا بما تيسر ، فأجابهم : أيمكن هذا ؟

اصبروا قليلا. وجعلهم يصبرون إلى أن تجاوزت الساعة السادسة بعد الغروب فقام المدعوون كلهم وطلبوا الطعام بإلحاح عظيم فتظاهر الشيخ بالاهتمام وخرج كأنه يريد استحضار الطعام فصبروا وانتظروا والشيخ غائب، ثم همسوا فيما بينهم متغامزين، وقال بعضهم: انظروا كيف يلعب بنا هذا الرجل المهذار، قوموا نفتش عليه. فقاموا وفتشوا المطبخ فلم يعثروا له على أثر فخرجوا إلى جنينة الدار يفتشون عليه فوجدوه قد علق قدراً فى شجرة ووضع قنديلا على الأرض قيد ذراع وهو واقف أمام القدر لا يتحرك، فقالوا له:



(جحا وضيوفه)

— هل يبلغ بك المزاح هذا المبلغ وتجعلنا نتضور جوعا في هذه الحال . ماذا تصنع ؟

فقال: ماذا أصنع إنى أطبخ لكم الطعام بيدى أفلا يعجبكم؟

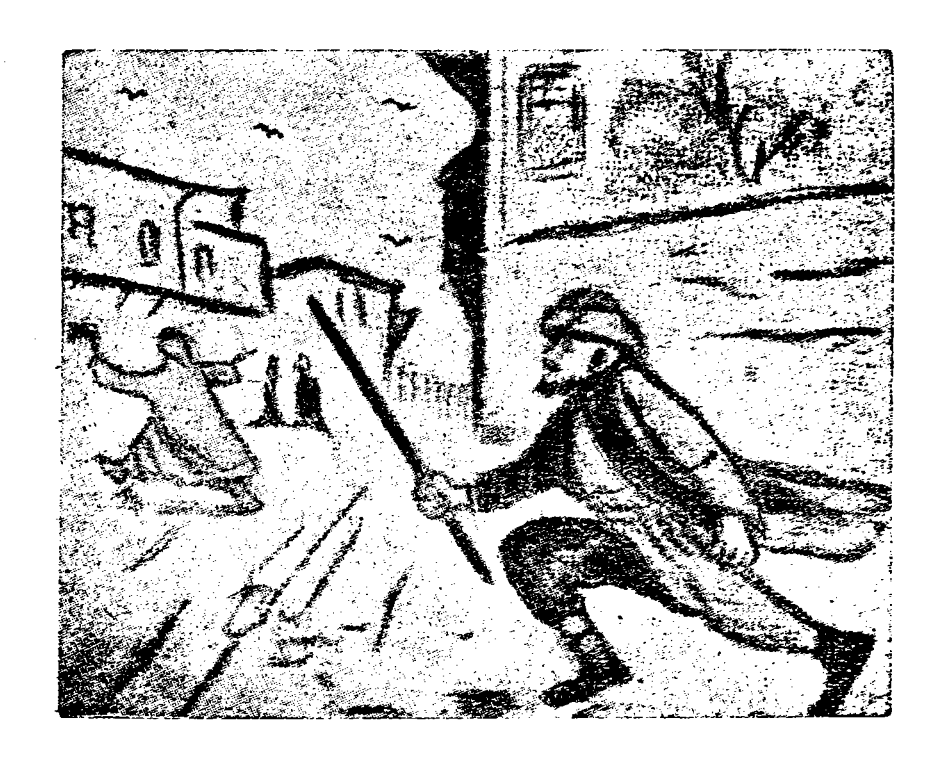
فقالوا : لقد علقت القدر فى السماء ، وجعلت تحته قنديلا ضئيلا ، فهل يغلى هذا القدر بهذا القنديل الضئيل ؟

فقال لهم الشيخ فوراً : ما أسرع نسيانكم ، فقد قلت لكم منذ ثلاثة أيام إنى رأيت قنديلا على مسافة فرسخ فزعمتم أنى تدفأت به وحكمتم علىّ ، فإن أمكن أن يتدفأ الإنسان من قنديل على مسافة فرسخ ألا يغلى القدر من قنديل على بعد ذراع

٢٣٨ — لم أجد وسيلة إلا المشاجرة

تجادل الشيخ وامرأته فأخذ عصاه ليضربها ، فهربت إلى دار أحد الجيران ، وكان هناك عرس فتبعها وبينما هو فى الطريق صادفه بعض أصحابه وهدأوا روعه وقالوا له : أنت رجل فاضل فلا تعبأ بالنساء لأنهن ناقصات العقل وكلنا يمر معنا شيء كثير من نسائنا وأنت طالما وقفت تعظنا بالإقلاع عن مثل ذلك .

وأخذوا يوردون مثل هذا الكلام حتى هدأوه قليلا فتقدم صاحب الدعوة وقال: أجل أنا قصرت بعدم دعوتى إياك لأن مجلسنا بالشباب حافل وخفت أن لا يروق لديك ذلك فشرفنا بعدها ، هذه المسألة التى لا يمكن تلافيها الآن .



(جحا يتبع امرأته ليضربها)

وهكذا هدأ روع الشيخ ودخل الدار . ولما حان وقت الطعام أكل مع المدعوين إلى أن جاء دور البقلاوة ، وكان الشيخ مغرماً بها، فأخذ يزدردها قطعة قطعة ، ثم قال: لله من هذه المرأة فقد علمت أين رمت بنفسها . ولو وقعت في يدى لكنت شددتها من أذنها وجعلتها تدور كهذا الصدر . وأدار الجانب الذى فرغ من البقلاوة إلى الجهة الأخرى والجانب الملآن إلى جانبه . وأخذ يأكل . فقال الحاضرون : لله من هذا الشيخ الذى لا يترك المزاح حتى فى وقت الغضب .

وبعد الطعام وتناول القهوة التفت الشيخ إلى الحضور بكل هدوء واعتدال، وقال: لقد علمنا بالعرس ولم يدعونا إليه وعلمت بالمآكل النفيسة التي ستقدم لاسيما معشوقتي البقلاوة، ففكرت مع المرأة طويلا فلم نجد وسيلة إلا بأن نتشاجر تصنعاً كما رأيتم وإلا فإني مسرور من زوجتي كثيراً وأسأل الله أن يرضى عليها فادخلوا إلى الحريم وأخبروها أني أريد الذهاب وأنتم تعودون إلى سروركم.

٢٣٩ — الحمد لله الذي أتى بك عاجلا

عاد بعض المتغلبين إلى « آق شهر » بعد أن طاف أسبوعاً في الضواحي فذهب الشيخ للسلام عليه، فقال له الشيخ: الأمل أن تكونوا سررتم بهذه السياحة؟

فقال المتغلب: أجل تسليت كثيراً إذ في يوم الاثنين ظهر حريق في القرية فمات خلق كثير، ومنهم رجل احترقت حماته فحزن عليها حزناً عظيما وارتبك ارتباكا شديداً.

وفي يوم الثلاثاء عض كلب رجلين فأصابهما داء الكلب وقد طبق صراخهما الآفاق.

ويوم الأربعاء جاء سيل جارف جرف الأنقاض والأشياء حتى أن طفلا كان على سريره فسبح كالقارب وهناك كنت ترى البقر والجمال وغيرها غارقة فشغلنا حتى المساء.



(جحا والمتغلب)

ويوم الخميس ، أفلت عجل فنطح خمسة أو ستة أشخاص فمنهم من سمل عينيه ومنهم من بقر بطنه وحياتهم فى خطر .

ويوم الجمعة ، حصل لأحدهم سويداء أو جنون مطبق فذبح أولاده وعياله ذبح النعاج فغضبت لذلك وقتلتـــه شر قتلة لقاء عمله .

ويوم السبت ، سقط دار على عدد كبير من الناس فمات تحت الردم جم غفير من النساء والأطفال وعم الحزن والجزع القرية فأخرجت الأموات من تحت الردم وكانت جراح المجروحين تزيدهم اضطراباً حتى هلكوا وقد طبقوا الآفاق عويلا وصراخاً

وصباح الأحد شنقت امرأة نفسها على شجرة خوخ فذهبنا إلى هناك ونظرنا ابنتها الطفلة فى سريرها .

وعندما عدد الرجل هذه المصائب المتوالية كاد الشيخ أن يغشى عليه تأثراً ، فارتجف كالريشة ، وقال له : الحمد لله الذى أتى بك عاجلا إذ أنك لو بقيت أسبوعاً آخر لما بقى فى القرية حجر على حجر بيمن قدومك .

---

٢٤٠ — اشتريته بنواه فهل أرمى شيئاً منه ؟

رأته امرأته يأكل تمراً ولا يخرج نواه ، فقالت له : ماذا تصنع كأنى بك تأكل التمر بنواه ؟

فقال لها : طبعاً آكله بنواه لأن البائع وزنه مع النوى ، ولو أخرج نواه لما باعه بسبع بارات ، أما وقد أعطيته الثمن دراهم بيضاً ، فهل أرمى فى الزقاق شيئاً اشتريته بدراهمى ؟

---

٢٤١ — أرى رؤيا جميلة فهاتي النظارات لأدقق خفاياها

هب من نومه ذات يوم ، وقال لامرأته : هلم أسرعى بالنظارات قبل أن يذهب نومى .

فناولته إياها وقالت له : ماسبب هذا الاهتمام ؟

فقال : إنى أرى رؤيا لطيفة جداً وأريد أن أدقق فى بعض خفاياها .

٢٤٢ — لم أفقه حسابك الدقيق

تزوج الشيخ فأعلمته زوجته أنها حامل منذ ثلاثة أشهر وستلد ، وطلبت أن يأتيها بقابلة .

فقال لها : نحن نعرف أن النساء يلدن لتسعة أشهر فما هذا ؟

فغضبت المرأة وقالت له : إن هذا عجيب ، فيا رجل كم مضى على زواجنا ، ألم يمض ثلاثة أشهر ؟

فقال : أجل .

— ومضى عليك متزوجاً بى ثلاثة أشهر ، فصاروا ستة . أليس كذلك ؟

— وقد مضى على الجنين فى بطنى ثلاثة أشهر ، فهذه تتمة التسعة ؟

فقال الشيخ بعد أن فكر ملياً : الحق بيدك فأنا لم أفقه هذا الحساب الدقيق فعفواً لقد أخطأت .

---

٢٤٣ — الفراش لا يسع أربعة

تزوج الشيخ بعد وفاة امرأته بامرأة ثيب فأخذ فى كل حين يذكر محاسن زوجته الأولى ويطنب بها . وأخذت المرأة تذكر فضائل زوجها السابق .

وأخيراً فى أحد الليالى كان الشيخ متمدداً على فراشه ليأخذ قسطاً من الراحة فلطم المرأة لطمة رمتها من السرير إلى

الأرض ، ورض ساعدها وغضبت .

وفى اليوم التالى جاء والدها يزورها فشكت إليه ماحدث ، وكان أن عركهم الدهر فلم يعرها اهتماماً وسأل الشيخ عن الحادث فأجابه : إنى أعرض المسألة لديك ولكن أرجو أن تنصفنى ، فأنا واحد ، معى زوجتى المرحومة ، فنصير اثنين ، وزوجتى الحاضرة فنصير ثلاثة وزوجها السابق فنصير أربعة ، وبالطبع أن فراشاً واحداً لرجل درويش مثلى لا يسع أربعة أشخاص معاً لذلك تدهورت هى فما ذنبى أنا ؟ !

٢٤٤ — تسألينى عن ضيف السماء ولا تسألينى عن طعامى وشرابي

كان الشيخ يعظ ذات يوم فى مسجد إحدى القرى فذكر سيدنا عيسى عليه السلام بالمناسبة وارتفاعه إلى السماء الرابعة.

وعندما خرج من الجامع تقدمت إليه عجوز وقالت : يا سيدى إن عبارة مرت فى الدرس أهمتنى كثيراً فقد قلت أن سيدنا عيسى عليه السلام فى السماء الرابعة فعجباً من أين يأكل ويشرب ؟

فأجابها الشيخ بحدة : أيتها المرأة الجاهلة لقد مضى علىّ وأنا فى قريتكم شهر واحد فلماذا تسألينى عن ذات شريفة ونبى عظيم هو ضيف السماء الرابعة الغارق فى أنواع النعم النورانية ولا تسألينى عن طعامى وشرابى ؟

٢٤٥ — خذ وضوءك وهات مداسي (١)

توضأ الشيخ نصر الدين يوما بمـــاء دافق كالبحر نهرا
وقد وقع الحذاء وصار يمشي على وجه الميـاه يسير سيرا
تحسر شيخنا بمـــا دهاه وزاد شجونه والدمع أجرى
ودار بظهره للنهـــر حالا وأرسل طلقة رنت وأورى
وقال خذ الوضوء وهات حالا حذائى أوترانى زدت عشرا!
لأنى لا أريد كذا وضوءا ورجلى من حذائى قد تعرى

* * *

وقال لأهله قوموا اسمعوا لى فقدشاهدت من يومى الأمرا
وهذا الأمر أثقلنى كثـيرا ولم أر مثـــله يوماً أشرا
فقامت بنتـه غضبى وقالت ألا عقل يباع لنـا ويشرى
حرمت من الوضوء وجئت تهذى كما سبح الحذاء هناك نهرا
فقال الشيخ لو خجلت ميـاه لكان بخجلتى ذا النهر أحرى
ولا اجتنب الوقوع بمـا رآه وذا الأمر العصيب المستمرا

---

٢٤٦ — نادرة موجوزة

بينما الشيـخ بيوم يحرث أرضـه منتظرا ما يحـدث
عثر الشيخ بشىء لمعـــا ذهبا فى جرة قد سطعـــا
غرق الشيخ يفـكر معجبـاً وكأن العقل منه ذهبـــا

---

(١) مرت هذه النادرة نثراً وقد رأينا إعادتها نظما زيادة فى التفـكهة .

قال لا أطلع سرى أحدا لا ولا أعلم أمرى أبدا
أسلم الطرق إذا سلمتها حاكم الوقت كما وجدتها
عاد للبيت على غير انتظار حسبما أدى إليه الاضطرار
عجبت زوجته من عودته واعترتها حيرة من أوبته
شغلته بغذاء فى الصباح ثم سارت بخطى والعقل راح
أسرعت للخروج والعقل ذهب مذ رأت خابية فيها ذهب
أخذته وأتت بحجر وضعته دون عين البشر
أسرع الشيخ وأملا جوفه وسرى حالا ليخفى خوفه
بشر الحاكم حالا مسرعا أن فى المخرج نضاراً سطعا
صرخ الحاكم أفرغ ما نراه واعترى الشيخ عناً مما رآه
إذ رأى الشيخ بحل الهميان حجراً يسقط فى مرأى العيان
حار ذا المجلس مما قد رأى مثلما قد حار فى الأمر جحا
إنما لم يظهر الأمر عليه وغدا المجلس نظاراً إليه
قال والله عليم بالصواب إننا كالناس لاشك نعاب
قد جعلتم بيننا وزن العيار لانضباط الوزن من دون خسار
وبوادينا عيار مختلف ضج منه كل جمع مؤتلف
نخذوا القسط لنا واتخذوا سادتى من ذا عياراً يؤخذ
فلكم يا سادتى الشكر الجميل ومن الله لكم أجر جزيل

٢٤٧ — أكون أحمق مضاعفاً

ذهب يوماً إلى الطاحون بحنطة وأخذ يكتال من جوالق الناس الموجودة حفنات ويضعها فى جولقه ،فقال له الطحان: ماذا تصنع ؟



(جحا والطحان)

فقال : أنا رجل بليد أفعل ما يوحيه عقلى .

فقال الطحان : إذا كنت بليداً فلماذا لا تأخذ من جولقك حنطة وتضعها فى جوالق الآخرين ؟

فأجابه : أنا أحمق عادى ولو فعلت ذلك لكنت أحمق مضاعفاً

٢٤٨ — امتثالا لأمرها

قالت له والدته صباح يوم: أنا ذاهبة مع الجيران للتنزه على شاطىء البحيرة وأنت احفظ باب البيت جيداً ولا تفارقه أبداً.

فجلس على عتبة الباب وأخذ يأكل نقوعاً يابساً دفعته إليه أمه، وإذا بصهره قد جاء من القرية ظاناً أن والدة جحا فى البيت فقال له: سآتى فى المساء مع خالتك فاذهب واخبر والدتك.

فأسرع جحا واقتلع الباب وحمله على عاتقه وذهب به إلى والدته، فلما رأته قالت له: ما هذا؟



(جحا وأمه)

فأجابها : ألم تقولى لا تفارق الباب ، وقد جاء صهرى يقول إنه آت مع خالتى وأمرنى أن أخبرك بذلك ، فلم أجد بداً من امتثال أمركما كليكما ، وإلا فماذا أصنع ؟

---

٢٤٩ — نصحتك كى لا تقع بمثل هذه الورطة

كان حاكم مدينة « آق شهر » ميالا إلى امرأته كثيراً حتى أنها كانت تتدخل فى شؤون الحكومة والعزل والنصب .

فراجع بعض الأكابر الشيخ وقالوا له : نرجو أن تدبر لنا طريقة لهذه المعضلة .

فأخذ الشيخ من ذلك الوقت يضرب الأمثال ويورد الدلائل فى أثناء مقابلته للحاكم ، مقبحاً عمل من يميل إلى امرأته ومعرضاً بذلك إلى أن اعتدل الحاكم ، وصرف النظر قليلا عن تدخل امرأته فى شؤون الحكومة .

ولما رأت امرأة الحاكم حالها مع زوجها أخذت تبحث عن أسباب هذه اللطمة فعلمت أنها من الشيخ ، فسعت إلى استمالة امرأته إليها . وكان الشيخ فى صيف كل عام ينزل ضيفاً على الحاكم فدعته امرأة الحاكم أن يأتى بامرأته ، فأحضرها ، وبينما كان هو وامرأته ذات يوم فى الغرفة يتسامران قالت له امرأته : ألا ترى هذه البردعة الموضوعة خارجاً إلى جانب الجدار ؟ فقال : نعم . قالت : فهاتها نلعب بها .

فلما أحضرها طلبت منه أن يضعها على ظهره فأطاعها ، ووضعت اللجام فى فمه ثم ركبت عليه فأخذ يجرى بها فى أرض الغرفة وامرأة الحاكم تنظر إليهما من خلال ثقب الباب فأغرقت فى الضحك وحضر الحاكم فأرته هذا المنظر فأخذ فى الضحك وأخيراً فتح الباب وقال : ما هذا أيها الشيخ ؟

فأجابه الشيخ بكل هدوء وسكينة : الحمد لله لقد رأيت ما أصابنى وأنا نصحتك كيلا تقع بمثل هذه الورطة التى وقعت أنا فيها لأننا من العوام ولا حكم لنا فى خارج بيوتنا ، أما حضرتكم فإذا سلمتم قيادكم إلى امرأتكم فربما يحصل فى المدينة هرج ومرج يجعل البلدة تقوم وتقعد .

فاتعظ الحاكم وباءت امرأته بالخيبة .

---

٢٥٠ — أقول لك سلفاً مع السلامة

جاءه فى أحد الأيام ضيف فاحتفى به . ولما صار وقت الغداء تهيأ لإطعامه فقدم الخبز أولا ، وذهب ليأتى بالطعام ، ولما حضر لم يجد الخبز فعاد ليأتى بالخبز وحضر فرأى أن الطعام لم يبق منه شىء ، فذهب ليملأ الأطباق طعاماً وعاد فلم يجد أثراً للخبز ، وعندما نفد الطعام من القدور والخبز من الزنبيل ولم يتمكن من جمعهما معاً سأل الضيف :

— أين تقصد فى رحلتك يا سيدى ؟



(جحا وضيفه)

فقال له : إنى ابتليت بقلة الشهوة للطعام وفى عزمى أن أذهب إلى مدينة بروسية لأرى طبيباً يداوينى وسأعود بعد شهرين إن شاء الله ، وأمكث لديك شهراً لأستفيد من هواء بلدتكم ومائها النمير .

فقال له الشيخ : إنى آسف كثيراً ، إذ سأذهب غداً إلى إحدى القرى وأمكث فيها مدة طويلة فلا أظن أنه يتيسر لنا أن نتقابل ، فمن الآن أقول لك سلفاً :

— مع السلامة .

٢٥١ — أعطنى إياها لآكلها

كان يأكل دجاجة محمرة فجاء رجل وقال له : أنا جائع اعطنى قطعة أسكن بها جوعى.

فقال : والله يا أخى ليست هذه الدجاجة لى وإنمـــا هى لزوجتى .

فقال الرجل : أراك تأكلها أنت . . فلماذا ؟

فأجابه الشيخ : ماذا أصنع يا أخى ؟ فإنها أعطتنى إياها وقالت كلها .

---

٢٥٢ — أنت لاتفين دين الخالق فكيف تفين دين المخلوق

كان يبيع زيتوناً فجاءت امرأة وسامت الثمن فرأته غالياً فاعترضت على ذلك .

فقال الشيخ : أيتها المرأة هذا زيتون ليس من الزيتون الساقط فهو قد اعتنى بزرعه وقطفه فذوقى واحدة تريه حلواً لم تذوقى مثله طول عمرك . فلا هو مر ولا حريف ، وزيته من أحسن الزيوت، ويبقى طعمه اللذيذ فى الفم مدة، فلا تضيعى هذه الفرصة لأنك ستؤدين الثمن وتأخذين أفضل أنواع الزيتون .

فقالت المرأة : أنت تعرفنى ، وبستان هذا الزيتون قريب منا وأنا امرأة الحاج حياتى بنت المرحوم تيمر أوغلى بك ، ولك معرفة بزوجى وأنا أشترى إذا كنت ترغب أن تبيعنى بالدين .

فقال لها الشيخ : ذلك أمر نجد له طريقة فى أول الأمر أنظرى إلى هذه البضاعة إذا كانت توافقك ؟

وأخذ حبة زيتون وقدمها إليها لتذوقها ، فقالت له المرأة: عفواً فإنى مرضت من ثلاث سنوات فى رمضان وأفطرت والآن أقضى الأيام الفائتة بأيام هذا الشتاء القصير .

فقال لها الشيخ : أنت تريدين أن تبتاعى زيتوناً بالدين وتقولين أن عليك فرضاً منذ عدة سنين لم تفيه إلى الخالق فكيف تفين ديناً المخلوق ؟

---

٢٥٣ — من يعلم الحقيقة فليقلها اكراماً لله

كانت امرأته تتركه كل ليلة وحده يحفظ البيت وتذهب للسهر عند الجيران . فحضرت إلى البيت ذات ليلة وطرقت الباب حتى كادت تكسره فلم يفتح لها ، ونادته راجية مستعطفة أن يفتحه ، فلم يفعل فقالت له: إذا لم تفتح الباب فأنا سأرمى نفسى فى هذا البئر . ثم أخذت حجراً كبيراً ورمته واختبأت وراء الجدار .

فندم الشيخ وقال : لأذهب وأنقذ هذه المجنونة . وفتح الباب ، فأسرعت امرأته ودخلت الدار من حيث لا يشعر ، وأغلقت الباب إغلاقاً محكما وطلعت إلى النافذة التى كلمها منها ، وصرخت:أشكو إلى الله فقد ضقت ذرعاً بعملك ، أفى كل ليلة

تذهب للسهر عند الجيران؟ لا أدرى أية سفيهة تصاحب وتترك امرأتك الفتاة تقضى زهرة عمرها وحدها ، هذا لا يطاق ، ألا تخجل من لحيتك البيضاء ولا تشبع رذائلك ؟ لا بد لى من أن أذيع أمرك بين الناس وأجعلك أمثولة فانظر حالك ماذا يكون وسوف أريك إذا عدت وتركتنى فى الليل ماذا أصنع بك . .

فحار الشيخ فى عمل امرأته وقلبها المسألة عليه بعد ما كانت له ، ونظر إلى الجيران الذين تألبوا حوله وحصر نطقه قليلا . وأخيراً قال : من يعلم الحقيقة فليقها إكراماً لله .

---

٢٥٤ — أنا لم أنسه بل أنت نسيته

دعاه الحاكم يوماً وكان قد أوصى الطاهى أن يطبخ حلاوة التين بالقشطة ، وبعد تناول الطعام لم يحضر على المائدة شىء من ذلك ، فانقبض الشيخ ولكنه لم يقل شيئاً .

وبعد صلاة العشاء قال الحاكم : أسمعنا حزباً من القرآن الكريم لنشنف آذاننا ونروح أرواحنا بروحانيته .

فقال الشيخ بعد البسملة : والزيتون . . . الخ ،

فقال له الحاكم : لماذا نسيت التين ؟

فأجابه الشيخ : أنا لم أنسه بل أنت نسيته !

٢٥٥ — زوجك واحد فقط لا غير

وصفوا له امرأة بأنها ذات عيون كحلاء تسحر الألباب ، فعشقها على السماع مع أنها كانت حولاء . وخطبها من أهلها ، فتزوجها .

ولما كان المساء أتى بصحن قشطة ووضعه على المائدة فقالت له المرأة : ألا يكفى صحن واحد ، ولا أحد عندنا ، فوجود صحنين إسراف .

فقال الشيخ : رؤيتك للطعام الواحد طعامين لا بأس فيه . وعندما بدآ يأكلان قالت المرأة : عفواً إذا كنت تظننى قليلة شرف فأنت مخطىء ، فهذا الشيخ الآخر الجالس بجانبك من هو؟

فلما فهم الشيخ أنها رأته شيخين قال لها : يمكنك أن ترى كل شيء فى بيتنا شيئين ولكن زوجك واحد فقط لا غير .

---

٢٥٦ — الله يعلم قلب من يحترق

دعاه صديق له إلى داره ، فأكرمه بعسل وقشطة . وبعد أن أتم الأكل بالخبز أخذ يلعق العسل بأصبعه لعقاً متواليا فقال له صاحب الدار : إن أكل العسل بلا خبز يحرق القلب .

فأخذ الشيخ يزيد فى اللعق بسرعة عظيمة قائلا : الله يعلم قلب من يحترق .

٢٥٧ — جئت بالورقة الخالية مستعجلا فأرجو عفوك

أقام بعض جيرانه وليمة عرس ، وفيما هم على الطعام جاء الشيخ وبيده ظرف ودق الباب ، فقالوا : من هذا ؟
فأجابهم الشيخ : معى مكتوب لصاحب البيت .



(جحا يأكل مسرعاً)

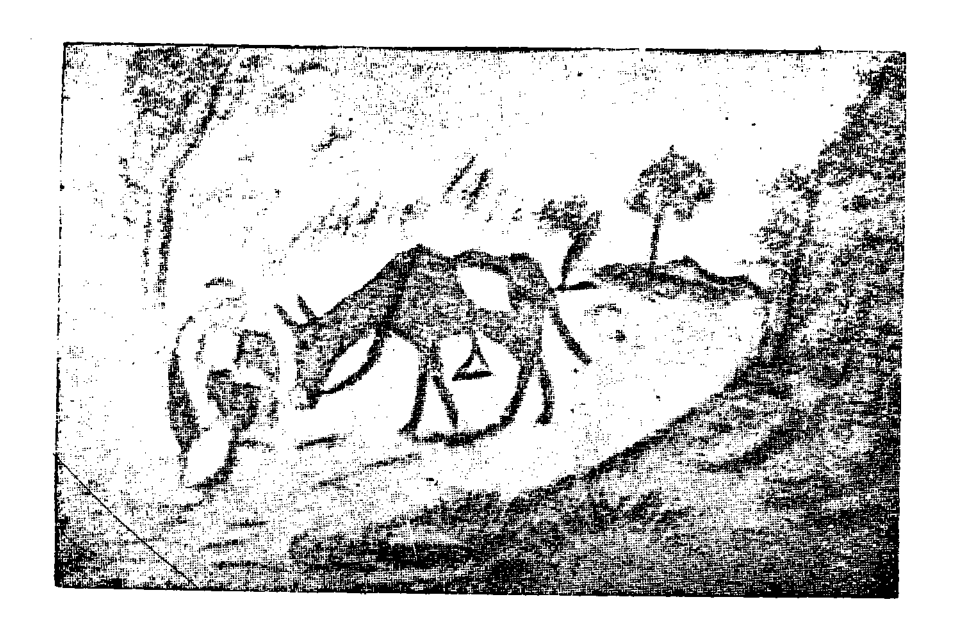
فأدخله الخادم ، وبعد سلام قدم المكتوب إلى صاحب البيت وجلس مسرعاً أمام المائدة وأخذ يزدرد الطعام بشهوة ، فلما نظر صاحب البيت إلى الورقة قال له : هذه ورقة بيضاء لا كتابة فيها !

فقال الشيخ : أجل إن الورقة لا كتابة فيها لأنى جئت مستعجلا قبل أن أتمكن من كتابتها فأرجو عفوك .

---

٢٥٨ — أنت أعجبك الروث وأنا ملأته لك

كان راكباً حماره وكان الحمار كلما رأى روثة يشمها حسب عادة جنسه ، فلم يكن من الشيخ إلا أن جمع شيئاً من الروث



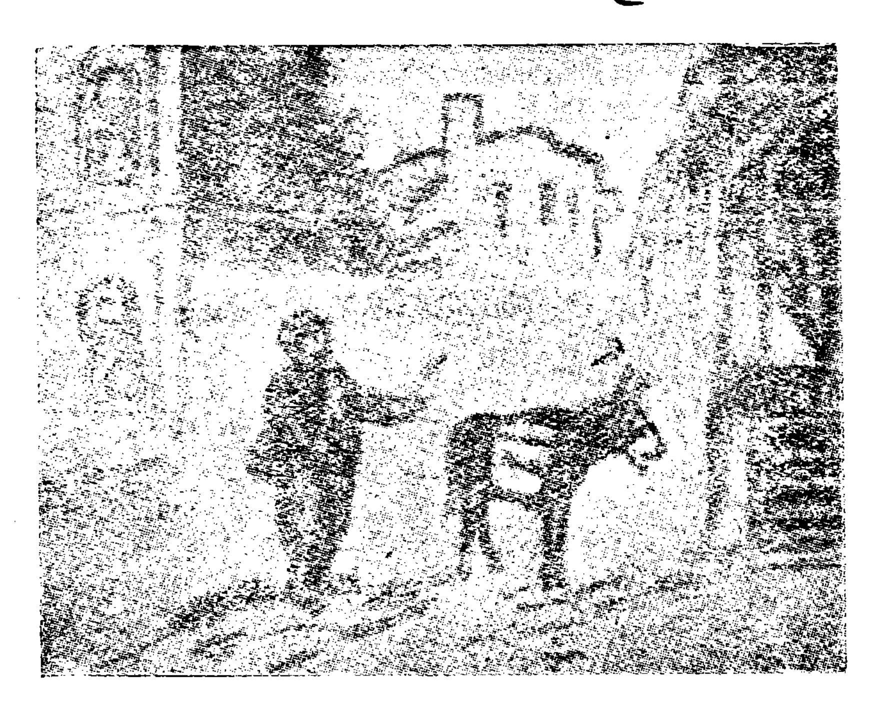
(جحا وحماره)

وجعله فى علاقة الحمار وعلقها برقبته ، فتضايق الحمار وأخذ يحاول خلع العلاقة من رقبته .

فقال له الشيخ : ماذا أصابك ؟ فأنت أعجبك الروث وأنا ملأته لك .

٢٥٩ — أأنت تبيع المخلل أم أنا ؟

أخذ الشيخ يبيع مخللا (مكابيس) وقد ابتاع أدوات المخلل مع حمار المخللاتى ، فكان الحمار يعرف البيوت التى تبتاع منه . وكلما نادى الشيخ « مخلل مخلل » كان الحمار ينهق فى تلك الأزقة المزدحمة ويغطى بنهيقه صوت الشيخ ، فغضب الشيخ لأنه لم يمكنه من إسماع صوته فى المناداة .



(جحا يبيع المخلل وحماره ينهق)

وفى ذات يوم وصل إلى محل مزدحم ، وأخذ الشيخ ينادى « مخلل ، مخلل » فسبقه الحمار إلى النهيق ، فلما رآه كذلك ألقى له مقوده على عاتقه وحملق بعينيه فيه . وقال له : أنظر ياهذا . أأنت تبيع المخلل أم أنا ؟

٢٦٠ — إذا كان فيك عقـــل أسرع للبحيرة

حمل حماره ذات يوم هشيما وقال فى نفسه لأنظر هل يلتهب ، وأخذ ناراً فقربها إليه ، وكان الهواء شديداً ، فعلقت



(النار على حمـار جحا)

النار به واندلع لسان اللهب . فكان الحمار المسكين يقوم ويقعد وينهق ويلبط لشدة الحرارة ، فلما رأى الشيخ أنه لايمكنه اللحاق به أو التقرب منه ، صرخ فيه بصوت عال وقال له : إذا كان فيك عقل فأسرع للبحيرة .

* * *

٢٦١ — من أضاع حمار غيره يفتش عليه وهو يغنى

ضاع حمار الحاكم ، فرآه جماعة الحاكم ذاهباً إلى بستانه ، فقالوا له : بما أننا ذاهبون إلى جهة واحدة فاشترك معنا فى التفتيش على الحمار . فلم ير الشيخ مانعاً من إجابة طلبهم ، ومشى جائلا بين البساتين وهو يغنى ، فانتهره أحدهم قائلا : أى نوع من التفتيش هذا ؟

فأجابه الشيخ : من أضاع حمار غيره يفتش عليه وهو يغنى.

٢٦٢ — تعلمت نصف الصنعة

وضعته أمه عند عامل زجاج ، فبقى سنتين مداوماً ، فسألته يوماً : ماذا تعلمت ؟ فأجابها : قد تعلمت ببركة دعائك نصف الصنعة وهى أنى أنشر المطوى ، والنصف الآخر أحصل عليه بعد بضع سنوات ببركة دعائك حالا إن شاء الله تعالى .

٢٦٣ — أفرغت الصوف ولم يقع منه شىء

أتى إلى السوق يوماً بمفرش من البساط ليبيعه ، فلما رآه المشترون قالوا له : هذا مخروق ممزق لايساوى شيئاً .

فأجابهم : سبحان الله . إذا كان قصدكم أن لا تبتاعوا فلا تبخسوا مال مسلم أمام الخلق . . فقد أفرغت والدتى منذ هنيهة ما كان فيه من الصوف ولم يقع منه شىء .

٢٦٤ — هل هو جمل حتى يعض أذن نفسه

كان عائداً إلى داره مساء يوم ، فتقدم إليه أحد أولاد الحارة وقال له : يا سيدى الشيخ إن هذا الولد عض أذنى .

فقال الولد المشتكى عليه : كلا أنا لم أعض أذنه بل عض أذن نفسه .

فقال الشيخ : اصمت أيها العنيد فهل هو جمل حتى يعض أذن نفسه ؟

---

٢٦٥ — جيراننا يشمون من الماليخوليا

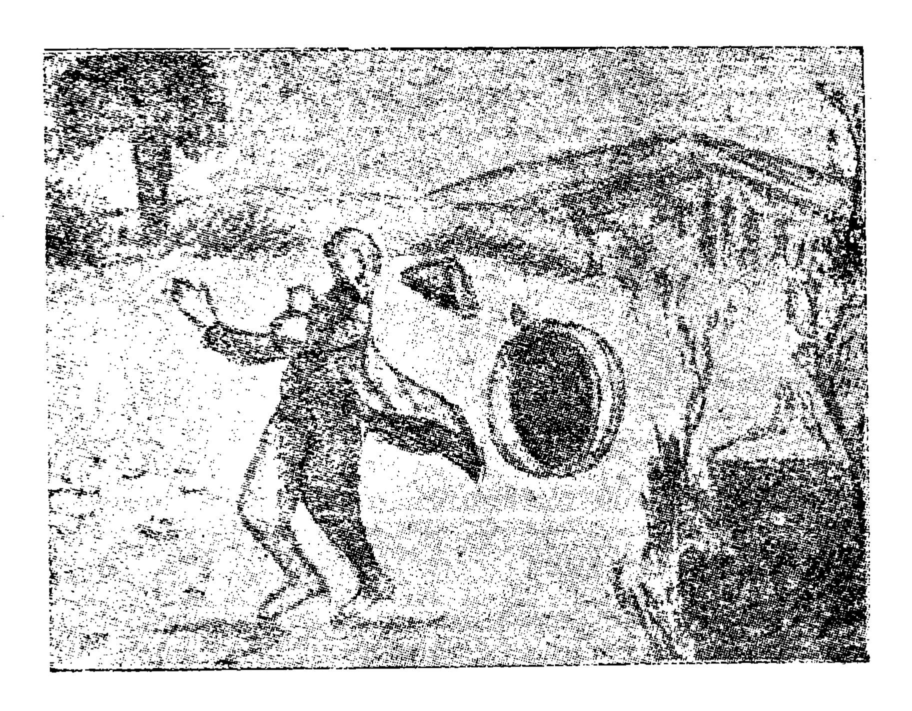
اشتهى يوماً الحساء « الشوربا » وقال لوكان عندى حساء عليه النعناع والبهارات لكنت آكله بشهوة . وإذا بالباب يطرق وقد أتى ولد من الجيران وبيده وعاء ، فدخل . وقال : والدتى مريضة وتريد شيئاً من الحساء .

فقال الشيخ : جيراننا يشمون من الماليخوليا ؟

---

٢٦٦ — لتخرج كل الغرابيل وتسير أمامى

كان يفتش على شئ فى بيت المؤونة . . وإذا بغربال كان مملوءاً بصلا قد وقع على رأسه فأضاع صوابه لشدة اللطمة واسودت الدنيا فى عينيه ، فضرب به الأرض . فاتفق وقوع الغربال على جانبه فارتد إليه ورض ركبته .



(جحا والغربال)

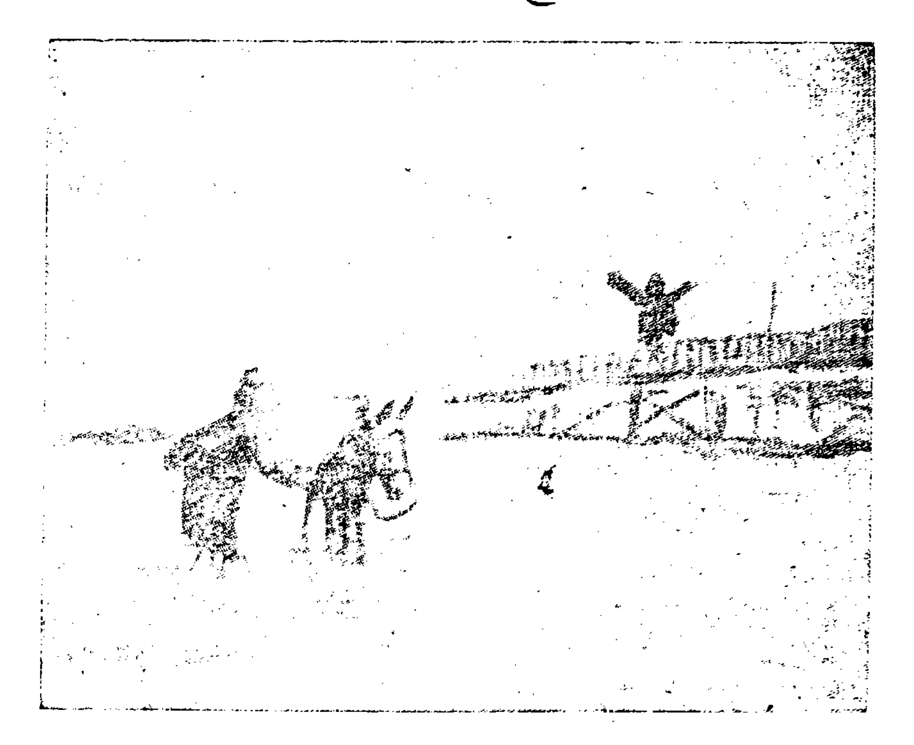
فغضب الشيخ وقام ورفع الغربال فوق رأسه وجلد به الأرض فوثب الغربال وجرح جبينه . فأسرع الشيخ ودخل وأتى بالبقطان (سكين كبيرة) وقال : لتخرج كل الغرابيل وتسير أمامى الآن .

---

٢٦٧ — سأقوم بما تأمر به حرفياً

كان الشيخ وهو طفل يعمل عكس ما يقوله والده ، فعلم والده طبعه فصار إذا أراد أن يطلب منه شيئاً يعكس الموضوع ليعمل الصحيح .

فنى ذات يوم كانا عائدين من الطاحون . وكان الحمار لا يقدر على المرور على الجسر . فقـــال له أبوه : يا ولدى أنا سأقطع الجسر وأنت خذ الحمار واقطع به النهر من المقطع . فأخذ ابنه الدابة إلى المقطع . . وبينما هو يخوضه مال جوالق الدقيق إلى جانب فصرخ أبوه من على الجسر قائلا له : لم يمل الجوالق إلى جهتى ولن يقع فى النهر فلا تقومه .



(الولد جحا وأبوه)

فالتفت جحا إلى أبيه . وقال له : يا أبى طالما عملت عكس ما أردت فالآن سأقوم بما تأمر به حرفياً . . ومامس الجوالق حتى وقع فى النهر وذهب مع المياه .

٢٦٨ — انقش لى خاتماً فيه «خس»

جاء مدينة « آق شهر » خطاط ماهر ، فأراد أحد أصحاب الشيخ أن ينقش خاتماً واسمه « حسن » وكان الخطاط يتقاضى أجرة عن كل حرف ثلاثة غروش ففكر الرجل وعمل حساب اسمه وكنيته فوجده يتكلف كثيراً فقرر أن يحفر خاتماً باسمه فقط وفكر فى طريقة يقتصد بها من الأجرة فاستشار الشيخ فقال له : تعال معى وذهبا إلى الخطاط فقال له الشيخ : انقش لنا خاتماً .

قال الخطاط : ما الاسم ؟

فقال : خس .

فقال الخطاط : ما هذا النوع من الأسماء ؟

فقال الشيخ : وأنت ماذا يعنيك من الاسم ، أكتب لنا ما نطلبه منك .

فأخذ الخطاط يكتب حروف « خس » ولما أتمها ولم يبق سوى نقطة الخاء قال له جحا : ضع هذه النقطة بآخر السين . فأدرك الخطاط ظروف الشيخ وأهداه الخاتم بلا مقابل .

---

٢٦٩ — أنت تشير بأصابعك فهل أنا ذو كرامة ؟

كان سائراً مع رفيق له على شاطىء البحيرة ، وكان السمك يثب فوق الماء ، فقال رفيقه : أنظر هذا السمك !

فأخذ الشيخ ينظر إلى الزقاق .

فقال له رفيقه : أنا أريك السمك وأنت تنظر إلى جهة البر ؟

فأجاب الشيخ : أنت تشير إلىّ برأس أصابعك فهل أنا ذو كرامة حتى أعرف ماتنويه ؟

---

٢٧٠ — سأبتاعها وأتجنب مضادة الشركاء

أراد بيع نصف دار له فقال له الدلال : لماذا تعجل . . فالآن ليس وقت ذلك .

فقال له الشيخ : أنا ما أحببت المال المشترك طول عمرى ولى عشر سنوات حتى أقنعت شريكى ببيع حصته لى فطالما هو راض ببيع ذلك فأنا سأبيع النصف الذى لى وأشترى النصف الذى له وأتخلص من مضادة الشركاء .

---

٢٧١ — شعر جحا

قال له أصدقاؤه : علمنا أنك تنظم القريض فهل نظمت أخيراً شيئاً منه ؟

فأجابهم : لقد سألتمونى شيئاً فى حينه وسأنشدكم بيتاً حديثاً قلته فى هذا الصباح ، فقد كانت والدتى تضع الحليب على النار لجعله لبناً فاتفق أن فسد اللبن كما حدث أمس ، وفى تلك البرهة جاءت خطيبتى ورأت القدر على النار ، فقالت : هذا الحليب فاسد فخطر لى بيت من الشعر لم أشأ أن أسمعها إياه إذ لا تقدر

على فهم معناه وتضيع بلاغته ، فاسمعوا أنتم بكل اهتمام وتأملوا ما قلته من الشعر والنظم :

أيها المحبوب يكفيني ألم لا تجر قلبى أضحى عـدم

---

٢٧٢ — هل كان رأسه معه ؟

ذهب مع رفيق له ليصطاد الذئاب فرأيا ذئباً كبيراً قدغطاه الشعر ، فطمعا فى جلده الذى يصلح للفراء ، وأخذا يطاردانه حتى دخل جحره ، فلحقه رفيق الشيخ ، وأدخل رأسه فى الجحر وانتظر الشيخ مدة فلم ير الرجل تحرك ، فسحبه فلم ير رأسه .

ففـكر قليلا ثم أسرع إلى البـلدة متوجهاً إلى دار رفيقه وسأل زوجته قائلا : عنـدما خرج زوجك صباحاً من البيت هل كان رأسه معه أم لا ؟

---

٢٧٣ — من يقطع مسافة تسعة أشهر بثلاثة يسمى ساعياً

ولدت امرأة لثلاثة شهور من زواجها . فاجتمع النساء وقلن ما نسمى المولود ؟ وقررن أن يراجعن الشيخ وعندما راجعنه قال : سموه « ساعياً » . فقلن له : لم نسمع بهذا الإسم .

فأجابهن : من يقطع مسافة تسعة أشهر بثلاثة لابد أن يسمى ساعياً . وإلا فأى اسم يليق به ؟

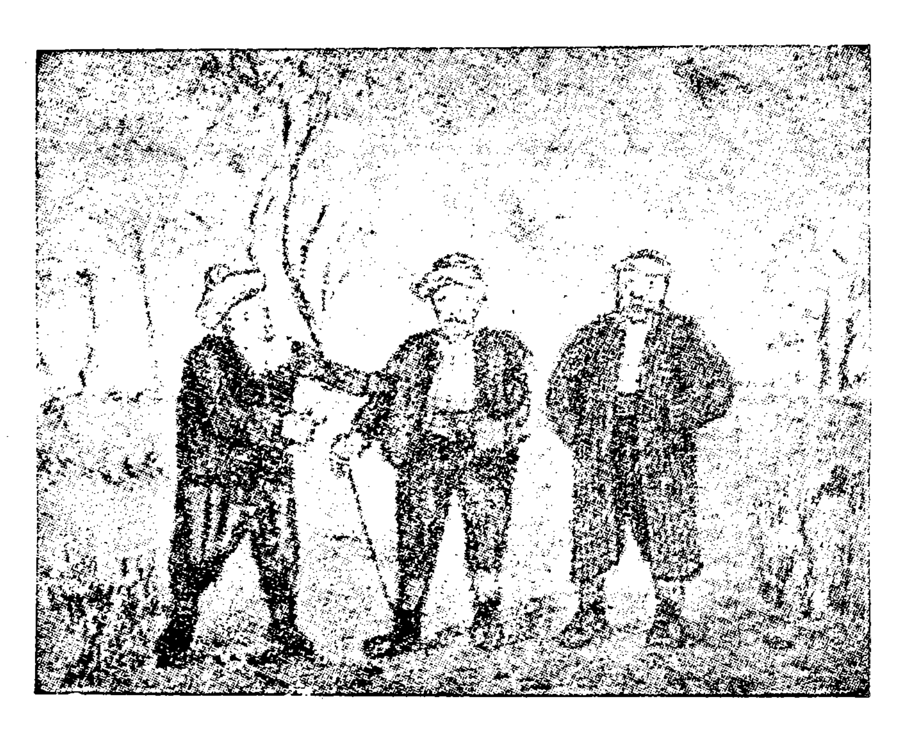
٢٧٤ — إذا لم يمش الجبل يمشى المجـذوب

سألوه يوماً فى أثناء المحادثة تمضية للوقت : من أين نعرف أنك ولى ؟

فقال لهم : إنى أدعو الحجر فيأتينى وأدعو الشجرة فتمشى إلىّ .

فقالوا : مادام الأمر كذلك فادع لنـــا هذه الشجرة الصفصاف التى أمامنا .

فأجابهم : أجل . . وأخذ ينادى بصوت رقيق : تعـالى يا مباركة (ثلاث مرات) فلم تتحرك الشجرة ولاورقة منهـا . فتقدم الشيخ إلى الشجرة .



(جحا يمشى إلى الشجرة)

فقالوا له : ماهذا ؟ أما قلت أنها تأتى إليك !

فأجابهم : لا كبرياء عند الأولياء ، فإذا لم يمش الجبل يمشى المجذوب .

٢٧٥ — لايهشم ولا يغمس

كان يأكل حليباً (لبناً) مع رفاق له ثلاثة وكان كلما هشم الشيخ ورفيقه خبزاً فى اللبن وهما مشغولان فى الحديث يتناول الثالث ما هشماه رغماً عن إنذارهما له ويزدرده ، فرآه الشيخ فغضب وأخذ المغرفة ورفعها فوق رأسه ونزل بها على رأس ذلك العنيد فاصفر وجهه وأغمى عليه حتى كاد يموت .

فلما رآه الشيخ كالأموات تعجب وقال : هو لايهشم ولا يغمس ولايرفع يده من الصحن وإذا ضربته بالمغرفة يتماوت .

٢٧٦ — قاضيان فى النار وأن التاجر ...

ترافق قاض وتاجر فى الطريق مع الشيخ ، فقال القاضى للشيخ : من كثر لغطه كثر غلطه فهل غلطت يوماً وأنت تعظ؟

فقال الشيخ ببداهة :

— نعم صادف مرة أن خرج منى « قاض فى النار » بدل قاضيان فى النار ، ومرة أخطأت فقلت : إن التجار بدل « الفجار » لفى جحيم . فأخجل الاثنين .

٢٧٧ — جحا والفلسفة

عندما كان تيمورلنك فى مدينة « آق شهر » جاءه دهرى وعرض عليه بواسطة الترجمان أن لديه بعض الأسئلة فإذا كان فى المدينة علماء حاذقون ماهرون فإنى أريد اختبارهم .

فجمع تيمورلنك أشراف البلدة وقال لهم : لقد جاءكم عالم غريب يريد اختبار علمائكم بالعلوم الطبيعية والفنون المادية وهؤلاء السائحون قد أحاطوا بالعلوم والفنون فإذا لم يقم فى وجههم عالم يقابلهم يقولون إن بلاد الروم قد خلت من العلماء واندرس العلم فيها وإذا شاع ذلك عنكم تسقط هيبتكم من أعين الأمم .

فاجتمع الأشراف فى غرفة وتذاكروا ملياً بهذا الشأن ، وأسفوا كثيراً لقلة العلماء فيهم ، ثم قالوا : إن الأسف لا يفيد فلنفكر بطريقة ندفع بها هذه الداهية فتحدثوا بجلب علماء من قونية وقيصرية وغيرهما ثم فكروا بأن جلب علماء غرباء من بلاد بعيدة أمر يطول شرحه ويجعلهم موضع سخرية أمام تيمورلنك.

وأخيراً اتفقوا على أن يستشيروا الشيخ نصر الدين جحا فبعثوا إليه فجاءهم . وعرضوا عليه ماهم فيه . فتروى قليلا ثم أجابهم : أتركوا الى المسألة . فقالوا : وماتنوى أن تعمله ؟ فقال سأباحث هذا العالم فإذا أجبته بجواب موافق وأسكته كان حسناً

وإذا لم أوفق إلى ذلك تقولون أنى رجل مجذوب دخلت هذا المدخل من عند نفسى ، وتقولون إننا لا نعده عالماً ، ثم تأتون بعالم غيرى ، أما إذا وفقت فإنى أريد من كل منكم جائزة .

فقالوا له : حسناً ، ومهما أردت يكون إن شاء الله ، وغاية قصدنا إفحام هذا الرجل الغريب .

وفى يوم معين نصبت الخيام فى ساحة البلدة ، وجلس تيمورلنك بالهيئة الحربية وقد تسلحت الجنود وهيئت أسباب الحفلة بصورة مدهشة ، وجاء ذلك الدهرى العجيب الشكل ، وشعره منفوش ، فجلس بالقرب من السدة السلطانية ، وغص المجلس بالحضور وكلهم منتظرون ورود الشيخ .

وأقبل الشيخ بعمامة كبيرة ، لابساً جبة واحدة ، ووراءه تلميذه حماد وبعض الطلبة ، ودخلوا المجلس ، فجلس الشيخ على يمين تيمور لنك وبعد أن شربوا المرطبات وأخذوا قسطاً من الراحة تقدم الدهرى إلى الوسط ورسم دائرة وانتظر الجواب ناظراً إلى وجه الشيخ .

فقام الشيخ ووضع عصاه بنصف الدائرة تماماً وشطرها شطرين ونظر إلى الدهرى ، ثم خط خطاً آخر ، وقسم الدائرة إلى أربعة ، ثم جعل ثلاثة منها إلى جهته إشارة بيده وواحدة منها إلى جهة الدهرى وأرسل يديه وراء ظهره إلى الدهرى .

فأشار إليه الدهرى محبذاً عمله بكل ارتياح ، وأعلمه أنه فهم مقصوده من ذلك .

ثم فتح الدهرى يديه وجعلهما كالطوق ونزل بهما من أعلى إلى أسفل وجعل أصابعه مفتوحة ورفعها فى الفضاء بضع مرات.

فعمل الشيخ عكس ذلك وفتح أصابعه وهوى بها إلى جهة الأرض فقبل الدهرى منه ذلك .

ثم إن الدهرى وضع أصابعه على الأرض وصار يمشى مقلداً مشى الحيوانات وأشار إلى بطنه كأنه يخرج شئ منه . . فأخرج الشيخ من جيبه بيضة وجعل يحرك يديه كأنه يطير .

فأعجب الدهرى ذلك ، وتقدم إلى الشيخ باحترام وقبل يديه، وهنأ الملك وأشراف البلدة بوجود هذا العلامة النادر المثال ، فسر الحاضرون وهنأوا الشيخ بظفره وأخذوا ينثرون الهدايا التى استحضروها والنقود على الشيخ ومنهم من وعده بالهدايا والعطايا الوافرة ، وكذلك أنعم عليه تيمور لنك بهدايا وافرة وعطايا فاخرة حتى أغنته وجعلته فى مصاف ذوى اليسار .

وبعد أن انصرف القوم تقدم السلطان وبعض المقربين وسألوا الدهرى بواسطة الترجمان : نحن لم نفهم الإشارات التى تبادلتها أنت والشيخ فأفهمنا ماذا جرى ؟

فقال الدهرى : نظراً لاختلاف فلاسفة اليونان وعلماء

بنى إسرائيل بشأن خلق العالم فإنى أجهل رأى علماء الاسلام بذلك فأحببت أن أتعلمه ، فأشرت إلى أن الأرض كبيرة ومدورة ، فصدق الشيخ على كلامى وقال : إنها مقسومة شطرين ، نصف الكرة الشمالى ونصف الكرة الجنوبى وهكذا شطرها شطرين ثم شطرها أربعة فجعل ثلاثة أقسام بطرفه وقسما بجهتى ، مشيراً بذلك إلى أن ثلاثة أرباع الأرض بحراً وقسما واحداً براً وأفادنى أن الأرض سبعة أقاليم ثم أشرت إليه عن المواليد وأسرارها وخلقتها برفع أصابعى فى الهواء وهزها مشيراً بذلك إلى النبات والأشجار والمنابع والمعادن وكيف تحصل ، فرفع الشيخ يديه مشيراً إلى أسفل ، وأن نزول المطر من السماء ، وقوة الشمس وتأثير الأجرام الجوية فى الكرة الأرضية تساعد تلك المواليد على الإتيان بما خصها الله به من القوى الكامنة وأوضح ذلك على وجه موافق لقول الفلاسفة المتأخرين . ثم أشرت إليه بنفسى عن توالد وتكاثر المخلوقات من بعضها بعضاً بالتناسل وتركت كثيراً من تلك الأمور مبهمة فأخرج لى بيضة من جيبه وأشار إليها كأنها تطير إشارة إلى صنف الطير من المخلوقات على هذا الوجه مجملا ، فعلمت من ذلك أن عالمكم علامة بالسماويات والأرضيات وكافة العلوم المعقولة والمنقولة وأنه من دهاة الفلاسفة ويحق لكم عامة أن تفخروا بمثل هذا الفيلسوف فى وطنكم .

ثم ودعوا الدهرى بالإعزاز والإكرام وانصرف .

وبعد ذلك تقدموا إلى الشيخ واستوضحوا منه عن الأجوبة التى أجابها فقال لهم : هذا الرجل جائع مثلى وقد أتعبتمونى به عبثاً . فإنه عندما عمل دائرة بيده أشار بذلك إلى أن فى البيت أمامه صدر فطائر كهذه الدائرة فشطرته شطرين وقلت أقسمه أنا وأنت كالأخوين فلما رأيته لم يفهم قسمته أربعة أقسام وجعلت لنفسى ثلاثة وله قسم واحد ، فرضى بذلك وهز رأسه .

ثم أشار إلى قدر أرز موضوع على النار ، فأشرت إليه عن وضع الملح والبهار والفستق والزبيب فوقه وهكذا حللت هذه المسألة ، ثم أشار إلىّ عندما مشى على أصابعه مشيراً إلى جوعه متحسراً على طعام لذيذ .

فأشرت إليه وأنا جائع أكثر منك حتى كدت أطير جوعاً وأنى قمت صباحاً لأعمل فطوراً فلم أجد سوى بيضة واحدة أعطتنى إياها امرأتى ولم أجد وقتاً لتناولها عندما بعثتم تخبروننى أن أحضر فوضعتها فى جيبى احتياطاً .

فقال الحاضرون : والله هذا أمر عجيب فكيف طرح لك تلك المسائل وكيف حللتها هذا الحل المعجب مع تفاوت القصة وإرضاء الطرفين . وهكذا سر الحاضرون وتضاحكوا طويلا وتفرقوا والحيرة آخذة منهم كل مأخذ .

٢٧٨ — جحا وأمير الأكراد

ذهب فى رمضان أحد السنين واعظاً لبعض عشائر الأكراد وبالطبع كان يصلى إماماً بالجماعة ، فنى ذات يوم حضر أبناء الأمير العشيرة وقالوا له : نحن ما كنا نحب كسر خاطرك فى كل حين نظراً لكونك صائماً ، ولكنا رأيناك غير مرة تقوم وتتقدم على والدنا فى الصلاة ، فإذا كنت لاتعدنا شيئاً فلا بأس ، وإنما لايغرب عن بالك أن والدنا يحكم على خمسة آلاف خيال مسلحين متى قال لهم قوموا قاموا قومة رجل واحد فهل يجدر بك أن تتقدم عليه فى كل حين ، وإذا كنت تراه لا يتكلم معك شيئاً فاعلم أنه إذا غضب عليك لايقدر أحد أن ينقذك من بين يديه .

وهكذا هددوه بكل عبارة قاسية . فأراد تفهيمهم أنه إنما يفعل ذلك بمقتضى الصلاة ، فما كانوا ليسمعوا له قولا بل ازدادوا شدة . وأخيراً قال لهم الشيخ : « سأنظر فى المسألة » وصرفهم عن نفسه .

وبعد إفطار ذلك اليوم وشرب المرطبات جعل الشيخ مناسبة وحديثاً فقال للأمير : يا سيدى إن المحروسين الكرام نظراً لعدم معرفتهم بمقتضى الأمور الشرعية قصدوا أن يعيبوا شيئاً ليس من العيب بمكان أصلا . . فما تفوه بهذه الكلمات حتى قامت حواجب الأمير وانتفخ عظمه قائلا : ماذا أيها الشيخ ؟

أتريد أن تبحث فى مسألة الجماعة ؟ .

فندم الشيخ على ماقاله ، وأجاب بكل وجل: أجل ياسيدى لست أقصد الشكوى بل لأتخذ وسيلة للحديث والمباسطة .

فأجابه الأمير : أجل إنهم غلطوا معك ، إلا أنه بالنظر لميل قلبي إليك فلا أريد أن تمادى أكثر من ذلك .

ولما رأى الشيخ أن الوالد أجهل من أولاده وأنه لا يمكنه الاعتماد عليه ، لما أبداه من قسوة الرد ، تفكر قليلا فى وسيلة يمضى بها شهر رمضان ويعود بسلام بعد أن يأخذ مكافأته ، والتفت إلى الأمير قائلا : الحق معك ياسيدى إلا أنه يجب أن ينظر الإنسان إلى نهاية الأمور لا بدايتها ، لأنى متى أدرت وجهى إليك بعد الصلاة فتكون أمامى آنئذ وأبقى الداعى وراءك . أليس كذلك ؟

فتأمل الأمير ملياً وصعد حاجبيه وصوب بصره . وقال للشيخ بوجه باش : ياشيخى نحن قوم نعيش بعيدين عن المدن لذلك فإن عقولنا لاتحيط بدقائق المسائل العلمية فلا تؤاخذنا.

٢٧٩— إن كان هذا اللحم فأين الهر وإن كان الهر فأين اللحم

ابتاع يوماً ثلاث أقات لحم وأخذها إلى البيت وذهب إلى شغله . فما كان من امرأته إلا أن جمعت جاراتها وعملت لهن مأدبة شائقة بذلك اللحم .

وعاد الشيخ فى المساء ، فطلب العشاء فوضعت أمامه برغلا مسلوقاً بالماء ، فقال لزوجته : إذا لم يكن لديك وقت لطبخ اللحم أما كان يمكنك أن تجعلى مع هذا البرغل بضع قطع منه تجعله لذيذاً فنتناوله باشتهاء ؟

فأجابته : لقد منعنى مانع إذ بينما كنت مشغولة وإذا بهرك الذى تحبه جاء فأكل جميع اللحم الموجود ولما حضرت رأيته يمسح فمه بعد الأكل .

فنظر الشيخ إلى الهر وقام مسرعاً فأحضر ميزاناً ووزن الهر فكان وزنه ثلاث أقات تماماً ، فعندها قال لامرأته : يا قليلة الإيمان إذا كان الذى وزنته لحماً فأين الهر ؟ وإذا كان هذا الهر ، فأين ذهب اللحم ؟ .

---

٢٨٠ — أريد أن أعرف إلى أين يصل صوتي

كان يؤذن ويذهب مسرعاً ، فسألوه عن السبب فقال :

— أريد أن أعرف إلى أين يصل صوتى .

---

٢٨١ — لا ترينى وجهك وأريه من تشائين

زوجوه بامرأة قبيحة المنظر ، ففى الصباح أراد الشيخ الانصراف فتقدمت إليه برشاقة ودلال قائلة : أرجو أن تخبرنى إلى أى أقربائك من الرجال أرى وجهى ومن منهم لا تريد أن يرانى ؟

فقال لها فوراً : لا ترينى وجهك وأريه من تشائين !

٢٨٢— يقولون أن الحشيش مسكر وكل ذلك كلام

سمع أن الحشيش يسكر ، فأهمه ذلك وابتاع مقداراً منه من عند العطار واستعمله ثم ذهب إلى الحمام . وعند ما كان يغتسل خطر فى باله أنهم يقولون أن الحشيش يسكر وأنه يخل بالعقل فقال : كل ذلك كلام بكلام وما قصدهم إلا السخرية والمزاح أو أن العطار غشنى فليتنى أذهب إليه وأسأله محققاً عن ذلك .



(جحا يخاطب العطار عارياً)

وفى الحال خرج من الحمام عارياً فصادفه أصحابه فسألوه : ما هذا الحال أيها الشيخ ؟ فحدثهم بما فعل وقال لهم : لا شك بأن العطار غشنى لأن حشيشه غير مسكر .

٢٨٣ — جحا والدب على الشجرة

بينما كان الشيخ يحتطب فى الجبل رأى دباً عظيما آتياً نحوه فخاف الشيخ خوفاً شديداً وصعد إلى الشجرة ، وكانت من شجر الكمثرى البرى ، فجاء الدب ونام تحتها .

فانتظر الشيخ طويلا فلم يذهب الدب وخيم الظلام وكانت الليلة مقمرة ، فأخذ الدب يتأمل فى الشجرة على ضوء القمر ، وأخيراً صعد إليها وأخذ يأكل من الكمثرى متسلقاً غصناً غصناً والشيخ يعلو كلما رأى الدب يصعد ، وأخيراً صعد الشيخ إلى قمة الشجرة وإلى الغصن الأخير ، وكاد يذهب عقله حينما تأمل فى الحالة التى سيموت فيها إذا سقط من ذلك العلو الشاهق ، وأخذ يرتجف كالورقة فى مهب الريح .

وبينما هو مشغول بنفسه غارق فى بحر الفكر ، كان الدب يجنى الثمر ويأكل ، متجهاً إلى ضوء القمر ، واقترب الدب منه حاملا فى فمه كمثراة كأنه يقدمها إليه ، فذعر الشيخ وصاح بملء فمه صيحة مدهشة ملأت الفضاء قائلا : لا أريد أن آكل .

وأزعج الدب هذا الصوت المرعب ، فاضطرب وكسر به الغصن فسقط متدهوراً بين الأغصان ، فلم يبلغ الأرض إلا مهشما ممزق الأعضاء لا حياة فيه .

وفى الصباح تأكد الشيخ أن الدب قد مات ، فنزل من على الشجرة وسلخ جلده العظيم ذا الشعر الكثيف وحمله على عاتقه

وذهب به إلى المدينة مفتخراً بين أصحابه بهذا الصيد العجيب .

٢٨٤ — خروف الشيخ ونعجة جاره

كان للشيخ خروف وقد رباه وأطعمه كل طعام لذيذ حتى سمن وأصبح لا يقدر على الجرى وكان جيرانه كلما رأوه يقولون للشيخ : ياليتك تذبح لنا هذا الخروف لنعمل به وليمة شائقة ، والشيخ يقول لهم : يا أبنائى هذا الخروف هو سلوتى أفترونه كثيراً علىّ ، والله إن كلامكم ليؤلمنى . وعندما علموا أن الشيخ لا يسمح به حقيقة اتفقوا على سرقته فأخذوه وذبحوه وأكلوه .

ولما علم الشيخ بما عملوا تظاهر بعدم المبالاة واستمر يبحث خفية عن الشخص الذى قام بالسرقة حتى عرفه فأضمر الانتقام منه . وبعد عامين كان لذلك الجار نعجة فاختطفها الشيخ على حين غفلة وأكلها ، وكان صاحب النعجة بخيلا جداً ، فلما افتقدها ولم يجدها حزن عليها وأطلق لسانه بذكر سمنها ودهنها وصوفها الحرير الطويل وجلدها حتى ظن الكثيرون أن النعجة لا مثيل لها وأنها من خوارق العادة فكان الشيخ يتألم من ذلك .

وفى ذات ليلة اجتمع الجيران عند الشيخ وبينهم ذلك الجار فذكر نعجته ووصف لون صوفها قائلا : كان كالثلج بياضاً ، والحرير نعومة ، وكانت كالجمل قدراً وكبرا .

فاعترضه الشيخ وخالفه فيما يدعى ، وأصر صاحب النعجة

على كلامه ، واحتدم الجدال ، فلم يكن من الشيخ إلا أن نادى ابنه قائلا : اذهب إلى بيت المؤونة واحضر جلد هذه النعجة التى يصفها هذا الرجل وضعها أمامنا لينظر الحاضرون هل شعرها أبيض كما يزعم أم هو أسود ؟ وهل هى بقدر الهرّة أم الجمل فيظهر للحاضرين الحق ونتخلص من حكاية النعجة التى يصفها هذا كأنها ناقة صالح .

وأتى الغلام بالجلد ، فأدرك صاحب النعجة أن الشيخ قد انتقم لنفسه واستعاض عن خروفه بالنعجة .

---

٢٨٥ — متى مكث عندكم مدة يصير بالحالة المطلوبة تماما

كان أحد الحكام البخلاء قد قال للشيخ : أنت لك معرفة بالصيد والقنص وتعرف الصيادين فاحضر لى كلباً سلوقياً بأذنين كأذنى الأرنب ورجلين كرجلى الإبل ولون كلون النملة .

فبعد مدة جاء الشيخ بكلب غنم ضخم كبير ، فقال الحاكم : ما هذا ؟

فأجابه الشيخ : ألم توصنى على كلب للصيد ؟

فقال الحاكم : أنا طلبت كلباً كمعزى الجبل ، خفيفاً سلوقياً .

فأجابه جحا فوراً : لاتفتكر يا سيدى فإنه متى مكث مدة قليلة فى دائرتكم العامرة يصير بتلك الحال المطلوبة تماماً .

٢٨٦ — لقد أشكلت المسألة !

جاءه رجل عندما كان قاضياً ، قائلا : إن الثور الأحمر وأظنه ثوركم قد نطح بقرتنا فى بطنها فقتلها .

فقال الشيخ : وما دخل صاحبه فى الأمر ، فهذه دعوى دم لا يطالب بها حيوان .

فقال الرجل : كلا لقد أخطأت بالإفادة فإن بقرتنا بقرت بطن ثوركم .

فعندها قال الشيخ : لقد أشكلت المسألة فهات هذا الكتاب ذا الجلد الأسود عن الرف لأنظر فيه . . .

---

٢٨٧ — أنا أعلم أنك جئت من بيت العرس

جاء الشيخ مساء يوم إلى داره تعباً وذهنه مضطرب ، فرأى امرأته مقطبة الوجه بينما كان آتياً لينسى همومه ، فقال لها : ماذا جرى ؟ هل تكافئينى على اجتهادى من الصباح إلى المساء لتدبير أمور معيشتنا بهذه المقابلة الجافة ؟ ما معنى هذه المعاملة وما سبب تقطيب الوجه ؟

فأجابته زوجته : الله الله لا بد لذلك من سبب فقد توفى طفل إحدى صديقاتى وذهبت إليها وعزيتها وعدت متألمة مما رأيت فهل فهمت السبب ؟

فأجابها الشيخ : أجل أنا أعلم أنك جئت من بيت العرس حديثاً ، أليس كذلك ؟

---

٢٨٨ — المؤاكلة بالشعر

نزل عليه أحد أصدقائه ضيفاً ، وبعد أن تناولا الطعام ، وشربا المرطبات وسهرا إلى الساعة الرابعة بعد الغروب وحان وقت النوم أنشد الضيف هذا البيت :

إن العادات ببلدتنا أن نأكل بالنوم العنبا

فأجابه جحا ببداهة :

لا عادة فى هـــذا أبداً بل نخفيه حقـاً وجبـا

---

٢٨٩ — نمت قبل أن أجيء إلى هنا

نزل فى إحدى القرى ضيفاً على إمام القرية فسأله صاحب البيت : ألم تنم ؟ أأنت عطشان ؟ ولم يذكر شيئاً عن الطعام .

فأجابه الشيخ: نمت قبل أن أجيء إلى هنا فى قرية بيكار باشى.

---

٢٩٠ — أنشأتها حسب مشورتكم فدعوني أبنيها بمعرفتي

كان يبنى داراً ، فجعل يحضر أحباءه وجيرانه ، ويستشيرهم وكل منهم يشير عليه أن يبنى على صورة ويصر على رأيه قائلا : إذا لم تعمرها كما أقول فأنا أبنيها رغماً عنك .

وهكذا أجبروا الشيخ أن يتبع مشورة كل مشير فكانت

الدار أقرب إلى أعجوبة منها إلى دار ، وبعد كمال إنشائها دعى أصدقاءه للاحتفال بافتتاحها فحضروا فقال لهم : هل أعجبتكم الدار ؟ فقالوا كلهم : كلا لم تعجبنا .

فأجابهم : أنا أنشأتها حسب مشورتكم فدعونى الآن فى هذه المرة أبنيها حسب معرفتى .

---

٢٩١ — ليس لي ست أصابع

كان يأكل بأصابعه الخمس ، فرآه أحدهم ، فاعترضه قائلا: لماذا تأكل بأصابعك الخمس أمام الناس ؟

فأجابه جحا : لأنه لم يكن لى ست أصابع .

---

٢٩٢ — العمل لا يوافق النظر

كان فى بلدة (آق شهر) حاكم شره بالمآكل ، فقال يوماً لوجوه البلدة : أريد أن أجمع كتاباً بأنواع المآكل فليكتب كل منكم طبخة من الأطعمة ، وشاع الخبر حتى بلغ الشيخ ، فنى صباح اليوم التالى رأى الشيخ أحد أولئك الوجوه فقال له: لقد أعملت الفكر حتى الصباح فاكتشفت طعاماً نادراً بسيطاً لطيفاً جداً .

فقال له الرجل : وما هو ؟

فقال : هو أن تأتى بالثوم وتغمسه بالعسل وتأكله .

ولمـا كان الرجل خالى الذهن ساذجاً صافى القلب ، ذهب إلى الحـاكم وقال له إن فى بلدتنا شيخاً لطيفاً صاحب نكات ومعرفة قد أفادنى عن طعام غريب ووصفه له ، وكان الحاكم لا يقل عن ذلك فهماً ، فقال : يا للعجب ! ثم ذهب إلى داره وأراد أن يجرب هذا النوع الجديد عند العشاء فصنعه وأكل منه ، وبالطبع كان هذا الطعام مقيئاً فغضب الحاكم ، وفى الصباح جاء بالشيخ بواسطة ذلك الراوى إلى الديوان وسأله قائلا : أأنت الذى اكتشفت أكل الثوم بالعسل ؟

فأجابه الشيخ بكل سكون : أجل إن الداعى هو الذى أوجد ذلك .

فأمر الحاكم بإحضار بقية الطعام ليتناول منه الشيخ ، وكان بطنه فارغاً فكان كلما غمس الثوم بالعسل وتناوله ومضغه يتأثر من طعمه الحريف وينقبض وجهه وينظر بعينين دامعتين إلى جانبيه.

فقال له الحاكم : ماذا تنظر ؟ كل الطعام الذى اخترعته هنيئاً مريئاً ، لأن الإنسان يلتذ بما تجود به قريحته ويكتشفه .

فقال الشيخ : ياسيدى أنا صادق فى ادعائى الاكتشاف ، إلا أن اكتشافى كان عبارة عن نظرية ولم أجرّبه قبل الآن ، أما وقد جربته فقد عرفت أن العمل لا يوافق النظر ، فأنا لم يرق لى ذلك .

٢٩٣ — أنتظر أن تطفو حتى أقبض عليها

كان يملأ جرة ماء من النهر ، وفى أثناء ذلك سقطت الجرة من يده ، فجلس ينظر إلى محل سقوطها فرآه أحدهم فقال له : ماذا تفعل يا شيخى وإلى أى شىء تنظر ؟

فأجابه : إن الجرة قد دخلت فى الماء ، وأنتظر خروجها حتى أقبض عليها من فمها وأذنيها .

٢٩٤ — مادام الأمر كذلك فرش السكر بالوسط

اشترك مع رفيق له فى لبن (حليب) وفيما هما يقصدان تناوله أشار رفيقه إلى الجانب الذى يليه من اللبن وقال : أريد أن أرش على حصتى سكراً ، فقال له الشيخ : إذا كنت تريد ذلك فرشه على كل الأطراف ليحلو كله ونتناوله معاً بلذة .

فأجابه الرجل : إن السكر الذى معى قليل ، ولست ملزماً أن أعطيك سكراً .

فغضب الشيخ ، ومد يده فى الحال إلى جرابه وأخرج زجاجة الزيت وصب منها فوق اللبن .

فقال له الرجل : ما هذا ؟ هل يوضع الزيت فوق اللبن ؟

فأجابه الشيخ : لماذا تتدخل فى شغلى ؟ أنا أريد أن أضع زيتاً على حصتى وأنت لست وكيلا عنى ، افعل ماشئت بجانبك .
فأجابه الرجل : هل يوضع شىء مائع ولايذهب إلى كل جانب ؟
فقال الشيخ : مادام الأمر كذلك فرش أنت السكر بالوسط .

٢٩٥ — لا تقس هذا على الناس فإنه إذا قال فعل

سافر الشيخ إلى بلدة ، فقال له أحد أهلها : لقد أحببتك كثيراً ياسيدى ، فتفضل نتناول خبزاً وملحاً ونتسامر ملياً .
فلبي الشيخ الدعوة بكل سرور وذهب إلى داره ، وبعد مدة قليلة وضعوا أمامه الخبز والملح فقط ، وكان الشيخ جائعاً فلم يجد بداً من الأكل .

وفى تلك البرهة دق الباب فقير ، وبعد دعاء طويل عريض طلب صدقة ، فما كان من صاحب المنزل إلا أن أطل من نافذة داره وقال للفقير : إذهب من هنا وإلا فإنى آتى إليك وأكسر ظهرك . فلم يبال الفقير بذلك بل دام يتضرع ويطلب .

فلما رآه الشيخ كذلك لم يصبر أن أطل برأسه أيضاً من النافذة وقال : يا هذا لا تقس السيد على بقية الناس فإنه رجل إذا قال فعل .

---

٢٩٦ — على هذا الحساب نكون فى هذه السنة بعمر واحد

سألوا الشيخ فى أيام صباه : أأنت أكبر سناً أم أخوك ؟
فأجابهم : فى العام الماضى قالت لى أمى إن أخاك أكبر منك بسنة واحدة ، وعلى هذا الحساب فنكون كلانا فى هذه السنة بعمر واحد .

٢٩٧ — لا شىء يدل على الطعـــام

أنشأ صديق له داراً ودعاه ليراها ، فأخذ يتجول معه فى الدار ويريه إياها من الصباح حتى المساء مطيلا فى الكلام على محتوياتها وترتيبهـا وبنائها ، ولم يذكر عن الطعام شيئاً ، وأخذ الجوع من الشيخ كل مأخذ حتى كاد أن يغمى عليه ، ثم استأنف صاحب البيت الكلام قائلا : كأنى بك لم تتطلع تماماً على غرفة الطعام وترتيبها ونظافتها ومواقدها فإنى قد اعتنيت بها كثيراً . وأخذه إليها فأراه إياها ، وبعد أن تأمل فيها الشيخ ملياً أخذ يقيس طولهـا وعرضها ، وأخرج من جيبه دفتراً وأخذ يرسم بعض الخطوط فيه ، فسأله صاحب البيت : ماذا تصنع ؟

فقال : آخذ خارطة الغرفة .

فأجابه صاحب الدار : أرأيت يا سيدى كيف أعجبتك ، وأؤكد لك أنك ستجعل غرفة طعام دارك كهذه .

فأجابه الشيخ : وهل من شبهة بذلك ، فقد أعجبتنى كثيراً لأنها من الاقتصاد بمكان حتى أن هيئتها تقضى بأن لايكون فيها شىء يدل على الطعام .

---

٢٩٨ — إذا صرفت بقرى وعطلت مزرعتى فأى رأس جبل أسكن فيه ؟

أقام عليه أهل القرية دعوى عند القـاضى ، فاستحضره وقال له : إن هؤلاء القرويين لا يريدونك فاختر لك وجهة .



(جحا وأهل القرية)

فأجاب الشيخ : أنا الذى لا أريد هؤلاء القرويين ، فليذهبوا هم إلى جهنم أو إلى أى مكان أرادوه لأن مجموعهم أينما حل يؤلف مزرعة بل قرية ، أما أنا فواحد برأسى فإذا صرفت بقرى وعطلت مزرعتى فأى رأس جبل أسكن فيه ؟

---

٢٩٩ — أنا طلبت حماراً فأرسلت مهراً يركبنى

كان الشيخ سائراً فى طريق طويلة فأخذ يقول فى نفسه : يارب ماذا عسى لو مننت علىّ بحمارى فأراه وأركبه وأرفع رجلى عن الأرض وإذا بفارس يسوق فرسه سوقاً شديداً ووراءها

فلو صغير عمره ستة أشهر ، فلما رأى الشيخ ناداه وقال له : يا خال لماذا هذا الكسل وأنت جالس تحت الشجرة؟قم واسع فقد تعب هذا الفلو فاحمله على عاتقك وخذه إلى هذه القرية القريبة هنا .

وما كاد الشيخ يجيبه قائلا : أنا لا أقدر على الحركة و . . حتى لمع سوط الفارس على ظهره كالبرق ، وقال له بصوت جهورى : أيها الأبله من يترك كسلاناً مثلك يجلس تحت شجرة الصنوبر أمام الماء بين الخضرة السندسية كالحلزون ؟

فلم ير الشيخ بداً من حمل المهر ، وهكذا جعله على عاتقه وأخذ يمشى كالثمل من التعب والثقل ويعدو أمام الفارس وكان كلما نظر إلى السوط فى يد الفارس يلاعبه بالهواء يزداد جرياً ، إلى أن اقترب من القرية وقد قطع تلك المسافة الطويلة بعشر دقائق .

وأخيراً وقع على وجهه هو والمهر من شدة التعب فلم يشفق عليه ذلك الفارس القاسى القلب وإنما تركه قائلا (يالك من تركى سارق اللبن) ومضى .

وبقى الشيخ نحو نصف ساعة لا يقدر على الحركة وعندما صحا سحب نفسه إلى ظل شجرة . ورفع رأسه إلى السماء وقال : يارب لقد سقطت أسنانى وتكسرت كلها وأصبحت لا أقدر على تفهيم الكلام فأنا طلبت منك حماراً أركبه فأرسلت لى مهراً يركبنى

٣٠٠ — اياك أن تنسى عقد الخيط بالإبرة فتبقى وحدها

أخذوا ابنته عروساً إلى إحدى القرى ، وبعد أن اجتازوا مسافة طويلة أسرع الشيخ عدة ساعات حتى لحق بهم ، وقد تصبب عرقاً فتقدم إلى النساء وأبعدهن إلى جانب ، وانفرد بابنته فقال لها : يا بنيتى عند ما تريدين الخياطة إياك أن تنسى أن لا تعقدى الخيط لأنه إذا لم يكن معقوداً يخرج من الإبرة وتبقى الإبرة بيدك وحدها .

---

٣٠١ — جحا يبيع الهواء

من جملة كرامات الشيخ بيعه الهواء إلى الفلاحين ، فنى إحدى السنين ذهب إماماً إلى إحدى القرى ، وعند ما قارب رمضان الختام فكر الفلاحون فى عمل وسيلة لعدم إعطاء الشيخ عوائده من الحنطة اعتذاراً بقلة المحصول .

فغضب الشيخ من ذلك ، وفى زمن الحصاد بينما الحب على البيادر قال لهم : ما دام الأمر كذلك فأنا لا أعطيكم هواء تذرون به بيادركم فأوجدوا أنتم ما يكفيكم من الهواء لتذرية البيادر . ثم أتى بحصيرة كبيرة ووضعها على تل مطل على البيادر ، وجلس يراقب أعمالهم .

واتفق أن مضت عدة أيام انقطع فيها الهواء عن البيادر ، وشاهد الفلاحون غيوماً ثقيلة تملأ الجو . فحاروا فى أمرهم

فقال أحدهم : يا شيخ أنا أعطيك عوائدك ضعفى ما أخذته فى العام الماضى إذا أوجدت لى الهواء .

فصعد الشيخ إلى التل ونقب الحصير بإصبعه ، ووجه الثقب إلى بيادر ذلك الرجل، وقال له اذهب إلى بيادرك ، فلم يكد يبلغها حتى وجد الهواء يهب فأخذ يذرى حبوبه حتى أكمل الأكداس كلها ووضع الحبوب فى الجوالق وأخذها إلى مستودع داره .

فعندما رأى جيرانه ذلك حضروا إلى مكان بيادرهم فلم يجدوا للهواء أثراً ، فقال أحد الفلاحون لآخر: لا تتعب سدى . اذهب إلى الشيخ وعاهده على أن تعطيه حقه وابتع منه الهواء .

فذهب ففتح له ثقباً بالحصير فقضى هذا شغله أيضاً .

ولما رأى الفلاحون ذلك تجمعوا على الشيخ وابتاعوا منه الهواء بعد أن وعدوه بأنهم يعطونه حقه وزيادة فقال لهم : أيها الفلاحون إياكم أن تغشوا شيخكم وتقولوا فى بالكم إنا نرجع بقولنا بعد أن نتمم أشغالنا ، فإن الحق تعالى يذهب بيادركم هباء ولا يبقى فى أيديكم شيئاً منها .

وبعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق قام وثقب لكل بيدر من بيادرهم ثقباً فى الحصير ، وأقبلوا على تذرية بيادرهم وأعطوه حقه مضاعفاً وسر الشيخ سروراً عظيماً .

وبعد أن حمل حقه خرج مع القرويين إلى خارج القرية

حيث أدبوا له مأدبة الوداع ودعا لهم بخير ، ثم قال لهم : إن من لا يدفع الحق لصاحبه يأخذ له الله حقه مضاعفاً .

ويقال : إن مقاطعة الهواء ما زالت جارية فى تلك القرية حتى هذه الأيام .

رحم الله روح نصر الدين فهو بالحق ظاهر التمكين
فترى كم له كلاماً بديعاً ذا رموز من محكم التلقين
لا تظنن ما يقول جزافاً إنما قوله كحبل متين

---

٣٠٢ — لا أدرى بها كلها

جاء مدينة « آق شهر » باحث جدلى متفلسف وسأل قائلا : من هو عالم مدينتكم ؟

فقالوا له : الشيخ نصر الدين .

ففتش عليه فوجده ، وسأله قائلا : يا حضرة الشيخ إن لى أربعين سؤالا هل يمكنك أن تجيبنى عليها بسؤال واحد ؟

فأجابه الشيخ بدون مبالاة : لننظر فى أسئلتك .

وبعد أن سرد عليه الأربعين سؤالا ، ووعاها الشيخ بأذنيه أجابه : « لا أدرى بها كلها » فأسكته .

---

٣٠٣ — إذا لم يحدد العكس فلا يتقرر الطرد

سألوه يوماً : أين أنفك ؟

فأراهم عقدة الحياة التى فى رقبته .

فقالوا له: ياشيخ أنت أجبت بالضد وأشرت إلى الجهة المقابلة.

فأجابهم: أرأيتم أنه لو لم يحدد العكس هل يتقرر الطرد ؟

٣٠٤ — لا معنى للعقاب بعد كسر الجرة

أعطى ابنته جرة ماء لتملأها، ثم صفعها بكفه قائلا: إياك أن تكسرى الجرة، فقال الذين رأوها تبكى وهى طفلة: ياشيخ أيجدر بك أن تضرب هذه البنية بغير حق وهى لم تذنب ؟

فأجابهم: إنى أريد أن أريها عاقبة كسر الجرة حتى تتنبه وإلا فلا معنى للعقاب بعد كسر الجرة.

٣٠٥ — فيه رأس جمل

أعطته زوجته حريراً مفتولا ليبيعه فى السوق، فأراد أهل الطمع أن يبتاعوه بثمن بخس، فعمدوا إلى الحيلة.

وأدرك جحا غايتهم فقال فى نفسه ماداموا كذلك فإنه يجدر بى أن أقابلهم على عملهم بنوعه. ثم أخذ رأس جمل كان مرمياً فى بعض المستنقعات وأحضره إلى البيت ولف الحرير عليه فصار كأنه مغزل كبير وأتى به إلى السوق فلما رآه التجار أعطاه به أحدهم ثمناً تافها، ففكر جحا وقال فى نفسه، هذا الثمن بنسبة الحرير يكون تماماً، وقال للمشترى: عد الثمن، فاشتبه المشترى بإعطاء كل هذا الملف الحريرى بهذه القيمة، وسأله: هل هذا الحرير شغل أهل بيتكم أم غيرهم ؟ وأخشى أن يكون فيه شىء ؟

فقال له جحا بكل جد : فيه رأس جمل ، فنقده المشترى الثمن وأخذه جحا فرحا بتفريج ضيقه وعندما فحص المشترى الحرير وحله من الملف رأى فيه رأساً كبيراً فأتى إلى جحا وقال له : أيليق بك أن تقول لى ليس فى هـذا الملف شىء ؟ وتغشنى ؟ !

فأجابه جحا ضاحكا : لو كنت تدفع الثمن الحقيقى لاستفدت أكثر من محاولتك أخذ الحرير منى بالحيلة بعد أن بذلت زوجتى نور عينيها بغزله ولكنك عبثت بى وأردت أن تخدعنى فقابلت الحيلة بمثلها ، على أنى لم أكذب عليك وقد قلت لك « فيه رأس جمل » واعترفت لك بالحيلة ، وأنت اشتريته على حاله .

٣٠٦ — ضع فوق الدينار ستة غروش ونصفاً

كان جالساً مع جماعة فى مجلس أصدقاء له ، فتقدم إليه رجل من معارفه قائلا : أرجو ياسيدى أن تصرف لى هذا الدينار .

وكان جحا محافظاً على وقاره مع الجماعة ، فأجابه : أهذا وقت ذلك ؟ وأراد الخلاص منه ، فضايقه الرجل وألح عليه متعللا باحتياجه لدراهم الدينار ، فأراد الشيخ عمل حيلة ، فقال له : هات الذهب لنراه .

فناوله إياه فتأمل فيه ملياً ووزنه ، ثم قال : لايمكن صرف هذا الدينار ياولدى لأنه ناقص .

فأجابه : يا سيدى الشيخ أنت اصرفه لى واقطع المقدار الناقص ، فإنى راض .

فتململ جحا بنفسه وقال له : إن هذا الدينار ناقص نقصاناً عظيما ، والخلاصة فإنى لا أصرفه .

فأخذ الرجل بيد جحا قائلا له : اعطنى بضعة غروش ثم أعيدها إليك وتعيد الدينار إلىّ وتكون أحسنت إلىّ كثيراً ، وأخذ يستعطفه .

فتصبب جحا عرقاً ، وخجل لخلو جيبه مما يطلب منه ، ثم أخذ يقلب الدينار بالهواء على كفه مدة وقال للرجل : ضع فوق هذا الدينار ستة غروش ونصفاً فيكون ديناراً تماماً وأصرفه لك .

---

٣٠٧ — الزواج بالنوم

رأى فى منامه أن بعض النساء من جاراته اجتمعن عليه وقلن له : لقد وجدنا لك زوجة مناسبة ، فهب جحا مذعوراً وأخذ يوقظ امرأته قائلا لها : قومى ياقليلة الغيرة فيالله ما أكسلك لأنك مع كونك نائمة بجانبى لست شاعرة بشىء فقد عمدت نساء الجيران أن يزوجننى رغماً عنى وتأتيك ضرة فقومى واطردى هذه النسوة أو أنت تعملين شغلك فلا تقولى إنه لم يقل لى .

---

٣٠٨ — ابحثى لها عن شاب

جاءته إحدى جاراته وقالت له : ياشيخى أنت تعلم أن ابنتى

معتوهة ، فأرجو أن تقرأ لها سورة أو تكتب لها حجاباً لأنها أحياناً تضربنى .

فقال لها الشيخ : أيتها السيدة ، إن قراءة رجل مسن مثلى لا تفيدها ، وإذا كنت تريدين إصلاحها فابحثى لها عن شاب ابن خمس وعشرين سنة أو ثلاثين فهو يكون زوجاً وشيخاً معاً ومتى جاءها أو لادفإنها تعقل و تصير ضعيفة كالشمع وعاقلة كالملائكة .

---

٣٠٩ — كيف كان ينام آباؤنا وأجدادنا تحته ؟

كان للشيخ المسكين وزوجته لحاف واحد فقط يتدثران به فى أيام الشتاء ويضيفان إليه الجبة ، وبينما كانت السماء تثلج فى إحدى الليالى قالت له امرأته : كأنى بك لا تكسب شيئاً حتى لا أراك تقدر على عمل لحاف آخر ، فلو كان عندنا لحافان لكننا نتغطى بهما وننام .

وأخذت تشكو الفقر والتعاسة ثم قالت : وفى إحدى الأيام كان والدى . . فقاطعها الشيخ قائلا : أنظرى فإنى تعب لم أنم فلا تقلقينى بكلامك الفارغ . ولكن كانت المرأة قد انطلق لسانها فلم تقدر على السكوت ، فقال لها : يا امرأتى أنا سآتى إليك بقطن كثير فاعملى ما شئت من الألحفة . وقام وفتق ملحفة اللحاف وأخذها على عاتقه ونزل إلى فسحة الدار ، وبدأ يملؤها ثلجاً فرأته امرأته من النافذة فقالت : كأنك تريد أن تمرض

نفسك أيضاً باللعب فى الثلج فى هذه الليلة الباردة وتجلب لى بلاء على رأسى ؟

فقال لها : أريد أن آتيك بالقطن النازل من السماء مجاناً .

فقالت : أو هل سمعت أن الثلج يدفىء الانسان ؟

فقال لها : إذا كان لايدفىء فكيف كان ينام أباؤنا وأجدادنا تحته بكل راحة ويدفئون ؟

---

٣١٠ — مامعنى «أبجد»

نزل الشيخ ضيفاً فى إحدى القرى عند بعض أهلها فكان طعامه يخنة الكوسا كل يوم ، فعاف الشيخ تناول هذا الطعام وصبر إلى أن جلس للوعظ يوماً فى المسجد فقال : أيها الناس هل تعرفون معانى أبجد ؟ فأنا أريد أن أشرحها لكم (أبجد) أى شد أذن الفلاح شداً (هوز) لأنهم لايكرمون ضيوف الوعظ (حطى) كل يوم يقول حطى للشيخ يخنة كوسا (كلمن) أنا لا أتحمل هذا الكلام (سعفص) هذه المعاملة لا يشير بها كتاب ولا نص (قرشت) لا لحم فى صحن شيخكم بهذا الوقت (ضظغ) افعل هذا وروح للآخرة بزاد واولغ .

فتألم القروى عند سماعه وعظ الشيخ وتعريضه به وقال : عفواً ياسيدى الشيخ فنحن ما كنا لنعرف فضيلة إكرام الضيف .

واعتذر له وأخذ يطعمه لحم الغنم والدجاج المحمر وما ماثله .

٣١١ — دعنى أبكى

مرضت امرأته ، فكان كلما عاد من شغله يومياً يأتى إليها ويبكى فوق رأسها .

فقالت له إحدى جاراته : لا تبتئس فلا بأس عليها إن شاء الله ستتعافى قريباً .

فقال : أيتها السيدة إنى رجل ذو شغل وأذهب صباحاً إلى القرية أو لشغل آخر ، فما دمت الآن لا شغل لى فدعينى أبكى إذ لا يمكننى البكاء بعد ذلك وليس لها من يبكيها غيرى .

---

٣١٢ — عاتكة بن نصر الدين

ولد للشيخ غلام فقالت له النساء : ضع له اسماً .

فبعد أن أذن فى أذنيه قال له : « يا عاتكة بن نصر الدين »

فتقدمت إليه امرأة مسنة وقالت له : إن أمرك عجيب فلا تترك المزاح دقيقة ، لقد قلنا لك أن تضع لهذا المولود اسماً . فقال لها : لقد سميته .

فقالت المرأة : أتسمى الذكر باسم الأنثى ؟ ألم نقل لك أنه غلام ؟ فقال لها : أنا أعلم أنه غير أنثى ولكن هل يؤثر اسم الأنثى فى ذكورة الغلام ؟ وإن أردت الحقيقة فإنى جعلت ذلك تذكاراً لزوجتى حتى إذا ماتت فكلما صحت للغلام ياعاتكة تذكرت اسم زوجتى التى أحبها .

٣١٣— إذا كانت القراءة والكتابة بالقاووق فاقرأ أنت سطرين

ورد على أحد العامة من أهل أذربيجان كتاب بالفارسية فصادف الشيخ فى طريقه وقال: اقرأ لى هـــذا المكتوب وأفهمنى معناه.

فأخذ الشيخ الكتاب بيده، ولما رآه فارسى العبارة قال له: ليقرأه لك غيرى. وأراد أن يعيده إليه.

فأصر العجمى على الشيخ، فلما رأى الشيخ ذلك قال للعجمى إن أفكارى مضطربة لكونى تشاجرت مع امرأتى لا سيما وأن هذه الكتابة لو كانت تركية لما كنت أقدر على قراءتها بهذا الخط.

فغضب الإيرانى وقال: أيها الشيخ إذا كنت لا تعرف الفارسية ولا القراءة فلماذا تضع على رأسك هـذا القاووق الذى يحـــاكى الغربال وتتعمم بهذه العمامة التى توازى حجر الطاحون وتجعل نفسك فى ميدان الشيوخ؟

فغضب الشيخ ورمى بقاووقه وجبته إلى الأرض أمامه وقال له: إذا كانت القراءة والكتابة منحصرة بالقـاووق والجبة فالبسهما أنت واقرأ لى أنت سطرين من هذا الكتاب لأرى.

---

٣١٤ — قلبوا البئر حتى يجف

كان يوماً فى مدينة «أفيون قره حصار» وكان قد حضر إليها رجل إيرانى فاجتمع به ورافقه فى تجواله وفى أثناء الصحبة رأى

الإيرانى تلة سوداء مرتفعة عن البلد فأراها للشيخ وسأله: ماهذا؟

فأجابه الشيخ : هذا بئر البستان .

فقال الإيرانى : كيف يكون البئر على وجه الأرض مرتفعاً؟
فأجابه الشيخ : لقد نظفوه وقلبوا باطنه إلى ظاهره حتى جف .

---

٣١٥ — ترحيب بلدنا بعد الشراب

عند ما حضر تيمور لنك إلى مدينة « آق شهر » أوجس علماؤها وأهلها خيفة من ظلمه ، ولما دعاهم إليه كان الشيخ فى جملتهم طبعاً ، فأخذ تيمورلنك يحادث الوجوه إيناساً لهم وأمر لهم بمرطبات ، وشرب تيمور ، وكان حاكم البلدة حاضراً ، فمن شدة خوفه من تيمور لنك قال له بعد أن أتم الشراب : « مرحباً » بدل هنيئاً ، ولكنه انتبه إلى خطئه فحار فى هذه الكلمة التى قالها بغير أوانها فى أول جلسة جلسها مع تيمور . وأخذ تيمور لنك يصعد بصره فيه ويحدجه ، وخيفة أن يتفوه بكلمة غير مناسبة أو لأجل ستر جهله ، نهض الشيخ ووجه الكلام إلى تيمور قائلا : يا سيدى جرت العادة عندنا أن يكون الترحيب فى بلدنا بعد شرب المرطبات .

---

٣١٦ — الأئمة لم يعتادوا كلمة هات بل كلمة خذ

كان الشيخ مع بعض أصدقائه يتنزهون فى البرية وبعد الطعام

قام كل منهم يغسل يده فى الحوض الكبير فبالقضاء والقدر زلقت رجل إمام المحلة ووقع فى الحوض رأساً على عقب ، فتسابق الحاضرون لنشله قائلين : « هات يدك » فما كان يعطيهم يده . وعند ما رآهم الشيخ كذلك صاح بهم : ابعدوا من هنا فأنتم لا تعرفون طريقة تخليصه فالرجل يكاد يختنق بالماء ولا يسمع كلامكم ، لأن صنف الأئمة لم يعتادوا كلمة هات بل كلمة خذ ، فانظروا كيف أنى أنقذه سريعاً .

ثم تقدم إلى الإمام وقال له : يا بكر افندى خذ يدى ، وحالا قال له الإمام : الله يرضى عليك يا أخى . وأمسك بعضده فخرج به إلى ساحل السلامة .

---

٣١٧ — غداً يخرج صوتها

كان ذات ليلة راكباً مع تلميذه عائدين إلى داره ، فرأيا لصوصاً يلعبون بقفل الباب ، فخشى إذا عارضهم أن يقع فى هلكة ، فلم ينبس ببنت شفة بل انسحب جانباً ، وكانوا قد تألبوا على الباب يعالجونه .

فسأل حماد شيخه قائلا : ماذا يصنع هؤلاء ؟

فقال له : يضربون على الرباب .

فقال حماد : ولماذا لا يخرج صوتها ؟

فقال : غداً يخرج صوتها .

٣١٨ — حساب مضبوط

كان ماراً أمام دكان بائع خضار ، فطالبه بدين ، فقال الشيخ : لننظر فى الدفتر ونعلم مقدار الدين لنتخلص من الطلب. فأخذ الخضرى يقلب الدفتر والشيخ ينظر إليه فرأى اسمه وكانت بينه وبين الخضرى معاملة بمئات من القروش لم يبق للخضرى منها سوى ٣١ غرشاً ووجد فى الصفحة المقابلة لصفحته أن على إمام المحلة ٢٦ غرشاً فقال للخضرى : أنظر يا ابنى فإنى مدين لك بواحد وثلاثين غرشاً والإمام بستة وعشرين غرشاً وليس بينى وبينه كلفة فأسقط ٢٦ غرشاً فيبقى خمسة قروش ، فإذا أعطيتنى إياها تكون أتممت الحساب معاً .

ففكر الخضرى وهان عليه أن ينظف حسابين طال عليهما الأمد ففرح وناول الشيخ خمسة قروش وهو يبتسم سروراً ، فأخذها الشيخ وذهب ، ولكن الخضرى عند ما بقى وحده فكر فى هذه الحيلة الحسابية فلم يفقه كيف يخرج من ورطتها .

---

٣١٩ — إذا كنتم كباراً فنحن صغار

دخل الشيخ ذات يوم مجلس تيمور لنك ، وتقدم ببعض مطالب باسم البلدة بكل جرأة ، ورجا بعض تكاليف شديدة لا تطاق ، فغضب تيمورلنك حتى تطاير الشرر من عينيه وقال الشيخ : بأية صفة تطلب هذه المطالب العظيمة ؟ فمن أنت وأنا

ملك الدنيا بأسرها وأكبر كبير مسعود فيها ؟

فأجابه الشيخ : إذا كنتم كباراً فنحن صغار .

---

٣٢٠ — بالجهد تهضم معدتي هــذا

استحضر تيمور لنك ذات يوم حاكم مدينة « آق شهر » لمصادرة أمواله ، بحجة أنه اختلس من الأموال الأميرية مبالغ طائلة ، فأبرز الرجل حساباته المكتوبة على أوراق صفيقة كانت تستعمل فى ذلك الزمان فيأتى بها من بلاد الإفرنج تدعى « على قورنا » فما كان من تيمورلنك إلا أن أمزقها وأجبر الحاكم على بلعها وازدرادها ، ثم صادره حتى جعله مفلساً عارياً لا يملك دانقاً ، واستحضر الشيخ وأمره أن يجعل الأموال الأميرية تحت نظارته وذلك لما اتصف به من الاستقامة ، فتعلل الشيخ واعتذر فلم يقبل منه .

وفى آخر الشهر طلب منه الدفاتر الحسابية فأحضرها ، وكانت مرقومة على رقاق من خبز ، فلما رآه تيمورلنك تبسم تبسما سامًا وقال : ما هذا أيها الشيخ ؟

فأجابه : يا سيدى أليس أنك تأمرنى فى نهاية الأمر ببلعها وأنا لست رجلا عظيم الشهوة كسلفى بل إننى طاعن فى السن ، وبالجهد تهضم معدتى هذا الورق

٣٢١ — لا تؤاخذه فقد خاف من أصوات المدافع

كان تيمورلنك وأشراف بلدة «آق شهر» وأمراءه وعساكره جالسين ذات يوم فى مجلس يتحادثون ، فقام أحد المجاهدين العثمانيين وأخذ يقول : لقد أطلقنا فى حرب كذا ، كذا وكذا مدفعاً ، وحاربنا كذا وكذا وقعة ، ولحقنا الأعداء على الصورة الفلانية ، وفتحنا البلغار هكذا ، وكسرنا الصليبيين فى نيكبولى هكذا ، وأخذ يعدد المآثر العثمانية ومفاخرها وانتصاراتها .

فقام أحد أمراء تيمور وقد تألم من هذه الأقوال وقال : كان لدينا فى حرب أنقرة كذا خيلا وكان لدينا كذا مدفعاً (مع أنه لم يكن فى جيش تيمور مدافع) فكانت قذائفها ترعد وتبرق وقد صار العثمانيون يرتجفون منا ، ولما وصل إلى هذه الكلمة إذا بولد صغير كان حاضراً فى المجلس قد أفلت ريحاً قوية رن صداها ، فحار المتكلم فى أمره وقال : ما هذا ؟

فكانت فرصة للشيخ الذى كاد أن يغمى عليه من هذا الحديث المزعج ، فقال : لا تؤاخذه يا سيدى فإن هذا الطفل خاف من ذكر أصوات المدافع .

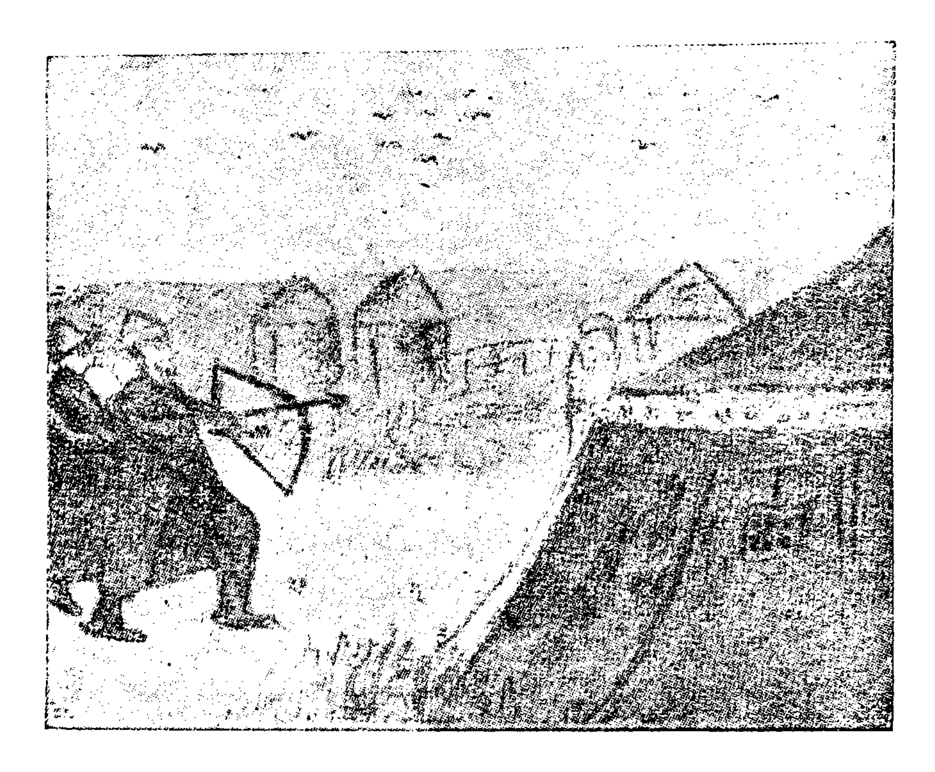
---

٣٢٢ — هكذا يرمى الشيخ

استصحبه تيمورلنك معه فى أيام الربيع ليحضر تعليم الجند رمى القوس والنشاب ، وفى أثناء الحديث قال الشيخ : إنى قد

مارست رمى القوس والنشاب قليلا ، فأمره تيمور أن يرمى هو أيضاً ما دام الأمر كذلك .

فاعتذر الشيخ ، فلم يقبل منه ، بل أجبره على الرمى ، فأخذ القوس ورمى الهدف فما أصابه ، فقـــال هكذا يرمى رئيس



(جحا يرمى بالنشاب)

السكبان ، ثم رمى آخر فأخطأ فقال هكذا يرمى الحاكم عندنا ، ثم رمى الثالث فأصاب الهدف تماماً فقال مفتخراً : هكذا يرمى الشيخ نصر الدين ! فنال من تيمور لنك الإنعام العظيم .

٣٢٣— لم يصبه أذى خارجى وإنما أصابه أذى داخلى

طلب تيمور لنك أحد أبطال الأتراك العثمانيين ليستخدمه بمعيته فى منصب كبير، وكان من الصعب أن يرضى أحد بالقرب منه لأنه يكون فى كل وقت تحت القضاء، عرضة للسخط بعد الرضاء، لذلك لم يجرؤ أحد على التقدم ولم يمكنهم أن يقولوا أنه لا يوجد رجل يصلح لخدمته، فراجعوا جحا فى أمرهم لأنهم كانوا يسمونه (منقذ الأرواح) وقالوا له إنك ممن يحبه تيمورلنك محبة حقيقية فى هذه البلدة، وقد تعلمت أطواره ويمكنك القيام بهذه المهمة، فنرجو أن تتولى أنت ذلك المنصب وتكون فى معيته مدة قصيرة بينما نرى من يمكن أن يقبلها.

وكان الشيخ صافى النية، رقيق القلب، وفى الوقت نفسه كان ذا حمية وطنية عظيمة فقبل رجاءهم ووعدهم بقبول اقتراحهم. وعرضوا الأمر على تيمور لنك فرضى به، إلا أنه أراد أن يقوم بتجربة ظاهرية يمتحن بها ثبات جأشه، وأمر بذلك. فأقاموا جحا واقفاً فى الميدان بحضرة تيمورلنك فرمى أحد الرماة نشابة جعلها تمر من بين رجلى الشيخ الذى خاف طبعاً، وإنما لم ينبس ببنت شفة، وقرأ كل ما يحفظه من دعوات الاعتصام ثم أمر آخر أن يرمى قوسه ويصيب كم جبة الشيخ الشمالى تماماً

و يثقبه ففعل و أصبح جحا فى حال عجيب من الخوف ، ثم أمر أن يرميه ثالثة بنشاب يصيب قلنسوته تماماً ففعل وثقب الزر .



(جحا والرامى وتيمورلنك)

فعندها خاف جحا خوفاً عظيما ، ولـكنه وقف جامداً كالعمود لا يتحرك ، ولما لم يصبه أذى بشروه بالنجاة ، فثاب إليه رشده ، ولم يظهر تعبه أو خوفه ، وأخذ يضحك ضحكا عالياً وأعجب السلطان بجرأته وأنعم عليه بعطايا وافرة وأمر أن يعطوه جبة وقاووقاً جديدين ، فشكر له هذه النعم ، وقال أخيراً : أرجو أن تأمروا لى بسروال أيضاً ليكمل فوج الثياب تماماً

فقال تيمور : لقد أبلغونا أنه لم يصب سروالك بضرر وقد عاينوه فلم يروا شيئاً .

فقال جحا : أجل يا سيدى كلامك حق ، فإن السروال لم يصبه ضرر خارجى من رماتكم ، ولكنه أصيب بأضرار عظيمة منى فى داخله فلم يبق فيه مكان يمكن إمساكه منه .

---

٣٢٤ — أرجو أن تتنهد لأجلى مرة

كان له جار فى « آق شهر » من أبطال الفرسان ، وكان عندما يحضر إلى داره فى المساء يتنهد تنهيداً عميقاً فى الدور الأسفل ثم يتنهد الثانية فى الدور الثانى ، ثم يتنهد الثالثة فى الغرفة التى يقيم فيها ، فانتبه جحا إلى تنهده المتواصل ، فسأله عن سبب ذلك فقال له : اتبعنى لتفهم ما تريد استيضاحه .

وأخذ بيد جحا إلى الاصطبل وكان هناك حصان عظيم المنظر قوى الشكيمة فقال : أنظر إلى هذا الجواد الفائق الوصف فإنى فى واقعة « نيكبولى » الكبرى تقدمت به أمام الفرسان ، وقمنا بحركة التفاف هزمنا بها الصليبيين وكنت أنا السبب ، ثم عاد متنهداً فخوراً وجحا معه ، فصعد الدور الأول وأراه فى فسحة الدار أنواعاً من الأسلحة وقال له : إن هذه الأسلحة أتى بها أجدادى من تركستان ، فهى تلك الأسلحة التى استعملوها فى فتوحات الروم فى ايلى وادرنه والصرب والبلغار وملحمة قوصوه

الكبرى ، ومنها ما استعملته أنا فى ملحمة نيكبولى عند لحاقى بالصربيين ، ومنها أسلحة غنمتها من الصليبيين أيضاً فهى تذكار أبدى لأحفادى وهى أغلى ما لدىّ من الآثار ذات القيمة .

ومن سروره صعد متنهداً أيضاً وجحا مصغ إليه بكل اهتمام حتى بلغ الدور الأعلى ، فنادى الفارس زوجته فغطت رأسها وحضرت فأمرها بتقبيل يد الشيخ فرأى جحا وجهاً كالبدر فقال له جاره : إن هذه المرأة هى من حظايا السلطان يلديرم بيازيد ، وهى من أقارب الأميرة ماريجة قريبة أمير الصرب ، وعند ما أتيت بها إلى السلطان رآتنى فأعجبتها وسمعت برجولتى فمالت إلىّ وبكت طويلا من أجلى وأخيراً علمت الأميرة ماريجة بذلك فعقدوا لى عليها ، وأما علمها وفضلها ودرايتها وترتيبها وما هى عليه من محاسن فعظيم ، ثم تنهد تنهداً من أعماق قلبه .

فعند ما سمع جحا ذلك قال له : الحق معك بكل ما تقوم به ولكنى أرجو أن تتنهد لأجلى مرة واحدة .

---

٣٢٥ — ياأمة محمد هلموا إلى صلاة الجنازة

عندما استولى تيمور لنك على بلاد الروم « الأناضول » وأخذ المغوليون مدينة « آق شهر » هاجر سكان البلاد فراراً من مظالمهم والتجأوا إلى القرى والصحارى واعتصموا بالجبال خوفاً ووجلا وكان الشيخ فى جملتهم فأركب امرأته وولده على

حمـــار له وقصد قرية صعبة المرتقى . وفيما هو وأهالى البلدة يجتمعون أمام بحيرة ماء أخذوا يذكرون مظالم المغول وطباعهم الوحشية واشترك معهم الشيخ فى الحديث فأخذ يعدد ماسيصيب الظالمين من العقاب فى الآخرة ويؤيد كلامه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وبينماهم يتحاورون بذلك ، كان يسمعهم خفيةدرويش مهيب الشكل، أسمراللون، أقنى الأنف طويل الوجه خفيف اللحية ، أسود العينين ، ذونظر حاد ، وهو لابس تاجاً أسود وقد سترت ذوائبه حاجبيه وارتدى عباءة ، وفى يده كشكول . . فتقدم بينهم كالمدفع وقال : كلا أيها الشيخ فإن ماقرأته من الآيات والأحاديث لاريب فيه ولكن سيف النقمة الإلهية والعدالة الربانية لايتسلط على من ذكرت وإنما يسلطه الله على أمثالكم ممن نزعت حميتهم واختلط عرقهم بالعروق المنحطة فأصبحوا لاهمة ولاغيرة لهم ولااتفاق ولااتحاد بينهم.

فلما سمعوا هذا الكلام بذلك الصوت المرعب ، والتعريض المدهش حار القرويون وقد أغمى على كثير منهم ، وبقى البعض كالخشب المسندة لايدرون أين يذهبون ولا ماذا يصنعون .

ونظر الشيخ إلى ذلك الدرويش من رأسه إلى قدمه ، فكاد عقله يطير من رأسه ، وقال فى نفسه : عجباً من هذا ومن أين أتى ؟ ومن حيرته قال بجرأة للدرويش : من أى بلاد أنت ؟ وما اسمك المبارك ؟

فقال الدرويش بصوت مرعب : أنا داهية ما وراء النهر واسمي تيمور . . !

وما أتم كلامه حتى بلغت الحيرة من الشيخ مبلغاً عظيما ، وأضاع صوابه ، فقال له : وهل لاسمك خان مان؟

فزأر بغضب : أجل !

فالتفت الشيخ حينئذ إلى القرويين وقال لهم : يا أمة محمد على نية الرجل هلموا إلى صلاة الجنازة .

---

٢٣٦ — كنت أقصد أن ألفق بين الطول والعرض

جاء إلى آق شهر ، رجل فارسي وأخذ يصف قصور الشاه التي في أصفهان وأن كلا منها يحوى مائة وخمسين غرفة ومساحتها كذا ألف ذراع مربع ، ويبالغ بذلك .

فقال له الشيخ : وعندنا في عاصمتنا بروسة كثير من القصور حتى أن حمام بروسة الطبيعي الذي أنشيء حديثاً مساحته خمسة آلاف ذراع .. وإذا بفارسي آخر قد دخل المجلس وكان آتياً من بروسة حديثاً ، فاستمر الشيخ في حديثه فقال : وعرضه خمسون ذراعاً . . فقال الفارسي : لكنك لم تجعل الطول يناسب العرض ، فقال الشيخ : أنا كنت أقصد أن ألفق بين الطول والعرض ولكن جاء هذا الرجل في زمن غير مناسب .

٣٢٧— أنا لم آخذ السروال حتى أدفع ثمنه

ذهب الشيخ لأشغال له فى بروسة ، وسـام قطعة جوخ ليعملها سروالا ، بخمسة عشر قرشاً . وعندما طواها البائع وأراد جحا دفع ثمنها ، فكر فى أن سرواله جديداً لا بأس فيه وإنما إذا أخذ جبة أولى له ، فقال لبائع الجوخ : كنت أقصد أخذ سروال فعدلت . والآن اعطنى عوضاً عنه جبة بخمسة عشر قرشاً .

فقال له الرجل : حسناً . وناوله جبة فأخذها وسار .

فقال له الرجل : ياشيخنا لم تعطنى الثمن .

فأجابه الشيخ : عجباً أو ما تركت لك بدلا عنها السروال؟!

فقال الرجل : ياسيدى إنك لم تعطنى ثمن السروال .

فأظهر الشيخ حيرة عظيمة وقال : سبحان الله ما أعجب البروسيين فأنا لم اخذ السروال حتى أدفع ثمنه !

---

٣٢٨ — ياليتكم لم تعلموا بهذه فانها لاتقرأ للتسلية

خلع الشيخ ثيابه ليستحم فى بحيرة « آق شهر » فسقط من جيبه مجموعة مخطوطة ، فأسرع رفاقه واختطفوها وقلبوا أوراقها بكل اهتمام فوجدوها تشتمل على عبارات بحق غسل الميت وتلقينه ودفنه وما ماثل ذلك .

وبعد أن لبس الشيخ ثيابه ، سالهم عن المجموعة وقال : ياليتكم لم تعلموا بهذه فانها لا تقرأ لتسلية القلب الحزين .

٣٢٩ — لو لم يقدم الزارع حنطة لمات السلطان جوعا

سأله يوماً شيخ القرية وكان ضيفاً عليه قائلا : السلطان أكبر أم الزارع ؟

فأجابه الشيخ: طبعاً الزارع أكبر ، لأنه لو لم يقدم حنطة لمات السلطان جوعاً !

---

٣٣٠ — ما هو طريق الموت ؟

سألوه يوماً : كيف طريق موت ابن آدم ؟

فقال : عند ما يقول العارفون فليسمع السامعون بآذان قلبهم وإذا كان القائل سامعاً فليع أيضاً الكلام بأذن نفسه .

---

٣٣١ — أين الحق

قالوا لجحا : أين مكان الحق ؟

فقال : هل من مكان يخلو من وجود الحق حتى يعين موقعه .

---

٣٣٢ — خلاصة الطب

قال الشيخ يوماً : إن خلاصة الطب أن تدفىء رجليك ، وتبرد رأسك ، وتعتني بطعامك ، ولا تفكر طويلا فيما يهمك.

---

٣٣٣ — ضيف الله يذهب لبيت الله

كان أحد القرويين قد قل حياؤه وتجرد من فضائل الأخلاق فلا يتعاطى شغلا وإنما جعل التسول دأبه ، فلا يذهب من دار

أتى إليها ما لم يأخذ شيئاً ، وكان يطلب من بعضهم ثياباً ومن البعض طعاماً ، ولا يتألم إذا طردوه أو أشبعوه ضرباً وقد تسلط على الشيخ وأزعجه مراراً عديدة .

وفى أحد الأيام قصد ذلك القروى دار الشيخ وضرب الباب فسألته امرأة الشيخ : من أنت ؟

فقال : لى شغل مع الأفندى .

فنزل الشيخ ، ولما رأى ذلك الرجل سأله : ماذا تريد ؟

فقال : أنا ضيف الله .

فقال له جحا : الحقنى إذاً ، فلحقه إلى أن وصل إلى أمام باب الجامع الشريف ، فعندها قال له جحا : لقد جئت إلينا غلطاً فإن هذا هو بيت الله يا ضيف الله . .

---

٣٣٤ — هذه الملابس رزقه

ذهب الشيخ وهو طالب علم ، للوعظ فى إحدى القرى ، وكان كلما وصل إلى قرية اعتذر أهلها قائلين: لقد شرفتنا ولكن عندنا إمام فى رمضان ، ولا يقبلونه . وهكذا طاف قرى متعددة وأخيراً وصل إلى قرية كان قد تسلط عليها ذئب فلم يبق فيها دجاجا ولا ديكا روميا ، حتى أنه اختطف أحذية بعض الأهلين وأضر بهم ضرراً عظيما. فنصبوا له فخاً وبكل حيلة ووسيلة أمكنهم القبض عليه حياً وقد اجتمع أهل القرية يتذاكرون فى كيفية قتله

فتقدم جحا إليهم ولما سألهم قالوا له : ياسيدنا الشيخ ، إن هذا الثعلب الملعون قد تسلط علينا ولم يبق فى دواجننا ولم يذر ، وقد حمدنا الله تعالى لوقوعه فى الشرك الذى نصبناه له ، ونحن نبحث فى كيفية الانتقام منه . فقال لهم فى الحال : تنحوا أنتم ودعوا لى المسألة .

فقال القرويون فيما بينهم إنه رجل ذو فروة ، ولابد من أن يكون أعلم منا ، فتنحوا ووجهوا أنظارهم إليه . وأسرع جحا فخلع جبته وزناره وألبسهما الثعلب وربط الجبة فى وسطه ربطاً محكماً وأطلقه فى البرية ، فصاح القرويون : ماذا صنعت ؟ وقاموا يريدون القبض على الثعلب . فاعترضهم جحا ومنعهم قائلا : اصغوا إلىّ ، فانى قد فعلت معه فعلة لا تخطر فى بال أحد ، فهذه الملابس ستكون سبباً فى قطع رزقه فلا يؤويه ولا يطعمه ولا يشفق عليه إنسان .

---

٢٣٥ — كيف أصعد إليك وأمدك ؟

ذهب يوماً من بلدته سيورى حصار إلى مدينة آق شهر، فى صباه ،فسمع المؤذن يؤذن فى المنارة فظنه يستغيث به فناداه من تحت: ماذا أصنع لك ياعم فقد رقيت شجرة عالية لاغصن لها فكيف يمكننى أن أصعد وأمدك ؟

٣٣٦ — قف هنــا وأنا أريك كيف أغشك

سمع جحا غلاماً يدعى أنه لا يقدر أحد أن يخدعه أو يغشه فقال له : قف ها هنا وانتظرنى فبعد قليل أريك كيف أغشك. وتركه وذهب .

فانتظر الغلام عدة ساعات ولم ير أثراً لجحا فضجر من وقوفه وأخذ يتململ ، فمر به أحد أصحابه ، وقال له : لماذا أنت واقف هنا ؟ فحدثه بما كان . فضحك صاحبه وقال له : يالك من أحمق ،فها قد غشك وانطلت عليك الحيلة .

---

٣٣٧ — إنها قراب فأس

كان جحا فى طفولته يلعب مع الأولاد فى مكان خرب من البلدة فوجد رفاقه فردة حذاء ، فأخذوا يقلبونها ليعلموا ما هى فلم يقدروا أن يشبهوها بشىء ، فحملوها إلى جحا وأروه إياها ، فضحك وقال : يالـكم من أغبياء ألا تعلمون أن هذا قراب فأس؟

---

٣٣٨ — أنقل دارك إلى المزرعة

شكا إليه رجل أن داره لا ترى الشمس .

فقال له جحا : ومزرعتك ألا ترى الشمس ؟

فأجابه : أجل تراها .

فقال : وعلى ذلك فانقل دارك إلى المزرعة .

٢٣٩ — سأريكم كيف أعيد رجل كل منكم إلي صاحبها

كان جمع من الأطفال جالسين على شاطىء نهر وقد أدلوا أرجلهم فى الماء ، وهم يقولون فيما بينهم أين أرجلنا ؟ وأحدهم يقول : هذه رجل حسن ، والثانى يقول : بل هى رجل حسين .



(جحا والأولاد أمام النهر)

وأخذوا يتجادلون ويضجون ، فمر جحا بهم وسمع صراخهم فقال لهم : انتظروا قليلا فسأريكم كيف أعيد رجل كل واحد منكم إلى صاحبها فلا تضجوا ، وأخذ عصاه فأدخلها فى الماء وضرب أرجلهم بشدة فأسرعوا فى الحال وأخرجوا أرجلهم من الماء وعلم كل واحد رجله .

٣٤٠ — ابتعته من سوق الحذائين

دعى جحا إلى عرس ، وعند ما دخل الدار لم يستقبله أحد ولم يجد هناك من يحفظ حذاءه ، فقد اختلط الحابل بالنابل ولئلا يسرق حذاءه أخرج منديلا من جيبه ولفه به لفاً محكما وجعله فى عبه ، ودخل غرفة الاجتماع ، فجلس فى المكان الذى دلوه عليه فرأى أحد الجالسين بجانبه أن عبه منتفخ وقد ظهر طرف المنديل.

فقال له : هل هذا الذى فى عبك يا سيدى كتاب نادر ؟

فقال الشيخ : نعم .

فقال له الرجل : عن أى شىء يبحث هذا الكتاب ؟

فقال : فى علم الاقتصاد .

فقال الرجل : هل ابتعته من سوق الكتبيين ؟

فأجابه : كلا ، وإنما ابتعته من سوق الحذائين !

---

٣٤١ — واحدة بواحدة

وضع كرم فى ميدان البيع بمدينة آق شهر ، فظهر له بضعة طالبين ، واقترب أحدهم من الشيخ راجياً منه أن يبتاع له ذلك الكرم بثمن مناسب ، فذهب جحا إلى صاحب الكرم وساومه فاتفق معه على الثمن ، وجاء المشترى وسأل جحا عما تم ، فأجابه لقد انتهى كل شىء بعد مشقة عظيمة . وحصل الأمر فوق ما تؤمل وأجريت ما أمرت به تماماً إكراماً لك .

فما كان من الرجل إلا أن شكر جحا شكراً جزيلا ، وعاد جحا إلى الكلام فقال : وإن لى حاجة يسيرة لا أظنك تخالفنى فى الرضا بها والمساعدة عليها .

فقال الرجل: ماهى تلك الحاجة فإنى مستعد لكل مايسرك ؟

فقال جحا : لقد سعيت بكل طاقتى حتى أقنعت بائع الكرم بهذا الثمن التافه ورأيت أن لا تفوتنى الفرصة فاشتريت الكرم لحسابى ، فأرجو أن تجمل موافقتك لى على شرائه مقابل خدمتى لك فى إقناع صاحبه ، فتكون واحدة بواحدة .

---

٣٤٢ — إذا كان إمامه تيمور لنك فنبيه جنكيز

سأل يوماً أحد جماعة تيمور لنك : ما مذهبك ؟

فأجابه الرجل بعد أن وضع يده على صدره متواضعاً متذللا « الأمير تيمور كوركان » .

فقال بعض الحاضرين : اسأله يا سيدى من نبيه ؟

فقال جحا : لماذا أسأله ، فإذا كان إمامه المعتقد تيمور الأعرج فبالطبع يكون نبيه جنكيز السفاك .

---

٣٤٣ — يا ابن أخى مهرت أكثر منى

علم أعيان مدينة « آق شهر » بفضل الشيخ وكماله ، فأقاموه معلم مدرسة لأولادهم حتى يكتسبوا من معارفه ، وأرسلوا أولادهم إليه .

وفى ذات يوم عاد ابن أحد الأشراف إلى بيته فاختبره والده بالدروس التى يتلقاها فأجاب أجوبة حسنة أعجبت والده وسر لها سروراً عظيما ، ومن شدة سروره أرسل مع خادمه صدر بقلاوة هدية للشيخ .

ووصل الصدر فى وقت الدرس والشيخ عازم على أن يذهب لحضور جنازة ، فقال للتلاميذ المتقدمين فى المدرسة : إنى سأضع هذا الصدر على الرف وإياكم أن تذوقوه لأن إرساله إلىّ لم يرق لدىّ ، ولست آمناً من عداوة مرسله ، فربما يكون قد وضع لى فيه شيئاً مهلكا ، فأخشى أن تتسمموا وتموتوا وأكون مسؤولا فاوضع فى غيابة السجن .

ولما اعتقد أن كلامه أثر فى نفوسهم ذهب إلى الجنازة . . وكان ابن أخى الشيخ عريفاً فى المدرسة على الأولاد ، فعلم أن هذا الكلام دسيسة يقصد منها عمه أن لا يأكل صدر البقلاوة . فاغتنم فرصة غيابه وأنزل الصدر عن الرف وجمع حوله الأولاد الذين يميل إليهم ودعاهم أن يأكلوا معه ، فقال الأطفال ألم تسمع قول الشيخ أن هذه البقلاوة مسمومة فنحن لا نأكل ولا نريد أن نموت هذه الميتة الشنيعة ، فقال لهم العريف : كلام الشيخ خدعة لكم ، أنا سآكل فلا تلومونى فيما بعد .

فقال الأولاد : نعم نأكل ولكن بماذا نعتذر للشيخ

فقال لهم : أنتم تعرفوننى وقد هيأت له كلاماً مسكتاً ، فهلموا لنأ كل . واتفق الأولاد بعد أن أمنوا جانب جحا ، وأكلوا صدر البقلاوة بتمامه ، ولم يبقوا منه شيئاً ومسحوه بألسنتهم مسحاً بين ضحك ولعب .



(الأولاد يأكلون البقلاوة)

وبعدما انتهوا من ذلك جلس العريف فى مكان جحا وكسر مبراته ، وإذا به داخل فعندما رأى مبراته قد كسرت غضب وقال : من كسر هذه؟

فأشار جميع الأولاد إلى ابن أخيه .

فسأله جحا : لماذا كسرت المبراة؟ فسأكسر عظمك .

فأخذ الولد المحتـــال يبكى ويصخب وقال وهو يشهق :
انكسر قلبى فأردت بريه فانكسرت المراة فغضبت لما أصابنى وقلت بأى وجه أقابل عمى ؟ وبماذا أجيبه ؟ وهو إذا حضر سيضربنى ويكسر عظمى ، ففضلت الموت على هذا العذاب وفكرت فى وسيلة أموت بها وقد أردت أن لا ألوث بئر المدرسة وأخيراً خطر فى بالى أن آكل من صدر البقلاوة الذى على الرف ، فتشهدت وطلبت السماح من رفقائى ، ومن والدى وأختى ، وتلك البائسة أمى ، وأغمضت عينى وازدردت قطعة من البقلاوة وانتظرت الموت إلا أننى مع الأسف ولسوء حظى لم أمت !

فلما سمع جحا أقوال ابن أخيه كاد يتميز غيظاً لذهاب البقلاوة وانكسار المراة ولكنه تجلد وقال :

— إنى أجد لكل سؤال جواباً ولكل لفظ مقـــابلا ولكنك يا ابن أخى مهرت أكثر منى ، فالظاهر أن سلالتنا اكتسبت حقاً بهذه الحيل .

---

٣٧٤ — ستجازى بعد أربعين ٤٠ يوماً

تسلط أحد العوام على جحا وأخذ يؤذيه حتى أنه فى أحد الأيام كسر عصا جحا المصنوعة من خشب اللوز وكان يحملها منذ سبعة وعشرين عاماً ، فانكسر خاطر جحا ، وتألم على فقد عصاه ، فدعا عليه قائلا : أسأل الله أن يكسر رجلك كما كسرت عصاى ، وسيرى أثر ذلك قريباً ولاأدرى أبغد ٤٠ يوماً أم ٤٠

أسبوعاً أم ٤٠ عاماً فالله سبحانه وتعالى بجازيك وهو المنتقم .

فضحك الرجل من عمل جحا وقوله ، وتركه ، وما سار قليلا حتى زلقت رجله وانكب على وجهه وكسرت ساقه فخاف خوفاً عظيما وزحف قاصداً جحا والدموع تتساقط من عينيه وقال له : أرجو أن تعفو عنى فقد قلت لى إنى أجازى بعد ٤٠ سنة على الكثير أو ٤٠ يوماً وأرانى جوزيت عاجلا فما هذا ؟

فأجابه جحا : إن هذا الجزاء الذى نلته هو لأنك آذيت غيرى منذ ٤٠ يوماً وأما مافعلته معى فستجازى عليه بعد ٤٠ يوما وتكسر ساقك اليمنى وتأتى زاحفاً إلىّ .

---

٣٧٥ — هل كل الحق علىّ ولا ذنب على اللص؟

سرق حمار الشيخ فاجتمع إليه أصحابه فطلب منهم أن يساعدوه على معرفة السارق . وبعد أن أصغى الحاضرون إليه وسمعوا تفاصيل الحادثة بحروفها قال أحدهم : يجب أن تضع قفلا على باب الاسطبل وإلا فإن عمل سكرة خشبية لا يفيد إذ بأقل حركة يمكن كسرها وأنت خبير بلزوم بناء جدران البيت عاليه فهل كنت مائتاً ولم تدرك أن الذى سرق الحمار أخرجه من الباب لا أنه وضعه فى عبه وسار . . فأين كنت حينئذ ؟

وقال آخر : وأعلم أنى فى الليل أقفل باب دارى من خلف وأضع المفتاح تحت رأسى فبالطبع لا يجسر اللصوص أن يكسروا القفل ويذهبوا ببقرى كيفما شاءوا .

وأخذوا يتداولون مثل هذه العبارات التى أبرمت الشيخ وكانت كلها تعنيفاً له ولوماً على تفريطه ، فنفد صبره وقال : أيها السادة إنكم تقولون الحق وكل ذلك عائد إلى الماضى ولا يفيد الآن إلا أنى أرجو منكم الإنصاف فهل كل الحق علىّ؟ وهل اللص لا ذنب عليه أبداً ؟!

---

٣٧٦ — فى آخر الزمان

قصد بعضهم أن يمزح مع الشيخ قبيل الغروب فى أحد أيام رمضان ، فكلفه أن يرى له الساعة ، وكان الشيخ غائصاً فى بحار الأفكار فاستاء من سؤاله وقصد مماحكته ، فكان بينهما ما يأتى :

قال الرجل : كم الساعة ياسيدى الشيخ ؟

فقال جحا : لى ساعة واحدة .

الرجل : لا أقصد ذلك بل كم بلغت الساعة ؟

جحا : والله إن ثمنها مع زنجيرها وأجرة الدلال قد بلغ ١٨٠ غرشاً .

الرجل : سبحان الله ، كأنى لم أقدر أن أفهمك ، فكم بقى للغروب يا سيدى ؟

جحا : هل تريد أن تفطر عندنا ؟ لقد جئت فى وقتك ،

وفكرى مشغول بذلك فاسمع لأعد لك أنواع الطعام : خبز شعير عال ، بصل أخضر ، شمــــام ، خيار ، وربما كان هناك شئ من البرغل المفلفل .

الرجل : كلا يا شيخى كأنك تقصد المزاح ، فنحن الآن بأى زمان ؟

جحا: نحن الآن فى منتصف الصيف تماماً فى فصل الزمن الحار.

الرجل : الله الله ، كأنى صرت أضحوكة للشيخ نصر الدين، وهذا ما كنت أخشاه ، يارجل أقول لك الزمان ماهو الآن ؟

جحا : يا ولدى هل من أحد لا يعرف أننا الآن فى آخر الزمان ؟

---

٣٧٧ — صوص ص ص ص ..

كان فى أحد أيام صباه ماراً أمام دار أحد البخلاء ، فرأى سرباً من الأوز واقفاً بحذاء الجدار فهجم على أكبرها وأخذها ووضعها تحت جبته ، وأسرع بها خائفاً من صاحبها البخيل . وبعد أن سار مسافة طويلة عجب من الأوزة لأنه لم يسمع لهـا صوتاً ، فأراد أن يعرف سبب صمتها ، فدخل زقاقاً خاليــــاً ، ورفع جبته قليلا . . ونظر إلى وجه الأوزة ، فرفعت رأسهـا وصاحت حسب عادتها « صوص ص ص ص ص » . . (ومعنى كلمة صوص بالتركية أسكت) فقال لهـا : مرحى بك يقولون

إن الأوز جاهل وفى الحقيقة أنك أعقل من سيدك وقد رفعت جبتى لأوصيك بالسكوت !

---

٣٧٨ — الحمير ثمانية أم تسعة؟

من عادة أهالى الأناضول على الأكثر أن يتناوبوا الأشغال فمثلا لو اقتضى لجماعة منهم أن يطحنوا حبوبهم يذهب واحد منهم بطحنات رفاقه ، فبدلا من أن يذهب عشرة أو خمسة عشر شخصاً وينتظرون عدة أيام لتجىء نوبة طحنهم ، يسلمون أعمال الحنطة مع الحيوانات إلى من تكون نوبته فيأخذها ويطحنها ويعود . . ويذهب غيره فى السفرة التالية وهلم جرا ، لأن الطاحون تبعد بضع ساعات عن القرية .

وجاءت نوبة جحا فاجتمعت حوله ثمانية حمير لأصحابه عليها ثمانية أحمال حنطة وركب حماره وسار بها . وخطر له فى أثناء الطريق أن يعدها ، فعدها ، فكانت ثمانية فضاع صوابه خوفاً على حماره لأنه كان تاسعها . وصاح بالحمير كلها فوقفت ونزل عن حماره ففتش وراء الشجرة وفى المنعطفات ورجع وعدها فوجدها تسعة فقال سبحان الله .

وركب فعرضت له الشبهة أيضاً ، فعدها فإذا بها ثمانية ، فحار فى أمره وفكر طويلا ، ونزل فعدها فوجدها تسعة ، فكاد يجن ، وقد فكر فى حكايات الجن والشياطين وألاعيبهم ، فطاش

فكره وأخذ يتلو كثيراً من الدعوات . ثم ركب حماره ، وعاد الشيطان فوسوس له أن يعدها ، فعدها وإذا بها ثمانية ، فنزل وأخذ يصرخ بكل قوته ويتلو الآيات ويستعيذ بالله . ومن شدة خوفه بدأ يسمع أصواتاً غريبة فجعل يرتجف كالورقة فى مهب الريح



(جحا والحمير . . ثمانية أم تسعة ؟)

وحاول أن ينزل الأحمال فلم يستطع ، فانزوى تعباً . منتظراً أن يمر أحد الناس فيأنس به ويطرد عنه وسواسه ، وإذا برجل قد أقبل ورأى الشيخ على هذه الحالة ، ومن لا يعرف الشيخ وأحواله فسأله عما حدث له فأخبره بقصته قائلا كأننى لم يكفنى حالى مع الناس حتى أن الغيلان والجن تريد أن تعبث بى

فقال له الرجل : لاتفتكر بذلك فما هو إلا وهم طرأ عليك ، وهل رأيت شيئاً ؟

فقال : كلا . لم أسمع سوى أصوات مزعجة .

فأخذ يسليه . وبعد أن تناولا شيئاً من الطعام اعتدل حال الشيخ وعاوده نشاطه فأخذ يقفز ويلعب ، وودع الرجل وركب حماره وساق الحمير أمامه ثم قال فى نفسه : لأعد الحمير الآن . وعدها فوجدها ثمانية . . فنادى الرجل ، وكان لايزال قريباً منه بحيث يسمع صوته ، فجاءه الرجل ، فقال له بصوت يخنقه البكاء : أنظر فإنها مازالت ثمانية فما هذه الحال التى وقعت فيها ؟

ولكن الرجل لم يلبث أن قال له : هل عددت الحمار الذى أنت راكبه ؟ فكل ماحصل لك هو أنك لم تعد حمارك .

فضرب جحا بيده على جبينه ضربة شديدة ونزل عن الحمار وأخذ بيدى الرجل يقبلهما ، وحار الرجل لاضطراب جحا فيما وقع له ، ولم يمكنه أن يمنع الشيخ من تقبيل يديه قائلا : الله يرضى عليك فقد أرشدتنى وأعدت إلىّ حياتى وعقلى لأنى أكاد أجن مما جرى فكم من حادثة تلقى الإنسان فى مهد الحيرة وما كل المصائب البشرية إلا من احتجاب الحقيقة عن العقل بحجاب الغفلة ومتى فتح سلطان الحقيقة أبوابها تتجلى ، ولو كشف الغطاء لتعانق الأعداء وذهبت من بينهم العداوة والشحناء وكانوا فى نعيم الحياة راتعين .

٣٧٩ — جحا والعميان

كان جماعة من العميان جالسين فى قهوة ، فمر بهم الشيخ وأخرج كيس دراهم وحركه ليسمعوا صوت الرنين ، ثم قال لهم : خذوا هذه الدراهم وتقاسموها بينكم . ولم يعطهم شيئاً ، وجلس بعيداً عنهم ينظر إليهم .



(جحا والعميان)

فما كان من العميان إلا أن قاموا بعضاً على بعض وكل منهم يقول لغيره : اعطنى حقى ، هات حصتى . . وتشاجروا شجاراً عنيفاً وتضاربوا بالعصى وصاروا يقومون ويقعدون هنا وهناك والشيخ بعيداً عنهم يكاد يغمى عليه من شدة الضحك .

٣٨٠ — إن كنت أذهب من هنا فلعنة الله علىّ

ذهب فى ربيع إحدى السنين مع رفاق له إلى قرية ذات بساتين ورياض غناء حوت أنواع النبات والفواكه والأزهار، وناهيك بزمن الربيع وخضرته ، فأمضوا وقتهم بسرور وصفاء وأكلوا مامعهم من الأطعمة .

وعندما حان زمن العودة عزّ عليهم أن يفارقوا هذا الرياض فعزموا على البقاء بضعة أيام ، وأخذ كل منهم يتعهد بتقديم شئ عما يحتاجون إليه فى مدة مكثهم ، فقال أحدهم : علىّ البقلاوة والفطير ، وقال ثان : علىّ الخروف المحشو ، وقال ثالث: علىّ ورق الدوالى المحشو والمطبوخ بالزيت ، وقال رابع : علىّ المقبلات والفواكه من الجبن والبرتقال والتفاح والكمثرى وأمثالها .

ثم نظروا إلى جحا وقالوا له : وأنت أى شىء عليك ؟ .

فقال : علىّ لعنة الله والملائكة والرسل إذا دامت هذه الضيافة ثلاثة أشهر إن كنت أبرح دقيقة واحدة من هنا .

---

٣٨١ — أخاف أن تدركه رقة فيسجد

سافر جحا ذات يوم إلى إحدى المدن ونزل فى أحد خاناتها ففى اليوم التالى قال لقيم الخان : ياأخى إنى أسمع طوال الليل قرقعة فى سقف الغرفة التى نمت فيها فياليتك تأتى بنجار ماهر وتكشف على أخشابها ليرى مافيها .

فقال له القيم : يا سيدى هذا البناء قوى لا يتهدم ، وليس

ما تسمعه من قرقعة السقف إلا تسبيحاً بحمد الله الذى يسبح بحمده كل ما فى الوجود .

فأجابه الشيخ قائلا : صدقت وإنما خوفى العظيم من تسبيحه وتهليله لأنى أخاف أن تدركه رقة فيسجد سجدة طويلة على غير انتظار

٣٨٢ — تخلص الشيخ من أسئلة مطولة بلطف

ذهب الشيخ عندما كان طالب علم إلى بعض القرى للوعظ فكان أهلها يرحبون به ويسألونه عن صحته حسب العادة ولكن أهالى القرية بدأوه بالسؤال عن أقاربه وأصدقائه وأشغاله وجيرانه وغيرهم مما يطول شرحه ، فضاق ذرعه بأسئلتهم فانزوى فى جهة وفكر ماذا يصنع للتخلص منهم مع المحافظة على ودّهم وولائهم للفوز بإحسانهم ، فأخذ ورقة وكتب فيها بالقلم العريض أجوبة تحيط بالأسئلة التى رأى أنهم سيسألونه عنها .

وفى المساء اجتمع أهل القرية وتقدم بعضهم للسلام عليه فعندما رأى ذلك قام إلى مكان مناسب وأخرج الصحيفة وتلاها على الحاضرين بين الضحك واللعب ، فسر القرويون وأنقذ نفسه من مجاوبة كل واحد على حدة .

٣٨٣ — نادتنى جارتنا لأن حمارتها ولدت فلواً بلا ذنب

خرج الشيخ من بيته بعد أن قال لامرأته : ياعزيزتى اطبخى لنا برغلا مفلفلا لنتناوله مساء بلذة وسرور . وعاد فى المساء تعباً فخلع ثيابه واستراح قليلا ونهض إلى المائدة لأن معدته كانت

أفرغ من فؤاد أم موسى ، فرأى أن امرأته هيأت له برغلا ولبناً وبصلا أخضراً أيضاً ، فقال لها : مرحى لك أيتها المرأة المحبوبة. وجلس وملأ ملعقة وازدردها باشتهاء ، وأخذ فى أثناء الطعام يمزح ويضحك مع امرأته وفيما هو كذلك جاء ولد يتيم من أبناء جيرانه ، وقد نكس رأسه إلى الأرض فى طور محزن وقال : ياعمى الشيخ اركض فإن والدتى تريدك إذ ليس لنا سواك . فقام مسرعاً لما فطر عليه من الرأفة والشفقة ، ولم يغب قليلا حتى عاد إلى البيت وقد أرخى حاجبيه تأثراً وذهب سروره فدعته امرأته لتكميل العشاء فلم يشأ ، فسألته : ماذا جرى ؟ فقال لها : تمنيت بعد عدة سنين أن أتناول وإياك شيئاً من البرغل براحة فلم أوفق ، فقد نادتنى جارتنا لأن حمارتها ولدت فلواً عجيب الشكل بلا ذنب !

---

٣٨٤ — الحمد لله إذ لم أكن لابساً حذائي الجديد

بينما كان الشيخ يحرث دخلت فى رجله شوكة عظيمة آلمته كثيراً ، فغسل رجله بالماء البارد ولفها ، وقال : الحمد لله إذ لم أكن لابساً حذائى الجديد الذى اشتريته أمس .

---

٣٨٥ — لو كنت فى البيت لصرت هريسة

بينما كان راكباً حماره يقصد بيته ، حصلت زلزلة شديدة ، فأسرع ونزل عن الحمار وسجد قائلا : الحمد لله .

فسأله رفاقه : لماذا سجدت ؟

فقال : إن بيتى أو بكلمة أخرى كوخى الحقير لابد أن يكون قد سقط بهذه الزلزالة فماذا كان يصير بى لوكنت فيه ، ألا أكون صرت هريسة تحته ؟

٣٨٦ — جحا والغنى

أعطاه أحد الأغنياء خمسمائة غرش وقال له : أرجو أن تدعو إلىّ عقيب كل صلاة من الصلوات الخمس : فأخذ الشيخ أربعمائة وخمسين غرشاً منها وأعاد إليه خمسين غرشاً قائلا : ياسيدى إن الليل قصير كما أن لسان السفيه طويل فعفواً لأنى لا أقوم لصلاة الصبح بل أصلى الصبح قضاء ، فلا حق لى بأجر صلاة الصبح تماماً وأستحى من الله تعالى أن آخذها !

٣٨٧ — مادام هذا الطعام وهذا الكلب عندكم لايتعافى ابنكم

نزل الشيخ عند بعض الفلاحين ، فأكرمه ذلك الفلاح مع شدة فقره وقبله بسرور ، وقدم له من حواضر البيت لبناً وقشطة وعسلا ، فأكل الشيخ من ذلك الطعام النفيس شيئاً كثيراً وما كاد يصلى العشاء حتى انسحب إلى زاوية الكوخ ونام نوماً عميقاً وكان بجانبه طفل عمره خمس أو ست سنوات.

وبما أن الشيخ لم يقض حاجته قبل النوم ولم ينتظر هضم الطعام أحس فى الليل بلزوم قضاء الحاجة وتضايق كثيراً فتقدم وفتح باب الكوخ فرأى كلباً أسود عظيم الجثة رابضاً وعيناه

تقدحان شرراً فى الليل وأسنانه تلمع كالثلج . فما فتح الشيخ الباب حتى أخذ الكلب يزمجر وأراد الهجوم عليه فأغلق الشيخ الباب وانتظر قليلا وهو يتململ . ثم قام بكل حذر وفتح الباب قليلا وإذا الكلب على حاله فأغلق الباب وانتظر ملياً وسعل وأحدث ضجة على أمل أن يستيقظ الفلاح الذى كان نائماً كالميت من شدة التعب والعنــــاء . فلم ير حركة . فخجل أن يوقظه . وأخيراً تقدم إلى فراش الطفل وبال وغاط وانسحب إلى فراشه.

واستيقظ أصحاب الدار صباحاً فأرادوا رفع الفراش فرأوا أقذاراً ملأت فراش الطفل من رأسه إلى قدميه . فحار الفلاح وامرأته بهذه الحال وكيف أن غلاماً صغيراً يفعل هذا الفعل وظنا أن فى الولد علة أو مرضاً فناديا بالويل قائلين : كيف ننقذ ولدنا من هذه الورطة ؟

فلم يقدر الشيخ على الثبات بل قال لهما : اسمعا لأقص عليكما القصة وأفهمكما الحقيقة فمادمتم تكرمون الضيوف هذا الإكرام وتطعمونهم ذلك الطعام ومادام عندكم هذا الكلب الأسود الكبير رابضاً بهيئته المخيفة فإن ابنكم لا يتعافى من هذه العلة !

---

٣٨٨ — قولوا للافندى إذا خرج من البيت أن لا يبقى رأسه فى النافذة

كان أحد الوجوه يظهر للشيخ تعظيماً ظاهرياً ويبرمه بمجاملاته المتكلفة ، فأراد الشيخ يوماً زيارته ، وعندما وصل إلى داره

كان ينظر من النافذة إلى جهة فلمـــا رأى الشيخ انسحب إلى الداخل ، فدق الشيخ الباب وقال : إذا لم يكن لدى الأفندى مانع فإنى جئت لزيارته .

فقالوا له من الداخل : واه واه إن الأفندى قد خرج منذ برهة ، وسيأسف كثيراً حينما يعلم بتشريفك فى غيابه .

فلما سمع هذا الرد قال بصوت عال : حسن جداً ، ولـكن قولوا للأفندى إذا خرج من الدار مرة أخرى فلا يبقى رأسه فى النافذة لئلا يظنه الناس فى البيت ويتهمونه بسوء السلوك ولعلهم لايسلمون عليه بعد ذلك .

---

٣٨٩ — أين مقر تيمور فى الآخرة ؟

كانوا يتداولون الحديث فى مجلس عن أعوام يوم القيامة وأهوالها ، والخوف ملء قلوبهم . وكان الشيخ جالساً بجانب تيمورلنك الذى تأوه من فؤاده وقال : يا حضرة الشيخ ماذا يكون نصيبنا يوم القيـامة ؟ فهل يكون مقامنا فى صدر الجنة أم فى الدرك الأسفل من النار ؟

فأجابه الشيخ : لقد أسفت من اشتغال قلب جلالتكم بهذه المسألة فلا يكن عند عظمتـكم ريب بأن حضرتكم الجنكيزية وهولاكو الملوكية متى أتمت أنفاس الحيـاة المعدودة تأخذ بسبيل جهنم وتجلس على التحقيق فى صدر النار مع أمثـــال

جلالتكم من الملوك كفرعون والنمروذ والاسكندر وجنكيز ومن ماثلهم بكل وقار واحترام .

---

٣٩٠ — لعل عزرائيل يتركنى ويأخذك

قال الشيخ لامرأته وهو فى مرض الموت : أيتها المرأة العزيزة البسى ثيابك الفاخرة وتزينى أحسن زينة ومشطى رأسك واغسلى وجهك واعملى كل أنواع التبرج والزينة وتعالى أمامى.

فقالت له : ياسيدى كيف أدع خدمتك فى مثل هذه الآونة وأذهب للتبرج والزينة فلا يمكننى أن أفعل ذلك أبداً ، فهل ظننتنى ضعيفة النفس ، قليلة الحب ، جاحدة للمعروف حتى تقول لى ذلك ؟

فأجابها : كلا ياعزيزتى ، فإن ماخطر لى غير ماخطر لك ، فإنى أرى عزرائيل يحوم حولى ولعله إذا رآك بتلك الثياب الفاخرة والهيئة الجميلة يتركنى ويأخذك .

---

٣٩١ — أسفاً على أيام الصبا

أراد أن يركب يوماً فرساً عالية ، فقفز ، فلم يستطع الركوب فقال : آه على زمن الصبا . والتفت حواليه فلم ير أحداً ، فقال : أما الحقيقة فلم أكن فى زمن الصبا أفضل مما أنا الآن !

٣٩٢ — الآن صرت طيراً تماماً

صاد يوماً لقلقاً من البرية وأحضره إلى داره ، فلما رأى رجليه طويلتين عجب منهما فأتى بسكين وقطعهما وأجلسه على منضدة عالية وقال له : الآن صرت طيراً تماماً .

---

٣٩٣ — متى قطع الذنب فهناك الغبار

ذهب يوماً هو وتلميذه حماد لصيد الذئاب ، فدخل تلميذه وكر الذئب ليقبض على بعض أجرائه ، ووقف الشيخ يراقبه.

وبينما هو كذلك إذا بالذئب قد جاء ودخل الوكر ، فأسرع الشيخ خوفاً على حماد منه فأمسك بذنبه وجعل يشده منه ، فثار الغبار فى داخل الوكر ، فصاح حماد ولم يكن يعلم ماحدث : ماهذا ؟ لقد أعمانى الغبار .

فأجابه الشيخ : متى انقطع ذنب الذئب فهناك الغبار .

---

٣٩٤ — التعلق بضوء القمر

أحس يوماً بأقدام لص على السطح ، فقال لامرأته : إنى فى الليلة الماضية أتيت إلى البيت وطرقت الباب فلم تسمعى فقرأت هذا الدعاء (وقرأ لها أحد الأدعية المختصرة) ثم تعلقت بضوء القمر ودخلت الدار .

وكان اللص يسمع كلامه فحفظ الدعاء وأخذ بتلاوته . ثم لف يديه على ضوء القمر واهماً أنه يمكنه النزول على هذه الصورة

وأرخى نفسه ، فهوى على الأرض ورضت أضلاعه . ونهض جحا فى الحال فأسرع وقبض عليه ونادى امرأته قائلا : أولعى الشمعة فقد أمسكت السارق !

فأجابه اللص وقواه منهكة : لا تستعجل علىّ يا سيدى وتلطف بى ، فما دمت تعرف هذا الدعاء وأنا بهذا العقل فلن أقدر على إنقاذ نفسى بسهولة من بين يديك .

---

٣٩٥ — إذا قلت المصدر أتخلص من إطالة الشرح

سأله يوماً أستاذه ، وهو طالب علم عن كلمة «قال» ماهى ؟ فأجابه الشيخ : هى مصدر .

فقال له المعلم : لماذا لا تجيب جواباً صحيحاً ؟

فقال : إذا قلت إنها فعل ماض يطول بنا الشرح إذ أن له معلوماً ومجهولا ومثبتاً ومنفياً ومذكراً ومؤنساً ومفرداً وجمعاً الخ الخ والمصدر بعيد عن كل ذلك أتخلص فيه بكلمة .

---

٣٩٦ — اسألى فأسألها وأجيبك

ذهبت امرأته مع بعض النساء لغسل الثياب على شاطىء البحيرة فى « آق شهر » ، وإذا بأحد أعيان البلدة قد خرج للتنزه وطفق يطيل النظر إلى النسوة ، فقالت له زوجة جحا : لماذا تنظر إلينا أيها السافل ؟

فسأل الوجيه خادمه : من هذه المرأة ؟ فأجابه : زوجة جحا

وفى اليوم التالى أرسل الوجيه واستحضر جحا ، وقال له: المرأة الفلانية اللابسة كذا وهيأتها كذا هل هى امرأتك ؟

فقال : نعم .

فقال له : أرسلها إلىّ !

فأجابه جحا : ولمـــاذا ؟

فقال : أريد أن أسألها عن شىء .

فأجابه : اسألنى فأذهب إليها وأسألها وأجيبك.

---

٣٩٧ — أين ملحى وبهـــارى

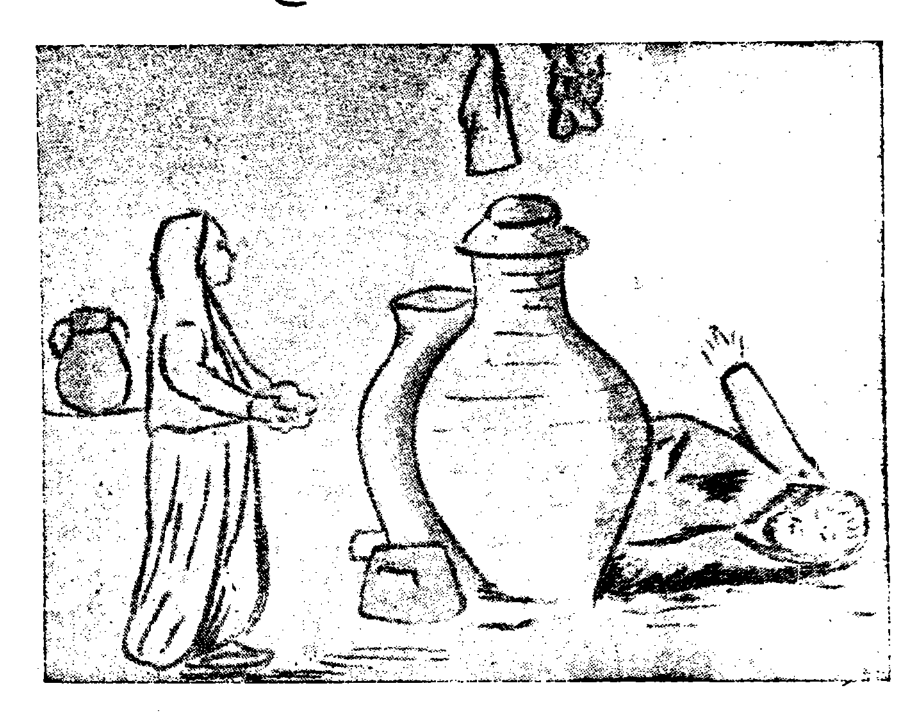
صاد كثيراً من السمانى (نوع من الطير) ونظفها جيداً وجعلها فى قدر ووضع الغطاء وتركها على النار تغلى ، وذهب يدعو أصدقاءه متخذاً ذلك وسيلة لإسكات من كان يعترض على الصيد والقنص .

وجاء أحدهم فى غيابه ومعه عدد منها أحياء ، فرفع غطاء القدر وأخرج المطبوخات ووضع مكانها الأحياء وذهب .

وعندما اجتمع الأصدقاء قام الشيخ مفتخراً مبتهجاً ورفع غطاء القدر ، وإذا بالسمانى رفرفت وطارت . فحار الشيخ فى أمره وقال : يا ربى نحن صدنا السمان وطبخناها فمننت عليها بالحيـاة الجديدة . لا بأس ، ولـكن أين ملحى وبهارى وفحمى ووقيدى وتعبى . فهذه من أسأل عنها ؟

٢٩٨ — دعيني أموت في الغربة

دخلت ابنته إلى بيت المؤنة (الكلار) فرأت أباها قداختبأ وراء زير كبير متمدداً فقالت له : ماذا تصنع هنا يا والدى ؟



(جحا وابنته)

فأجابها : ماذا أصنع يا بنيتى ؟ دعيني أموت في الغربة وأتخلص من أمك !

---

٣٩٩ — لولا صرف القدرة لكان ما تمناه

سألوه يوماً : ماذا تقول في القدرة الإلهية ؟

فأجابهم : منذ عرفت نفسى علمت أن ماقضاه الله واقع . ولولا نفوذ القدرة الإلهية لكان لى بعض ما أتمناه .

٤٠٠ — كيف كان جحا بالاحتضار

كان يخاف الموت كثيراً وعندما يسمع بحديثه تتراخى أعصابه ولذلك كان أصحابه يحدثونه كثيراً عنه ليسمعوا منه نكتة أوجواباً لطيفاً ، ولكنه فى مرضه لم يتضعضع بل كان يمزح ويضحك مع أهل بيته حتى أنفاسه الأخيرة ، فعجب البعض من ذلك وسألوه قائلين : كنا نعلم أنك تخاف من الموت بل من ذكره ونحن نراك الآن تكاد تكون بالاحتضار ولا تخاف فما سبب ذلك والحكمة فيه ؟

فأجابهم : يا أولادى كنت أخشى قبلا من الوصول إلى ماوصلت إليه الآن ، وأخشى من هذه النومة على هذا الفراش أما وقد جرى ماجرى وعزرائيل على الأبواب فأنا الآن أتهيأ لآخرتى إذ يجب علينا فى مثل هذه الحال أن نتخذ وسيلة لسلامة أيامنا حتى النفس الأخير .

---

٤٠١ — كرامة الشيخ بعد موته

بعد وفاة الشيخ بقرن أوقرنين كان ألوف من الناس مجتمعين فى الجامع الكبير لصلاة الجمعة وإذا بقيم قبره أتى من الباب الكبير لابساً لباساً موافقاً لملابس الشيخ وقال بصوت جهورى : أيها الأخوان : سأقص عليكم قصة غريبة ، فقد توضأت على نية الحضور إلى الجامع ، وأقفلت باب القبر وإذا بى أرى المرحوم

الشيخ نصر الدين بسيماه وهيئته وصورته ولباسه راكباً على صندوق قبره كأنه راكب فرساً ، يتأمل فيما حواليه ، والتفت وقال لى : اذهب إلى الجامع وقل للجماعة أن يحضروا إلىّ ومن لا يحضر فيكون هو الجانى على نفسه .

فعندما سمع الأهلون ذلك أسرعوا بتلبية الطلب لاعتقادهم بصلاح الشيخ وحسن ظنهم فى قيم قبره ، فذهبوا إلى القبر ، وبالطبع لم يروا الشيخ ، على أنهم كانوا قد سمعوا من آبائهم وأجدادهم بكراماته الراسخة فى أذهانهم فقالوا : يالله منك أيها الشيخ فكأنك لا تريد إلا أن تمزح معنا لتفهمنا أن همتك هى معنا على الدوام ، وقرأوا جميعهم الفاتحة ، وأهدوها لروحه ، ثم عادوا إلى الجامع ، وإذا بهم يرون قبة الجامع الكبرى قد هدمت وسقطت بتمامها .

فكانت هذه الكرامة الجليلة سبباً لازدياد اعتقادهم فى الشيخ رحمه الله .

---

٤٠٢ — أى ابن ملعون أخبركم ؟

ملأ جيبه خوخاً ومشى ، فرأى بعض أصدقائه فقال لهم : من يعلم ما فى جيبى أعطيته أكبر خوخة منه ؟

فقالوا له : خوخ .

فاستغرب الشيخ وقال لهم : أى ابن ملعون أخبركم !

٤٠٢ — إلى المكان الذاهب إليه البغل

ركب بغلا حروناً صعب المراس فلم يمكنه سوقه إلى الجهة المطلوبة ، فصادفه بعض أصحابه فقال له : إلى أين أنت ذاهب أيها الشيخ ؟

فأجابه : إلى المكان الذاهب إليه البغل !

إلى هنا انتهينا من نوادر الشيخ نصر الدين جحا المترجمة عن التركية وسنلحقها بذيل مما سمعناه أو قرأناه ولم نر له ذكر فى النسخة التى ترجمنا عنها ، والله المعين إلى سبيل الصواب .



ذيل النوادر

جمع المؤلف والمترجم

٤٠٤ — وجدت نعلا فبقى ثلاث نعال والحمار

كان الشيخ سائراً فى الطريق ففكر فى حمار يقتنيه بدل حماره المفقود . فلقى حدوة حمار ملقاة على الطريق فأخذها ووضعها فى عبه وقال فى نفسه : وجدت نعلا فبقى ثلاث نعال والحمار ، والله كريم .

٤٠٥ — هات حمارين

قال له أحد الحكام : تمن علىّ . فقال : أتمنى أن تصدر أمراً بتفويضى أن آخذ حماراً من كل رجل يخاف امرأته ، فأصدر الحاكم أمراً عاماً بذلك .

وذهب جحا إلى بعض الضواحى ، ثم عاد بعد مدة ، فرآه الحاكم من النافذة وقد ساق عدة حمير أمامه والغبار قد سد الأفق فأحضره وسأله عن أخباره ، فأجابه: إنى أخذت حسب الأمر من كل من يخاف امرأته حماراً . فأظهر الحاكم عجبه من حال الناس كيف يخافون نساءهم ، فقال له جحا : وقد رأيت فى إحدى البلاد بنتاً لوجيه فيها ، لها وجه كالبدر فى تمه ، وقامة كالرمح ،

وعينان كعينى الغزال ، وعنق كإبريق من لجين ، وأخذ يصف له محاسن الفتاة ويسهب .

فقال له الحاكم : اخفض صوتك يا شيخ لئلا تسمعك زوجتى لأنها على مقربة منا وقد يحدث ما لا تحمد عقباه .

فقال له الشيخ حينئذ : إذا كان لى أن آخذ من غيرك حماراً واحداً فهات أنت حمارين .

ومما نقلناه من كتابنا : مضحك العبوس .

---

٤٠٦ — هل رأيتم جنازة حبشية كفنها معى ؟

مات لأبيه جارية حبشية ، فبعثه أبوه إلى السوق ليشترى لها كفناً . فأبطأ عليه حتى أنقد غيره وجاء بكفن وحملت الجنازة ، فجاء جحا وهو يعدو فى المقابر ويقول : هل رأيتم جنازة حبشية كفنها معى ؟

---

٤٠٧ — رأس خروف أم جمجمة ؟

أعطاه أبوه درهماً ليشترى به رأس خروف . فمضى واشترى الرأس وأكل ما عليه من اللحم جميعاً ، وجاء إلى أبيه بجمجمة فارغة وقدمها بين يديه ، فقال له أبوه : يا خبيث ما هذا ؟

فقال : رأس غنم .

قال : أين أذناه ؟

فقال : كان أصم .

قال : أين عيناه ؟

فقال : كان أعمى .

قال : أين لسانه ؟

فقال : كان أخرس.

قال : أين جلد رأسه ؟

فقال : كان أقرع !

---

٤٠٨ — انه سلوقى عافاكم الله

صلى بقوم يوماً وفى كمه جرو كلب فلما ركع سقط الجرو من كمه وعوى ، فتنحنح الناس ، فالتفت إليهم وقال : إنه سلوقى عافاكم الله !

---

٤٠٩ — كان فيها قطن فما سال منها شيء

حمل جرة إلى السوق ليبيعها ، فقالوا . هى مثقوبة ؟

فقال : كلا ، فقد كان فيها قطن لو الدتى فما سال منها شيء.

---

٤١٠ — لستم بأعلم من صاحبها

لبس فروة ثعلب مقلوباً شعرها إلى الخارج فقيل له ماهذا ؟ فقال : ما أنتم بأعلم من صاحبها الثعلب ، ولولا أن لبسها هكذا أصلح لما لبسها كما ترون .

٤١١ — أصلبوه فإنه أروح له من ظلمة القبر

مات عمه فأعطوه ديناراً ليشترى به تابوتاً فمضى إلى السوق واشترى بدانقين جزعاً وأخذ الباقى لنفسه وجاء بالجزع إليهم فقالوا له : ما نصنع بهذا ؟

فقال : أصلبوه عليه فإنه أروح له من ظلمة القبر وسؤال منكر ونكير .

---

٤١٢ — لا أعجب ممن أخذ الدراهم وإنما أعجب من الدابة

سافر مع أبيه وجماعة ، وكان يحمل رمحاً فلما نزلوا ركز الرمح ، ونادى المنادى احفظوا متاعكم من اللصوص وكان مع جحا صرة فيها دراهم فقام وعلق الصرة فى رأس الرمح ، وناموا.

فجاء اللصوص وأخذوا الدراهم وتركوا مكانها روثة دابة فلما أصبح وجد الروثة ولم يجد الدراهم فقال : ما أعجب ممن أخذ الدراهم كيف وصلت يده إليها مع طول الرمح وإنما أعجب من الدابة كيف صعدت فوق الرمح وراثت عليه !

---

٤١٣ — من ضغط القبر

مر جحا بجنازة ، فقالوا له : صل على هذا الغريب الفقير. فصلى ، فلما رفع يديه أفلت صوتاً ، فالتفت إليهم وقال : إن كان على صاحبكم دين فاقضوه فهذا من ضغط القبر .

٤١٤ — اقلبوه

أمره أبوه أن يصلح جبا ويضع له قاراً ويصقله ، فوضع له القار من الخارج وصقله ، فقال له أبوه : ويحك إنما يقير من الداخل . فقال : اقلبوه !

---

٤١٥ — أدخلى فى بطنى لأحملك سنتين وخلصينى

جفا جحا أمه ، فقالت له : أهذا جزائى وقد حملتك فى بطنى تسعة أشهر ؟

فقال لها : ادخلى فى بطنى لأحملك سنتين وخلصينى . .

---

٤١٦ — نسيت واحداً من عيالى

دخل جحا على بعض الملوك يوماً ، فقال له : كم عيالك ؟ فقال : ثمانية .

فأمر له بثمانية آلاف درهم . فأخذها وخرج ، ولما بلغ الباب رجع وقال : نسيت واحداً من عيالى ؟

قال : من هو ؟

فقال : هو أنا .

فضحك الملك وأمر له بمثل ذلك .

---

٤١٧ — إنما هى أمى .

كان لهم جارية تسمى عميرة فضربتها أمه ذات يوم ،

فصـ ـت الجارية ، فاجتمع الناس على الباب ، فخرج إليهم وقال : عافاكم الله إنما هى أمى تجلد عميرة .

---

٤١٨ — إذاً لا ..

دخل جحا على أمه وهى فى النزع ، فقال لها : كيف حالك يا أماه جعلنى الله فداك ؟

قالت : فى الموت ؟

قال : إذاً لا ، فقد كنت أظن أن فى الأجل فسحة . .

---

٤١٩ — نعم أقوم الليـــل

كانوا يتحادثون فى قضية قيام الليل ، فسألوه : هل تقوم الليل ؟

قال : نعم ، أقوم وأبول ثم أرجع إلى فراشى .

---

٤٢٠ — هل كل الليالى جمعه ؟

قال لامرأته يوماً : إذا كانت ليلة الجمعة فاقلبى المخدة حتى أعلم تلك الليـلة .

فأخذت امرأته تقلب المخدة كل ليلتين ، فلم يفطن لذلك ، وأخيراً صارت تقلبها فى كل ليلة ، فضاق ذرع الشيخ ، وقال لها : هل كل الليالى جمعة ؟ خلصينى من الجمعة ، أو خلصى الجمعة منى .



نوادر جحا الكبرى

كتاب للنوادر الشعبية المبسطة، والفكاهة الحلوة، والنكتة البارعة، والحكاية اللطيفة، رافقت ندوات الشعوب ومجالسهم، فملأت حياة الناس بالبشر والفرح، وأسهمت في تلوين الأدب الشعبي واغنائه بالأجوبة الذكية السريعة، والمقالب الخفيفة المسلية.

كتاب يقرأه الجميع ويحتاجه الجميع، لأنه لون حبيب من ألوان الأدب والظرف لأبناء الشعب في فترات راحتهم وهنائهم وتسليتهم وفرحهم.

إنه جحا الواقع والأسطورة في هذا الكتاب. بين الحقيقة والخيال معك في الحاضر والمستقبل.

الناشر